شرح

مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

- التعبد بأشراك الصالحين في دعاء الله والعبادة
- التفرق في الدين والدنيا
- مخالفة ولي الأمر وعدم الإنقياد له
- الإقتداء بفسقة العلماء
- الاستدلال بالقياس الفاسد
- الغلو في العلماء والصالحين
- النفي والإثبات فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عما جاءت به الرسل

شرح معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

نسخة موافقة للأشرطة ومخرجة الأحاديث

شرح

مسائل الجاهلية

شرح معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

نسخة موافقة للأشرطة ومخرجة الأحاديث

دار الآثار
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٤٤٠٥/ ٢٠٠٩

دار الآثار
للنشر والتوزيع

٢٨ ش منشية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج.م.ع
ت وفاكس: ٢٦٤٢٢٣٢٣ - ت: ٢٦٣٦٣٧٨٦
info@dar-alathar.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن هذه المسائل الجاهلية التي خالفهم رسول الله ﷺ فيها -كما سَترى- هي عزيزة المعاني، وهي مهمة جدا في حياتنا اليوم، بل إنه على الشباب والدعاة إلى الله جل وعلا أن يكون في حلقاتهم وأن يكون في بيان دعوتهم ما يستدلون فيه بكثير من هذه المسائل؛ لأنه إذا بُيِّنت للناس أنّ هذه خصلة من خصال اليهود، خصلة من خصال الجاهلية، بدلائلها وبكلام أهل العلم عليها، ثم بُيِّنت أن هذه دخلت في الأمة، يكون هذا من أنفع أبواب الدعوة، من أنفع طرقها، وهذه هي الطريقة أو هذه من الطرق السلفية المحمودة في الدعوة؛ دعوة الناس، ولهذا الشيخ [محمد بن عبد الوهاب] رحمه الله اعتنى ببيان هذه المسائل؛ لأن الجميع راغب في أن يكون مجانبا لسنن أهل الجاهلية ولطرائقهم ولخصالهم سواءً كانوا يهودا أو نصارى أو مشركين أو مجوس أو... إلى آخره من الملل و النحل.

عنايتكم بهذه المسائل فهما واستنباطا ثم عنايتكم بشرح كيف كان عليه أهل الجاهلية؛ ببيان أصل المسألة، ثم صور دخول هذه الخصلة في هذه الأمة، وأن هذا مصداقا لقول النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع**» هذا من الأمور التي تعين الداعية على الوصول إلى مبتغاه وتبين الحق للناس.

وهي مسائل عظيمة أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا دائما فيما بيَّنه إمام هذه الدعوة من المسائل العظيمة التي نحتاج إليها ولا شك في كل وقت في هذا الزمان، ومذاكرتها والتذكير بها ضروري؛ يعني حبذا لو يكون في المجالس أن تؤخذ مسألة، مسألة، من هذه المسائل ويُقرأ شرحُها للألوسي أو لغيره، وينظر فيها ويتأمل لأنها أشد ما تكون الحاجة إليها كما قال في المقدمة، قال: لا غنى للمسلم عن معرفتها.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

المتن

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين مما لا غنى للمسلم عن معرفتها:

فالضدُّ يظهر حسنَه الضدُّ ....

.... وبضدها تتبين الأشياء

فأهم ما فيها وأشدها خطرا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه الجاهلية تمت الخسارة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت:٥٢].

(المسألة الأولى): أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله، بظنهم أن الله يحب ذلك، وأنّ الصالحين يحبونه كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله، الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أنّ من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وهذه هي المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا، وأشهد أن لا

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الكتاب قليل الصفحات، لكنه اشتمل على مسائلَ من أهم المهمّات، بل إنّ هذه الوُريقات في هذه الرسالة هي أصول الدِّين؛ لأنّ النبي ﷺ إنما بُعث ليخلِّص الناس من جهالة الجاهليين على أنواع مللهم وأصناف نحلهم.

فإذن هي خلاصة لما أَمر به اللهُ جل وعلا، وأمر به رسولُه ﷺ المشركين والكفار أن يتركوه.

وهذه الرسالة هي مسائل؛ المسألة منها قد تكون بضعة أسطر، وقد تَقِلُّ إلى كلمتين أو ثلاث.

وقد تناولها بالشرح؛ بشرح وجيز يكشف عن مراميها ومعانيها علاّمة العراق الشيخ السّلفي محمود شكري الألُوسِي، وهو شرح مطبوع متداول، لكنه في كثير من الأنحاء والمواضع لم يكشف الكشف الذي ينبغي.

وهناك من إخواننا من سجَّل رسالة - الماجستير - في شرح هذه المسائل، ولا شك أنها تحتاج ذلك لعظمها كما سترى، وليس من رأى كمن سمع.

سمّاها الشيخ الإمام رحمه الله تعالى «مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية».

وكما ذكر في المقدمة أنّ الجاهليين الذين يريدهم بقوله: «أهل الجاهلية» هم الأميون يعني: مشركي العرب وأصناف أهل الكتاب، وكذلك غيرهم من الصابئة والمجوس وأنواع أهل الملل.

والجاهلية راجعة إلى الجهل بالله جل وعلا، وبما يستحقه، وبما يحبه من الدين والطاعة، وهذه الجاهلية هي: كل ما كان عليه الناس قبل رسول الله ﷺ مما خالفوا فيه الدين المشترك للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أو ما شرعه من الدين الحق

على ألسنة رسله. فيشترك في ذلك ما كان عليه أهل الجاهلية من العرب، وأهل الجاهلية من اليهود، وأهل الجاهلية من النصارى، وأهل الجاهلية من المجوس، وأهل الجاهلية من الصابئة، وهكذا إلى جميع أنواع أهل الملل.

الجاهلية غالب إطلاقها في الكتاب والسنة يُعنى بها الحال، وقد تطلق ويُعنى بها صاحب الحال.

فمن الأول؛ وهو أن تطلق ويعنى بها الحال، يعني: الصفة التي هي راجعة إلى نفي العلم والإغراق في الجهل بما أنزل الله جل وعلا على رسوله، هذه الجاهلية التي هي الحال والصفة منها قول النبي ﷺ لأبي ذر حين عيّر رجلًا أسودَ وهو بلال – في الراجح- بأمه، قال له عليه الصلاة والسلام: «**أعَيّرتَهُ بأمّهِ؟ إِنّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهِليّة**»، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**ثنتان في أمتي من أمر الجاهلية**»، وكذلك قول عائشة: «كان نكاح الناس في الجاهلية على أربعة أنحاء» ونحو ذلك من الأحاديث التي فيها ذكر الجاهلية، ويدل لذلك قول الله جل وعلا: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، فإنه في هذه النصوص يعنى بالجاهلية الحال والصفة.

وقد يراد بها ذو الحال، فيقال: فلان جاهلي، كما يقال: امرؤ القيس شاعرٌ جاهلي، يريدون بذلك أنه هو الجاهلي لعيشه في تلك الفترة التي هي الجاهلية المطلقة.

والجاهلية تُقْسَمُ باعتبارات:

فتارة تنقسم إلى قسمين:

وهي الجاهلية المطلقة.

والجاهلية المقيدة.

وتارة تُقْسَمُ إلى ثلاثة أقسام وهي:

جاهلية في المكان.

جاهلية في الزمان.

جاهلية في الأشخاص.

فالقسمة الأولى وهي الجاهلية المطلقة والمقيدة:

فنعني بالمطلقة: يعني: الكاملة من جميع الوجوه بأحد الاعتبارات الثلاث.

والمقيدة: يعني: المقيدة بوجه من الوجوه، إما مقيدة بمكان، أو بزمان، أو بشخص، أو ببعض الصفات.

فالجاهلية في المكان تكون مطلقة ومقيدة:

فالمطلقة في بلاد الكفار؛ دار الحرب، بلاد الكفار، هذه يقال لها أمكنة جاهلية، والمكان جاهلي؛ لأجل أنها دار كفار.

وقد يكون المكان فيه جاهلية مقيدة ببعض الأمور كما هو في بلاد المسلمين، فإنه لا يزال فيهم بعض خصال الجاهلية فيكون فيهم بعض الجاهلية، تكون مقيدة ببعض الأشياء، أو مقيدة ببعض الأمكنة دون بعض، تقول: البلد الفلاني من بلاد المسلمين هذا فيه جاهلية، أو بلد أصبح جاهليًّا إذا رجع أهله وارتدوا عن الإسلام إلى الشرك.

وجاهلية الزمان أيضًا مطلقة ومقيدة:

فالجاهلية في الزمان المطلقة هي ما كان قبل مبعث رسول الله ﷺ كانت جاهلية مطلقة في الزمان؛ يعني: كل ما كان قبل زمن الرسول ﷺ -وَحَدُّهُ بعثة النبي ﷺ- يقال لها: جاهلية بإطلاق.

والجاهلية المقيدة بالزمان هذه هي التي تكون في بعض ظهور خصال الجاهلية في وقت دون وقت، لكنها جاهلية مقيدة وليست مطلقة؛ يعني مقيدة بوقت ظهرت فيه خصال الجاهلية، فتكون مقيدة في الوقت.

فلا يصح إطلاق من أطلق (بجاهلية القرن العشرين) أو نحوها من العبارات التي يستعملها من لم يدقق، لأنه بعد بعثة رسول الله ﷺ انقضت الجاهلية المطلقة، ولا يزال في أمته من ينافح عن هذا الدين ويرفع رايته، فليس ثَمَّ جاهلية منسوبة إلى زمنٍ

كالقرن العشرين، وإنما تكون منسوبة إلى وقت من الأوقات فيما إذا ظهرت بعض الصفات ثم يجاهدها ويظهر عليها أهل الحق بالإنكار فلا تصبح جاهليةً يعني الزمن.

فمثلًا تقول: القرن العشرين ظهرت فيه أنواع من الجاهليات فهو زمن فيه جاهليات كثيرة، لكن ما نطلق نقول: جاهلية القرن العشرين. لأن هذا إطلاق للزمن بكامله، والنبي ﷺ أخبر بأنه لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ من خالفهم ولا مَن خَذَلَهُمْ حَتّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وهم على ذلك هؤلاء يبينون وينصحون.

القسم الثالث جاهلية في الأشخاص وهي أيضا مطلقة ومقيدة:

فالمطلقة في الكافر. والمقيدة في شخص دون شخص، أو في شخص في بعض حاله دون بعض، كما قال النبي ﷺ لأبي ذر: «**إِنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهِلِيّة**»؛ يعني بعض خصال الجاهلية.

هذه التقسيمات التي ذكرها أهل العلم في هذا المقام.

والذي حدا بالشيخ لهذا الأمر العظيم من التصدي لجمع هذه المسائل هو ما رواه البخاري وغيره عن النبي ﷺ، من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**أبغضُ الرجال إلى الله ثلاثةٌ: مُلحِدٌ في الحرَم، ومُبْتغٍ في الإسلام سنّةَ الجاهلية، ومُطَّلب دم امرئ بغير حقّ ليهريقَ دمَه**» فمن طلب وابتغى في الإسلام سنة يعني مسألة من مسائل الجاهلية فهو داخل في قوله: « **أبغضُ الرجال إلى الله ثلاثةٌ**» فمن ابتغى شيئا من أمر الجاهلية وطلبه أو كان فيه ولم يتركه بعد البيان له فهو داخل في هذا الوعيد الذي أخبر به عليه الصلاة والسلام.

والجاهليون الذين خالفهم رسول الله ﷺ، والذين تذكر هذه المسائل ببيان سننهم وما كانوا عليه، قد يكونون من العرب كما ذكرت أو من أهل الكتاب أو من غيرهم كما سيأتي إيضاحه في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وذكر أهمية معرفة سنن الجاهلية؛ لأنه كما يذكر عن عمر رضي الله عنه بخبر لم نعرف إسناده ولم نجد له إسنادا أنه قال: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في

الإسلام من لم يعرف الجاهلية». فإذا عرف المرء الجاهلية وعرف أنه يجب عليه أن يتباعد عنها كان أحرى له أن يكون على بينة من أمره ولا تدخله سنة من سنن الجاهلية ولا مسألة من مسائل الجاهلية، ولهذا قال الشيخ رحمه الله في هذه الخطبة: (لا غنى بالمسلم عن معرفتها) لا غنى بالمسلم عن معرفة هذه الأمور؛ لأنها أمور دخلت على المسلمين وابتغوا سنة الجاهلية عن جهل تارة، وعن علم مع عناد واستكبار تارة أخرى، وكما ذكر من قول الشاعر (وبضدها تتبين الأشياء) وقول الشاعر الآخر قبله (والضد يظهر حسنَه الضدُّ) وقوله هنا: (والضد يظهر حسنَه الضدُّ) هذا من كلام عجز بيت للمنبجي أحد الشعراء المعروفين يقول في وصف شخص:

فالوجه مثل الصبح مبيضٌّ والشعر مثل الليل مسودُّ
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنَه الضدُّ

وأما قوله: (وبضدها تتبين الأشياء) فهذا من الشعر السائر المعروف لأبي الطيب المتنبي قال:

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

في قصيدة يُثني بها ويمدح بها أبا علي هارون بن عبد العزيز الكاتب أحد المتنسكة الذين مالوا إلى التصوف، وفي بعض الطبعات جُعلت وكأنها بيت واحد فتنبه لذلك.

ذكر المسألة الأولى من هذه المسائل ألا وهي أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في عبادتهم، في العبادة والدعاء يرجون شفاعتهم لظنهم أن الصالحين يحبون ذلك وأن الله جل وعلا يحب ذلك.

وهذه المسألة هي زبدة رسالة النبي ﷺ لأنها مسألة الإخلاص في الدين، والعبادة فأهل الجاهلية كانوا يتعبدون الله جل وعلا بإشراكهم الصالحين في عبادة الله.

والصالحون جمع الصالح. والصالح يراد به العهد وهم ثلاثة أصناف:

* الأنبياء والرسل.
* الصالحون من البشر.

* الملائكة.

وهؤلاء قد وقع في إشراكهم في العبادة طوائف من الأميين مشركي العرب وغيرهم، فتارة يعبدون نبيًّا، وتارة يدعون ويعبدون ملكًا، وتارة يعبدون صالحًا ليس بملك ولا بنبي. قال جل وعلا: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وقال جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ: ٤٠] الآيات، فذكر جل وعلا هذه الأنواع في عدة آيات في القرآن، وهذه الشبهة أو هذا العمل الذي كانوا يعملونه من إشراك الصالحين جاء في هذه الأمة وورثته هذه الأمة من الجاهليين، والجاهليون حين عبدوا الصالحين يعني أنهم توجهوا إليهم، تارة يستغيثون بهم، تارة يذبحون لهم، تارة ينذرون لهم، تارة يستشفعون بهم، تارة يجعلونهم وسائط ونحو ذلك من أفعالهم، وهذه الأعمال حكم عليهم بها الله جل وعلا أنهم مشركون، وهذه هي -أعني الأفعال- هي عين ما حصل وحدث في هذه الأمة بعد القرون المفضلة.

هل كان أهل الجاهلية يعملون تلك الأعمال عن جهل أم عن علم؟ بل كانوا يفعلونها عن علم، وكانوا يعلمون حُججًا لذلك، ولهذا جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، قال جل وعلا عنهم: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣]، فأهل الجاهلية عندهم علوم ولكنها مضادة لعلم الأنبياء، مضادة للعلم الذي أنزله الله جل وعلا، قال جل وعلا: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ، فعندهم علم ولكنه ليس بنافع، ولهذا من حاجّ أهل التوحيد في الأزمان المتأخرة، فإنما يحاجهم بشبه مثل الشبه التي كانت عند أهل الجاهلية وواجهوا بها رسول الله ﷺ، ومن أعظمها ما ذكر الشيخ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. من أعظمها مسألة الشفاعة، طلب الزلفى إلى الله جل وعلا بأولئك الصالحين، فتجد أن منهم طائفة يقولون: نحن لا نتوجه إلى الأولياء، إلى الصالحين، إلى الأنبياء، لأجل أنهم يستقلون بالنفع أو بدفع

الضر، وإنما نتخذهم شفعاء عند الله جل وعلا؛ لأجل ما لهم من المقام الرفيع عند الله جل وعلا وهذا الأصل هو الذي يفعله المتأخرون، المشركون من هذه الأمة حيث إنهم يزعمون أنهم ما اتخذوا أولئك إلا واسطة، ويسمّون تلك الواسطة وذلك العمل يسمونه توسلا، والتوسل شيء واتخاذ الواسطة شيء آخر، عندهم شبه وحجج ولكنها داحضة كما قال الله جل وعلا: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ [غافر: ٥]، وهم تارة يعبدون عبادة مستقلة؛ يعني بعضهم يتوجه إلى الأولياء، إلى الصالحين، إلى اللات، إلى العزى، يتوجهون لأجل أنهم عُبَّاد لهم منزلة عند الله، فيصرفون بعض العبادات لهم استقلالا، وتارة يتخذونهم واسطة.

فإذن هذه المسألة هي أعظم المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، فإن الله جل وعلا أمره بالإخلاص، وأن يأمر الناس بالإخلاص، فقال جل وعلا آمرا نبيه ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [الزمر:١٤، ١٥] وقال جل وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، وقال جل وعلا ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر:١١،١٢]، وهكذا في آيات كثيرة يأمر الله جل وعلا بإخلاص الدين له، ونبذ الشرك، والتوجه إليه وحده دونما سواه، خالفوا ذلك فأشركوا.

ما معنى الشرك؟ أنهم جعلوا لله جل وعلا ندًّا في العبادة، وهذا هو الشرك الأكبر، والنِدّ هو الشبيه والنظير كما قال حسان في هجائه:

أتهجوه ولستَ له بندٍّ　　　فشركما لخيركما الفداء

يعني لست له بمثيل ولا نظير، فمن جعل أحدا مع الله مثيلا ونظيرا لله في العبادة والتوجه فقد سواه بالله جل وعلا، وقد أشرك بذلك الشرك الذي حكم الله جل وعلا به على المشركين بأنهم من أهل النار وأنهم حُرِّمَت عليهم الجنة.

قال جل وعلا مخبرًا عن احتجاج المشركين وقولهم لآلهتهم في النار، قال جل وعلا في سورة الشعراء: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾

[الشعراء: ٩٧، ٩٨]، فأخبروا عن أنفسهم أنهم سووا آلهتهم برب العالمين، وهذه التسوية تسوية في محبة العبادة، تسوية في العبادة؛ لأنهم توجهوا إلى الله وتوجهوا إلى غيره، عبدوا الله وعبدوا غيره، صرفوا بعض أنواع العبادة لله وصرفوا بعضا آخر لغير الله، فهذا معنى التسوية وهو معنى اتخاذ النِّد، أنهم جعلوا لله عبادة وجعلوا لغيره عبادة أيضا، ولهذا استنكف المشركون لما أتى النبي ﷺ بكلمة التوحيد لا إله إلا الله، ما ذا قالوا؟ ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[ص:٥].

واليوم إذا رأيت فإنه قد دخل هذا الأمر يعني هذا النوع من الشرك في المسلمين بعد مضي نحوٍ من ثلاثة قرون شيئا فشيئا.

وأصل البلاء الذي من أجله دخل هذا النوع من الشرك هو أنه فسرت كلمة التوحيد بأنها دالة على الربوبية، كما عليه أهل الكلام ومن تبعهم، لم يجعلوا كلمة التوحيد دالة على إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وإنما جعلوها دالة على إفراد الله جل وعلا بالربوبية، ولهذا تجد في كتب أهل الكلام أنهم قالوا: الإله هو القادر على الاختراع، الإله هو ما عندهم؟ القادر على الاختراع. لا إله إلا الله عند أهل الكلام معناها: لا قادر على الاختراع -يعني على الخلق- إلا الله. وهذا المعنى يقر به أهل الجاهلية ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزخرف:٨٧]، كانوا يوقنون بأن الله جل وعلا هو القادر على الاختراع وحده وأنّ غيره لا يخلق شيئا، لهذا احتج عليهم ربنا جل وعلا بقوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[الأعراف:١٩١] لأنهم يقرون بتلك المقدمة.

كذلك أخذ هذا المعنى طوائف من المبتدعة من جنس الأشاعرة فقرروه في كتبهم، قرروه في كتبهم، فيقول أحد متأخريهم وهو السَّنوسي في رسالته التي يسمونها أم البراهين، يقول فيها في معنى كلمة التوحيد. يقول: فمعنى لا إله إلا الله: لا مستغنيًا عما سواه، ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله، فمعنى الإله -هذا كلامه- يقول:

فمعنى الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه. لما درس الناس مثل هذه صار توحيد العبادة عندهم ليس هو معنى كلمة التوحيد، انحرف الناس شيئا فشيئا حتى اتخذوا آلهة من دون الله، يظنون أن التعلق بأرواح الموتى وسؤال من له جاه عند الله -على حَسَب ظنهم- سؤاله ليس من الشرك، وهذا أصل البلاء الذي دخل في المسلمين، شيئا فشيئا دخل حتى عُظمت القبور وأُشيدت وعُظم أصحابها، حتى اعتقد أن لهم بعض خصائص الإلهية، حتى وصل الأمر في عهد الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى إلى أنهم كانوا يعتقدون فيهم أنهم ينفعون ويضرون استقلالا والعياذ بالله، بل كانوا يشركون بهم في الرخاء وفي الشدة.

لهذا قال الشيخ في قواعده الأربع: القاعدة الرابعة: أن مشركي أهل زماننا أعظم شركا من مشركي العرب ذلك أن أولئك كانوا يشركون في الرخاء وأما في الشدة فكانوا يوحدون الله ويخلصون الدين له كما قال جل وعلا عنهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. وأما أهل هذا الزمان فإنهم يشركون في السراء وفي الضراء كما قال أحد علماء الدعوة حيث ناقش رجلا في تعلق طائفة من الناس بابن عباس في الطائف، كما كان قبل الدعوة كانوا يتعلقون به ويجعلونه إلها لهم، ويصرفون له حقوق الله جل وعلا، يجعلونه مستغاثا به، مذبوحا له، منذورا له، مدعوا، قال له: إن ابن عباس -يقول هذا أحد علماء الدعوة، يقول للآخر- إنّ أهل الطائف -يعني من كان منهم على هذا الاعتقاد- يتوجهون إلى ابن عباس يعرفون ابن عباس ولا يعرفون الله، فقال الرجل الآخر: معرفتهم لابن عباس تكفي. وهذا أمر قد لا يظهر كثيرًا لكثير من الناشئة في البلاد، لكن من عرف ما عليه الخرافيون في بعض البقاع في هذه البلاد وفي غيرها من بلاد المسلمين، يجد أن هذا الأمر شائع منتشر، بل إنهم يزيدون في أنهم يعتقدون أن بعض الأولياء لهم الضر والنفع الاستقلالي.

هذه المسألة ذكرها الشيخ أول مسألة لعظم شأنها، وهي الزبدة لرسالة النبي ﷺ بإخلاص الدين له، وبتوحيده جل وعلا وعدم الإشراك به، ونبذ الشرك الذي كان

يفعله أهل الجاهلية.

قال رحمه الله: إن من فعل ذلك فقد أخبر النبي ﷺ بأن الله حرم عليه الجنة ومأواه النار كما قال جل وعلا مخبرا عن قول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

إذن هذه المسألة هي أعظم المسائل، إذا كانت هي أعظم المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية فكون الدعوة تُجعل مركِّزة عليها معتنية بها أتم العناية يكون ذلك من وِراثة دعوة المصطفى ﷺ؛ لأنْ هذه المسألة من أعظم المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، فإذا كانت كذلك فغيرها من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية هي دونها في المرتبة، فعليه يكون ورثة الأنبياء، ورثة النبي ﷺ، من ورثوا عنه العلم النافع إنما يدعون أول ما يدعون ويهتمون أكثر ما يهتمون به بهذه المسألة العظيمة وهي أن ينقذوا الناس من النار وأن يجعلوهم ممن يرجى له الجنة، وذلك بنهيهم عن الشرك وبتوضيح مسألة التوحيد أتم إيضاح ومعنى الشهادة لله جل وعلا بالوحدانية وما فيها من النفي والإثبات ومعنى الكفر بالطاغوت ونحو ذلك من أصول التوحيد.

إذا كان كذلك، فتعلم أن من توجه في دعوته بغير الاهتمام بهذه المسألة العظيمة فإنما اهتم بأمر لم يكن اهتمام رسول الله ﷺ به أولا، ولهذا جاء في حديث معاذ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله**» كما في صحيح البخاري في كتاب التوحيد، أو كما في الرواية المشهورة «**إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**» أو «**إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**».

فهذه المسألة هي أعظم المسائل، وعليها يجب أن تكون الدعوة مركِّزة مهتما بها؛ لأنها هي التي بها يتفرق الناس إلى مسلم وكافر، أما غيرها من المسائل فهو دونها بكثير.

قال الشيخ رحمه الله: من أجل هذه المسألة تفرق الناس إلى مسلم وكافر وهذا يعني أن من أشرك بالله جل وعلا صالحا أو غير صالح فإنه كافر بالله، كافر، لا نتوانى عن إطلاق الشرك عليه، ولا إطلاق الكفر عليه؛ لأنه ما دام أنه مشرك بالله جل وعلا، فعل الشرك، فإنه يطلق عليه أنه مشرك كافر، لكن الشرك الذي يُطلق عليه لا تستباح به أمواله ولا يستباح به دمه، بل ذلك موقوف على البيان، موقوف على الدعوة، لابد من البيان والدعوة قبل الاستباحة، لكن الحكم عليه، يُحكم عليه بأنه مشرك وترتَّب عليه أحكام الكفار في الدنيا، لكن لا يشهد عليه بأحكام الكفار في الآخرة؛ يعني بأن له النار وأنه من أهل النار حتى نعلم أنه رد الحجة الرسالية بعد بيانها له بعد أن أقامها عليه أهل العلم، أو أنه قاتل تحت راية الكفر.

هذه هي المسألة الأولى، وطريقتنا في هذا الشرح ذكر إيضاح لهذه المسائل بما يتم معه فهم مرادات المؤلف رحمه الله تعالى، وليست مجال تقرير المسألة بكل ما يتعلق بها من فروع؛ لأن المقام يضيق عن ذلك، وموطن بيان هذه المسائل كتاب التوحيد وغيره من الكتب التي أُلفت في هذا الشأن.

المتن

(المسألة الثانية): أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] وكذلك في دنياهم ويرون أنّ ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى:١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ونهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ [آل عمران:١٠٥]، ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

الشرح

هذه المسألة الثانية وَصَفَ فيها أهل الجاهلية بأنهم متفرقون في دينهم ودنياهم،

عندهم العزة والكرامة في التفرق؛ لأنه يدل على استقلال كل بما عنده، وأنه لا يتبع أحدا، متفرقون في دينهم، كلٌّ له دين، بعضهم يعبد الملائكة، بعضهم يعبد الصالحين، بعضهم ينكر البعث، بعضهم يجحد الرسالة بعضهم يؤله عيسى، بعضهم يؤَلِّه عزيرا، ونحو ذلك، في دينهم لم يجتمعوا، كذلك في دنياهم، فبين الله جل وعلا أنه شرع لنا من الدين ما نجتمع به في الدنيا، قال جل وعلا: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في شرح هذه الآية في قاعدة الجماعة والفرقة: إن الأصل الأصيل الذي دعا إليه الأنبياء جميعا وهو الدين المشترك والإيمان المشترك هو الاجتماع على دين حق وعدم التفرق في ذلك وأكد ذلك جل وعلا بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، فذكر جل وعلا ما وصف به أمر المرسلين بقوله: ﴿وَصَّيْنَا﴾ وما أمر به النبي ﷺ بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، قال: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ﴾ فهذه الآية فيها الأمر بالاجتماع، ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ وإقامة الدين بالاجتماع على التوحيد؛ يعني على ما دعا إليه النبي ﷺ، بأن لا يكون في البلاد شرك، وأن لا يُقر الشرك وأن لا يكون هناك ما يَخْرِمُ أصل – الدين- لأنه إذا تفرق الناس في أصل الدين تفرقوا في الدنيا ولا شك، فأهل الشرك لما تفرقوا في الدين تفرقوا في الدنيا، فالتفرق في الدين يورث التفرق في الدنيا، وكذلك التفرق في الدنيا –يعني بعدم الاجتماع كما سنوضحه– يورث التفرق في الدين، فأمر الله جل وعلا بعدم التفرق في الدين وعدم التفرق في الدنيا؛ يعني بالأمر بالاجتماع والائتلاف في الأبدان والاجتماع في الدين، فهما نوعان من الاجتماع؛ اجتماع في الأديان واجتماع في الأبدان وأحدهما ملازم للآخر، لهذا قال أهل العلم: الجماعة في قول النبي ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**» ونحو ذلك من النصوص التي فيها ذكر الجماعة هو ما يكون من مجموع الأمرين، اجتماع في الدين واجتماع في الدنيا، يعني: اجتماع في الأبدان واجتماع في الدين، فكما أن النبي ﷺ خالف أهل الجاهلية في أنهم متفرقون في الدين فأتى بدين واحد يخضع له الجميع،

كذلك أمرهم بالاجتماع في الدنيا وأن يقروا لولاتهم وأن لا يخرجوا عليهم كما سيأتي إيضاحه في المسألة الثالثة.

قال جل وعلا: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] أنزلها الله جل وعلا على صحابة النبي ﷺ مع كون الذين كانوا قبل من اليهود والنصارى افترقوا على أكثر من سبعين فرقة؛ اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فنهانا الله جل وعلا عن التفرق في الدين بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ يعني أنه جل وعلا أمر بالاجتماع على التوحيد والاعتصام بحبل الله، وأن لا نتفرق في الدين وأن نجتمع على الكلمة العظمى كلمة التوحيد، وأن لا يُحْدَثَ فيما بيننا حدث مخالف لأصل الإسلام ولا مخالف لما أنزل الله على رسوله.

الآية الأخرى في قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣] فهذه الآية في الاجتماع في الدنيا، فإن الناس إذا تفرقوا في الدنيا؛ يعني تفرق بعضهم عن بعض بأن أطاع بعضهم طائفة وأطاع الآخرون طائفة أخرى وحصول هذا التفرق في الأبدان في الدنيا نتج عنه جزما التفرق في الدين ويبدأ صغيرا ثم يكون كبيرا، فكلما تفرق الناس في الدين نتج عنه فرقة في الأبدان، وكلما تفرقوا في الأبدان -يعني بأنْ يكون لكل طائفة مطاع لا يقرون بطاعة كبرائهم من ولاة الأمر- فإنه ينتج عن ذلك تفرقهم في دينهم فأمر الله جل وعلا بقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ في أبدانكم، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ عن من ولاه الله جل وعلا أمركم، لهذا جاء في الحديث -الذي سيأتي إن شاء الله تعالى- أن النبي ﷺ قال: «**إنّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرّقُوا، وأن تُناصِحوا من ولاه الله أمركم**» كان أهل الجاهلية يعتزون بالتفرق، ويعتبرون الطاعة مذلة ومهانة كما سيأتي في المسألة الثالثة، وهاتان المسألتان متصلتان ببعض، فإن أهل الجاهلية لمّا لم يطيعوا ولاتهم مع كونهم مشركين تفرقوا في دنياهم لأن إحدى المسألتين متصلة بالأخرى، فأتى الله جل وعلا بالاجتماع في الأمرين، وإنما تتم الشريعة بالأمرين

جميعا، اجتماع في الدين بأن لا نتفرق فيه، واجتماع في الدنيا بأن لا يكون في المسلمين أحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، ولهذا كلما نشأ في الإسلام ناشئة تُفَرِّقُ عن الجماعة الأولى وعن النهج الأصل، فإن ذلك يعد من التفرق والاختلاف، إذا كان ذلك عن آراء مستقلة وعن دين مستقل في الأصول، وهذا هو الذي حدث في الأمة فافترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**»، يعني التي اجتمعت في دينها واجتمعت في دنياها.

المَتْن

(المسألة الثالثة): أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ، وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد.

وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال: «إِنّ اللهّ يَرْضَىَ لَكُمْ ثَلاَثًا أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهّ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرّقُوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها.

الشَّرْح

رحم الله الشيخ رحمة واسعة، لم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم إلا بسبب الإخلال في هذه الثلاث أو بعضها، هذه الثالثة أهل الجاهلية كانوا فوضى، لا يقرون بولاية لأحد ولا يرضون ذلك؛ لأنهم يعتقدون أن الطاعة لبشر مثلهم أنها ذل ومهانة، كيف يطيع ويسمع له وهو مثله؟ بما فضل عليه؟ ويعتبرون عدم الطاعة دليل العزة ودليل الكرامة ودليل الرفعة، فخالفهم النبي ﷺ خالف أهل الجاهلية بأن أمر بطاعة ولاة الأمر - يعني: المسلمين - في غير المعصية، أمر بطاعتهم في المعروف، وأن لا يُخرج عليهم وأن لا يُفَرِّق الناس من حولهم، ولهذا كان أول من خالف هذا الأصل

الخوارج حيث إنهم خرجوا عن ولاية وخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بآراء اجتهدوا فيها، والنبي ﷺ أمر بالطاعة قال: «**أطع**»، قال: «**اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك**»، وقال في الحديث الآخر حينما سأله: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما صلوا**». «**إنه يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ولكن من رضي وتابع**». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما صلوا**». وفي رواية: «**ما أقاموا فيكم الصلاة**»، وفي حديث آخر قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»، فما دام أن الوِلاية يصح عليها اسم الإسلام، ولم تنتقل عنه إلى الكفر ولم يُحكم بردتها، فالطاعة والسمع واجبان، وتجميع الناس حولها ما دام اسم الإسلام باقيًا واجب؛ لأنه ما يحصل للناس من الاجتماع ولو كان هناك نقص في بعض أمور الدين فإنه ما يحصل من الاجتماع أضعاف أَضعاف ما يحصل من المصلحة مع التفرق، وأنتم إذا نظرتم إلى تاريخ المسلمين، وجدتم هذا الأصل خرم في مواضع وكلما ظن الناس أنهم بخروجهم على الوالي المسلم أنهم سينتجون خيرًا فإنه ترتد عليهم ولا يكون ذلك خير، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يأتيكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**» خرجوا على بني أمية ولم يقروا لهم، وقامت دولة بني العباس ومع ذلك لم تكن دولة بني العباس كدولة بني أمية، وهكذا في نزول من الزمان، فأتى النبي ﷺ بمخالفة المشركين في ذلك، وقد كان الواحد من المشركين ينصح بالاجتماع وينهى عن التفرق فقال أحد منهم:

لا يصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ... ولا سَراة إذا جُهالهم سادوا

كانوا يؤمرون بأن يرجعوا إلى كبرائهم، ولكن ما كانوا يطيعون، بل كانت الجزيرة العربية فيها من القيادات والاختلاف قبل مبعث رسول الله ﷺ ما لا يحصى ولا تغيبن عنكم الحروب الدائرة في الجاهلية وأسباب ذلك.

إذن فهذا الأصل من الأصول العظيمة، قال رحمه الله: وأبدى فيه – يعني: النبي ﷺ– وأعاد وغلظ في ذلك، من التغليظ أنه قال: «**اسمع وأطع ولو ضرب ظهرك وأخذ**

مالك» تسمع وتطيع لِمَ؟ لأن أخذ المال وضرب الظهر هذا مفسدته عليك وستلقى ربك أنت وهو، ويقتص لك منه، لكنك إذا لم تطع تعدى ذلك إلى الناس فصار الاختلاف وصارت الفرقة ومعها لا يكون الاجتماع في الدين.

في هذه الجزيرة قبل دعوة الشيخ محمد رحمه الله تعالى كان الناس متفرقون كل في جهة، كان في شرق الجزيرة العربية كانوا يدينون للولاية العثمانية، وكانوا في غربها يدينون للأشراف وفي وسط الجزيرة – يعني: في نجد- لم تكن تحت ولاية؛ إنما كان لكل بلد أمير ولكل بلد والي يطيعه أصحابه وكان في ذلك من القتال ما تعلمون حتى إنه في يوم واحد في بعض القرى القريبة من الرياض في يوم واحد قُتل أربعة؛ كان أمير فقتله آخر وتولى الإمارة، وقتله ثالث وتولى الإمارة، وقتله رابع وتولى الإمارة في يوم واحد، وهي كلها قرى لا تزيد القرية عن مئات إن كثرت.

فأنعم الله جل وعلا على هذه البلاد بدعوة التوحيد، واجتمع الناس في دينهم وفي دنياهم ولا شك أن التفرق في الدنيا سيورث التفرق في الدين والتفرق في الدين يورث التفرق في الدنيا وإنما يحصل –كما قال الشيخ- يحصل الفساد في الناس من الإخلال بأحد هذه الثلاث أو بها جميعا؛ إذا أشركوا وقع الشرك، إذا لم يجتمعوا في الدين ولم يجتمعوا في الدنيا، إذا لم يطيعوا ولاة أمورهم ولم يناصحوهم فإنه يقع الافتراق في الدين والدنيا، وهذه أصول عظيمة، هذه كما ذكر جمعها النبي ﷺ بقوله: « **إنّ اللّهَ يَرْضَىَ لَكُمْ ثَلاَثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرّقُوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» وهي مسائل عظيمة أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا دائمًا فيما بيَّنه إمام هذه الدعوة من المسائل العظيمة التي نحتاج إليها ولا شك في كل وقت في هذا الزمان، ومذاكرتها والتذكير بها ضروري، يعني: حبذا لو يكون في المجالس أن تؤخذ مسألة، مسألة، من هذه المسائل ويُقرأ شرحها للألوسي أو لغيره، وينظر فيها ويتأمل لأنها أشد ما تكون الحاجة إليها كما قال في المقدمة – قال: لا غنى للمسلم عن معرفتها-.

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينور قلوبنا جميعًا، وأن يجعلنا متبعين لنبينا ﷺ، وأن يعلمنا العلم النافع وأن يرزقنا الدعوة إليه والصبر على الأذى فيه، وأسأله جل وعلا أن يجعل آخر أيامنا خيرًا من أولها وأن يجعل أعمالنا في قرب منه وازدياد وزلفى إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأسأل الله جل وعلا لي ولكم الثبات إلى الممات والاستعداد ليوم لقاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين(١).

---

(١) **الأسئلة**

١- **يقول**: ما رأيكم فيمن يقول: إن على العَالِم أن يُعَلِّمَ منهج السلف الصالح دون التطرق إلى الفرق الضالة وأصحاب المناهج الضالة ألا يدخل في مقولة عمر رضي الله عنه تنقض عرى الإسلام عروة عروة؟

والجواب: أن هذا الكلام غير دقيق وليس بصحيح بل هو غلط؛ لأن الرد على المخالف في دين الإسلام، الرد على المخالف من أصول هذا الدين؛ لأن الله جل وعلا هو أول من ردّ، وأعظم من رد على المخالفين لرسول الله ﷺ، وهو الذي حاجهم بنفسه جل وعلا، فالرد على المخالفين من أعظم القربات، يقول شيخ الإسلام: وهو من أعظم أنواع الجهاد. وهذا صحيح وقد يفوق جهاد الأعداء الخارجيين؛ يعني: أن مجاهدة العدو الداخل أعظم من مجاهدة العدو الخارج؛ لأن العدو الخارج بينةٌ عداوته أما العدو الداخل فهذا قد يخفى، ومن أعظم العداوات أن ينشأ في المسلمين من يدعوهم إلى غير منهج السلف؛ لأن هذا كالبدع والشركيات والمناهج الضالة من منحرفة كالرافضة والخوارج ونحوها فإن هذا لا شك أنه الرد على هؤلاء من أعظم القربات، الخرافيين الصوفيين أهل الطرق ونحو ذلك كل هؤلاء الرد عليهم من أفضل القربات وأعظم الطاعات، وهو نوع من الجهاد لا بد منه قال جل وعلا: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٥٢] ومجاهدتهم بالقرآن وبالعلم من أعظم أنواع الجهاد، أما أن يتركوا ويسكت عنهم، فمتى يعرف الحق؟ إذا سكت العالم عن بيان ضلال الضالين، متى يعرف الحق؟ لأننا يجب علينا أن نرعى الدين، الدين علينا أهم من الأشخاص فإذا كان الرد على فلان يحمي حمى الدين -هذا المخالف- ولا مفسدة راجحة في الرد؛ من سفك دماء ونحوه، فهذا يتعين الرد، فالرد على المخالفين من أصول الإسلام ولا شك. فقوله أنه عليه أن يبين منهج السلف دون التطرق إلى الفرق الضالة كلام غير دقيق وليس بصحيح.

٢- يسأل عن آية آل عمران هل هي في الدين أو في الدنيا؟ وهي قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

لا؛ هي في الدنيا، لِمَ؟ لأنه قال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣] ما كان الرجل من الأوس مع الآخر من الخزرج متآلفان متحابان، ما كان يرضى الرجل الذي في المدينة مثلًا من الأوس أو الخزرج أن يأتيه واحد من قريش ويسكن مكانه، ما يرضى، لو يأتي يفعله =

= ربما فعل به وفعل، فكان بينهم عداوات فما بينهم تآلف ولا تحاب، فأمر الله جل وعلا بأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا نتفرق يعني: في الدنيا.

٣- قد ذُكر في الكتاب أن هذه المسألة -يعني: المسالة الأولى- شرع من أجلها الجهاد فأرجو توضيح ذلك.

لا شك أن النبي ﷺ إنما جاهد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وليكون الدين كله لله جل وعلا، كما قال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩] وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٣] - يعني: جميعًا- وقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨]، فالمأمور به العباد أن يخلصوا الدين، إذا ما أخلصوا الدين لله جل وعلا فإنهم يُجاهَدون جهاد كفر كما فعل النبي ﷺ ، من أجل هذه المسألة جُوهد المشركون واستبيحت دماؤهم وأموالهم، ومن أجلها تفرق الناس إلى مسلم وكافر فالدماء بأي شيء أبيحت؟ لأجل الكفر، دماء المشركين أُبيحت لأجل أنهم مشركون لأجل أنهم يشركون مع الله جل وعلا آلهة أخرى، فهذه المسألة هي التي يُجاهد من أجلها لأنها أعظم ما يجاهد من أجله.

٤- يقول: بالنسبة لقولكم في الجاهلية بالنسبة للزمان المطلق، وتعليقكم على عدم دقة القول بجاهلية القرن العشرين؟

أنا ما قلت هناك أن القول غير دقيق أنا قلت أنه غلط من أصله- ألا تحمل على أن معظم الناس اليوم في جاهلية؟

هذا أيضا غلط آخر، الشيخ رحمه الله تعالى، الشيخ محمد في وقته الذي الجاهلية فيه أكثر من هذا الزمان، قال: ولا أقول إن أكثر الناس على الشرك، وأنّ الناس ارتدوا إلا طائفة كذا وكذا. وهذا الذي نعتقده، بخلاف ما ينقل عن الدعوة في بعض الأمصار، أنهم يعتقدون أن من هم خلافهم أنهم مشركون، يقول الشيخ رحمه الله تعالى: فإنني لم أكفر إلا بما أُجمع عليه، وأكثر الأمة والحمد لله ليس كذلك. فقوله هنا: (ألا تحمل على أن معظم الناس اليوم في جاهلية) هذا كلام ليس بصحيح، قد يكون في بعضهم جاهلية لكن معظم الناس في جاهلية هذا غير دقيق؛ لأن قوله: (في جاهلية) يعني: أيش يعني: جاهلية كاملة -يعني: الكفر- وهذا غلط؛ لأنه لو قال الأخ: على أن معظم الناس اليوم عندهم خصال من الجاهلية لكان صحيحًا، أما أن يقال أنهم في جاهلية اليوم فهذا تعبير لا يستعمله أهل العلم.

٥- يقال عندما يتعدى الإمام بالضرب وأخذ المال يُصبر عليه كما قال النبي ﷺ ، ولكن لو مسّ العِرضَ فهل يُصبر عليه أيضًا؟

قوله هنا: (لو مسَّ العِرض) هذه مجملة تحتاج إلى تفصيل.

من مسَّ العِرض إذا كان بالتعدي على العرض مباشرة فإنه يُقاتِل المرء دون عِرضه؛ يعني: أتى والي من الولاة ودخل يريد أن يأخذ زوجتك أو يتعدى عليها تقاتل دون ذلك، فإن قُتلت دون عرضِك فأنت شهيد. =

= أما مسّ العرض بمعنى أن يكون هناك مثل ما يكون في هذا الزمان من الإعلام ونحوه الذي يفسد النساء، ويُفسد الأعراض فهذا لاشك أنه لا يدخل ضمن الأول؛ لأنّ هذا ليس متعينًا ولا موجهًا إلى واحد بعينه، وإنما عليه أن يتحصّن بالدين، وهذا من جنس الفتن ومن جنس أنواع البلاء والمعاصي التي تنتشر في الناس بأمر الولاة ونحوهم، وهذا لا يخرج به المرء عن الإسلام، فكيف إذن لا يُصبر عليه؟

فإذن العبارات المجملة ينتبه أصحابها.

٦- هذه ملاحظة جيدة يقول: نلاحظ أن بعض الطبعات فيها حذف وزيادة ونقص.

هذا صحيح طبعات الكتاب بعضها يزيد وبعضها ينقص، بعضها فيه اختلاف في بعض الألفاظ بل إن بعض الطبعات فيها ذكر قريب من مائة مسألة تزيد قليلًا، وبعضها فيها مائة وعشرون مسألة أو تزيد، فعليه أن يقابل بين ما نقرأ وما عنده ويضيف [...].

٧- يقول: نرجو توضيح ما إذا كان المصرّ على كفرٍ من العُبّاد الجاهليين دعاة الصالحين والأولياء، بعد أن بين له الأمر وما هو عليه ثم أقرَّ وأصرَّ على ما هو عليه، أو أنه قاتل تحت راية كفر، هل تنطبق عليه أحكام الكفار في الآخرة أم يبقى كمن لم يبين له؟

الجواب: أن من قاتل تحت راية كفرية معتقدًا صحة ما قاتل لأجله ولو لم يصله البيان بمفرده فإنه إذا مات يشهد عليه بالنار، كما فعل الصحابة - الصديق ومن معه- مع المرتدين لما أسروا من أسروا قال ما تركوهم حتى يشهدوا بأن قتلاهم في النار، وأن قتلى المسلمين في الجنة، فمن قاتل تحت راية كفر غير مكره معتقد صحة ما قاتل له ولو لم يبين له بمفرده فإنه يكون كافرًا ظاهرًا وباطنًا، يُشهد عليه بالنار، أما إذا خرج معهم ولم يقاتل ونحو ذلك فهذا ليس له هذا الحكم [...].

٨- أيضًا هذا سؤال جيد يقول: هل كل المسائل التي ذكرها المؤلف مخرجة عن الملة؟

الجواب: لا، هذه المسائل اشتملت على ما هو شرك أكبر، وما هو كفر، وما هو شرك أصغر، وما هو بدعة وما هو محرم. اشتملت على هذه الأنواع سيأتينا إن شاء الله تعالى كل هذه الأنواع، بعضها مثل التقليد في المسألة الرابعة قال: إن دينهم مبني على أمور أعظمها التقليد، التقليد على النحو ذاك محرم، قد يكون شركًا أكبر، إذا كان تقليدًا في التحليل والتحريم ونحوه. إذن فالمسائل هذه ما تأخذ المسألة تقول أنها شرك لأنه ذكرها الشيخ في مسائل الجاهلية، لا، هذه خصال كان عليها أهل الجاهلية بعضها يكون شرك وبعضها ليس كذلك.

٩- هذا سؤال الحقيقة كثيرًا ما يرد ومع كثرة إيضاحه وبيانه ما زال يورد، فلا أدري سبب إثارته دائما، يقول: ما رأيك فيمن أو بمن قال: - دائما في الأسئلة تحاولوا أنكم تسألون عن القول لكن بمن قال نتركه- ما رأيك بقول أو عن قول من قال: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله خرج على العثمانيين، وكيف نرد عليه؟

الجواب من جهتين:

الجهة الأولى: أنه كما ذكرت لكم نَجْد في وقت الشيخ لم تكن تحت ولاية العثمانيين، بل إن نجدًا من =

المتن

(المسألة الثامنة): الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء كقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)﴾ [الشعراء:١١١]، وقوله: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾[الأنعام:٥٣] فرده الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)﴾ [الأنعام:٥٣].

(التاسعة): الاقتداء بفسقة العلماء والعباد، فأتى بقوله: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

= سنة ٢٦٠ هـ وهي لم تخضع لوِلاية، لا ولاية العباسيين ولا ولاية أخر، كانت مستقلة، تسلط عليها بعض الخوارج من ذلك الوقت وطائفة من أهل اليمن ونحوها، يعني: استقلت لم تدخل تحت طاعة من ذلك الوقت، وكانوا في تفرق فلم يُجبر أهلها ولم يخضعوا لبيعة وإنما كانوا مستقلين، لما ظهرت الدولة العثمانية كانت نجد كل بلد لها أميرها، فما خضعوا تحت الخلافة العثمانية في أول ما قامت لأنه أول ما قامت كانت على إسلام صحيح بعد ذلك انحرفت على الجهة الثانية.

هذا الذي أتى الشيخ وهم على هذا النحو كل بلد لها أمير، ما يقرون بطاعة لبني عثمان بخلاف الأحساء والمنطقة الشرقية وهؤلاء يقرون بالولاية للعثمانيين، والوالي على الأحساء ونحوها تحت ولايته، كذلك الأشراف ونحوهم كان عندهم نوع استقلال لكنهم تحت الولاية العامة، أما نجد فكانت مستقلة، هذا من جهة.

الجهة الثانية: أنه في وقت الشيخ رحمه الله تعالى كان العثمانيون يدعون إلى الشرك الأكبر وإلى الطرق الصوفية ويحببون ذلك وينفقون على القبور وعلى عبادتها ينفقون عليها الأموال، فمن هذه الجهة لو كانت نجد داخلة تحت الولاية لما كان لهم طاعة لأنهم دعوا إلى الشرك وأقروه في عهودهم الأخيرة، أما في الثلاثة أو المائتين وخمسين سنة الأولى (٢٥٠ سنة الأولى) كانوا على منهج، يعني: كانوا في الجملة جيدين، لكن لما كان سنة ١١٠٠ تقريبًا وما بعدها لما كثر الشرك في المسلمين هم كانوا ممن يؤيدون ذلك تأييدًا وينفقون عليه، وقد وجد من أقوال الخلفاء العثمانيين -حسب التسمية الشائعة- ولاة بني عثمان وجد منهم من يكتب أدعية فيها استغاثة بالرسول ﷺ أو استغاثة بالأولياء ونحو ذلك.

فالجهة الأولى هي المعتمدة التي ذكرتُ لك في الجواب الأول، والثاني فرع عنه.

١٠- يقول: هل نقول إن أهل الجاهلية الأولين في عهد الرسول ﷺ كانوا يعلمون أنهم على باطل؟

كلامك صحيح أهل الجاهلية كما يقول إمام الدعوة ليس كفر من كفر منهم عن عناد واستكبار بل بعضهم كفر عن تقليد؛ تقليد لأكابر وبعضهم كفر لأجل عدم العلم، قال جل وعلا: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤)﴾ [الأنبياء:٢٤]. فلم يكونوا يعلمون أنهم على باطل، لذلك القلة منهم كانوا يعلمون لكنهم كانوا مستكبرين لكن الأكثرون كانوا لا يعلمون بين لهم البيان العام - أنزل القرآن دعا النبي ﷺ الناس- فمن صد فهو كافر مشرك. نختم بهذا ونسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤]، وبقوله: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧].

(العاشرة): الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم كقوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:٢٧].

الشَّرح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأَرِنَا الباطل باطلًا ومُنَّ علينا باجتنابه، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا، نعوذ بك من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

في المعنى العام للمسائل التي قبلها وذلك أن المسائل التي قبلها كانت في ذكر الاستدلال؛ استدلال المشركين وأهل الجاهلية على ما هم عليه من الباطل بأنواع من الأدلة.

فذكر من تلك الأدلة أنهم يستدلون بالأكثر على الصواب، وأنّ الشيء يعرف بأنه حق إذا كان أتباعه هم الأكثرين.

وذكر من أدلتهم أنهم يحتجون بالأولين والمتقدمين.

وذكر من استدلالاتهم أنهم استدلوا بقوم أُعطوا قوى، أُعطوا أفهامًا، وأُعطوا علومًا، يستدلون بهم وبأحوالهم على بيان صلاح ما هم عليه وبطلان ما جاءت به المرسلون.

وهذه المسألة هي من تلك المسائل، وهي أنهم يستدلون على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، وهذا نوع من الأدلة التي يستدل بها أهل الجاهلية في الماضي، ويستدل بها كل من كان فيه شعبة من شعب أهل الجاهلية في كل زمان ومكان،

يستدلون على بطلان أمر من الأمور بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، وذلك أنه في ظاهر أفهامهم أن أهل الشرف والسيادة وأهل الرفعة والريادة وأهل الوجاهة والمال هم أحرى بأن يكونوا أوصل للحق وأعرف بالحق وأحسن استدلالًا عليه، فكيف يكون الضعفاء الذين هم أضعف عقولًا، وأضعف أفهامًا عندهم، كيف يصلون إلى الحق دونهم؟ فاستدلوا بذلك على أن أولئك الضعفاء عقولهم ليست صائبة، وأفهامهم ليست مستنيرة، وأنهم هم أهل الأفهام وأهل العقول، وإذا كان كذلك تم لهم الدليل بأن ما جاءت به المرسلون إنما اقتنع به الذين ليس لهم عقول صائبة، وليس لهم عقول مستنيرة، وليس لهم أفهام جيدة وقرائح قوية، فدل ذلك على بطلانه، إذْ لم يقتنع به أهل الفهم، يقتنع به أهل العلوم، لم يقتنع به أهل الجاه، أهل المال، الرؤساء، الأشراف، الملأ، ونحو ذلك.

وهذا الاستدلال في أصله صحيح شرعًا، ولكنهم هم استدلوا به، فخلطوا ولم يزنوه بالميزان الشرعي الصحيح، وكيف ذلك؟ صحيح أن كل من كان أوفر عقلًا وأجود ذهنًا وأصح قريحة أنه يصل إلى الحق، وأنّ من كان دونه في الفهم، ودونه في العقل، ودونه في إتيان اللب والفهم، هذا يكون أبعد من الذي قبله في الوصول إلى الحق، ولهذا ذَكَّرَ الله جل وعلا المشركين بأنه أعطاهم ألبابًا وأعطاهم عقولًا، لكن هذا الأصل لما كان صحيحًا كان حال المشركين معه منقلبة ومنعكسة؛ لأنه يثبت بذلك أنّ من استجاب للحق وتبع المرسلين أنهم هم أهل العقول وهم أهل الألباب وهم أهل الفهم، قال جل وعلا ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]، والمشركون لم يعقلوها فثبت أن من عقلها هم العالمون، وإن كانوا عند أولئك أقل فهما، كذلك قال جل وعلا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩] فالذين يتذكرون ويتبعون الرسل هم أولوا الألباب وهم أولو العقول.

إذن فهؤلاء المشركون، وأولئك المشركون كيف لم يتم لهم هذا الاستدلال، مع

أنه في أصله صحيح؟ ذلك أنهم إن ظنوا أنهم هم أهل العقول، وهم أهل الأفهام، وهم أهل الألباب، فذلك قد يكون صحيحًا في نفسه لكن العقل يصرفه عن فهم الحجة ويصرفه عن اتباع الحق أنواعًا من الصوارف كانت متوافرة في أولئك المشركين، متكاثرة فيهم، ظاهرة بادية في حالهم وشأنهم:

وأعظم تلك الصوارف الاستكبار والهوى: ذلك أن الهوى يغطي العقل عن رؤية الحق وهم كانوا أهل هوى فالهوى كان صارفًا لاستعمال عقولهم فيما ينفع ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[الفرقان:٤٣]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

من الصوارف أيضًا التي جعلت عقولهم ضعيفة وأفهامهم كليلة، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا وأنهم هم أولو الألباب.

من الصوارف الغنى، والله جل وعلا بين بأن الإنسان يصرفه المال عن رؤية الحق فقال جل وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٦-٧]، فالإنسان إذا رأى نفسه غني، غني وكثر ماله كان ذلك في الأكثرين صارفًا لهم عن رؤية الحق وعن اتباع الحق؛ لأن للمال بهرج وله زينة، فيحتاج صاحب المال إلى التجرد العظيم والإخلاص الأعظم الذي يصرفه عن الركون إلى تلك اللذة وذلك الإغراء حتى يقبل الحق، فكان هذا صارفًا لأذهانهم من قبول الحق ومن رؤيتهم الحق حقًّا، ومن استعمالهم ما أعطاهم الله جل وعلا من الألباب في إبصار الهدى واتباع المرسلين.

من الصوارف أيضًا ما هم فيه من الجاه فكانوا أهل جاه، إما في نسب كشرف النسب غير كسبي، وإما في رئاسة وترفع وسُؤْدَد بين الناس، ونحو ذلك من أنواع الجاه، الجاه صاحبه يغطِّي عقله إذا لم يكن مبصرًا البصر الشرعي، فلهذا ردوا الحق لأنهم كانوا على جاه امتنعت عقولهم من رؤية الصواب لأجل غطاء الجاه وغطاء السُؤْدَد.

ومن الصوارف أيضًا العُجب بالنفس واعتقاد رفعتها، فإذا اعتقد المرء في نفسه

أنه أرفع من غيره فإنه يصده ذلك عن قبول الحق إذا جاء به غيره، ولهذا فإن المشركين قالوا ما قالوا حيث قال طائفة منهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف:٣١] أرادوا أن تكون الرسالة في العظماء الذين هم أعلى منهم رتبة وشرف حتى لا يكون في صدورهم حرج من اتباعه، وأنواع من الصوارف كثيرة.

هذه المسألة ذكر فيها إمام الدعوة رحمه الله نوعًا من أنواع الصوارف وحجة واستدلالًا لهم يستدلون به، ذلك الاستدلال أنهم يستدلون على بطلان الشيء المراد إثبات أنه حق بأنه ما اتبعه إلا الضعفاء، والضعفاء يشمل -يعني: هذا الاسم- يشمل كل ضعيف مالًا وجاهًا ونسبًا وغير ذلك من أنواع الضعف الذي يكون بين الناس.

احتجوا بهذا على أنه لو كان الحق - لو كان هذا الذي جاء به الرسول حقًّا- لكنا أحرى به ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: عن الذين آمنوا ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف:١١] فهذا نوع، كذلك ما قص الله جل وعلا في قصة نوح من الآيات التي استدل بها المصنف رحمه الله تعالى حيث قال الملأ من قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧] هذه الآية في سورة هود، أو الآية التي استدل بها المؤلف ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء:١١١] ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذل وهم الضعفاء، هم الدون ذلك أن هذه المادة رذل أصلها في اللغة للشيء الأدون، يعني إذا كان ثَمَّ شيئان عال ودون، فالدون هو الأرذل من الأمرين؛ يعني أنهم قسموا الناس إلى فريقين: أشراف وسادة وملأ، وآخرون هم الضعفاء وهم الأراذل، وقال جل وعلا في هذه الآية مخبرًا عن قول قوم نوح لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾، ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ يعني أنصدق بما جئت به ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾، وفي قراءة أخرى: (**وأَتْبَاعك الْأَرْذَلُونَ**) وهي ليست بسبعية؛ (**وأَتْبَاعك الْأَرْذَلُونَ**) يعني: كيف يكون الصواب مع أولئك مع أنهم الضعفاء وهم

الأرذلون، وقد قال المفسرون: إن أكثر أتباع نوح كانوا من أهل الصناعات بعضهم أهل حياكة، وبعضهم أهل نجارة، وبعضهم أهل بيع وشراء، ونحو ذلك، فاستدلوا بنوع المتبعين لنوح عليه السلام استدلوا بذلك على بطلان ما جاء به ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ الإيمان هاهنا لغوي يعني: التصديق. وضابط ذلك: أن الإيمان في القرآن عُدِّي تارة بالباء وعدي تارة باللام.

والغالب فيما عدي بالباء أنه الإيمان الشرعي، المعروف تعريفه.

وما عدي باللام يراد به المعنى اللغوي، قال جل وعلا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]، فلما عُدي الإيمان باللام علمنا أنه لغوي، وهو التصديق الجازم الذي لا يخالط صاحبه شك فيما خوطب به، أو في الشيء.

هنا ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ يعني: أنصدق لك تصديقًا جازمًا لا امتراء فيه والذين اتبعوك هم الأرذلون ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾، فمنعهم هذا النوع من تصديقه ومن اتباعه.

ولم يكن هذا في قوم نوح فحسب بل كان هذا في العرب وفي قريش بخاصة، فلما اتبع النبي ﷺ أولئك الصحب الكرام، الصفوة المنتخبون، قال المشركون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام:٥٣] كيف يكون هدى الله يهدي به أولئك الذين هم ضعاف، الذين هم موالي، الذين هم صغار السن ونحو ذلك؟، فأجابهم الله جل وعلا بقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام:٥٣]، الله أعلم حيث يجعل هداه وحيث يجعل توفيقه،فهل أنتم تتحكمون في فعل الله جل وعلا.

إذن لو استعملوا عقولهم لوصلوا إلى الصواب، لو لم تكن على قلوبهم أنواع من الغشاوات لوصلوا إلى الصواب والحق، ولكن عقولهم لم تكن نافعة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:٢٦]، فأولئك لم ينفعهم العقل ولم ينفعهم ما أوتوه من الفهم، فكان حقًّا أن يكون أولئك الأقوام الضعفاء فيهم هم أهل العقل، وهم أهل الفهم، وهم أهل الإدراك لهذا قال بعض السلف: كم من لبيب ولا لب له، وكم من

عاقل ولا عقل له. كم من لبيب أعطاه الله جل وعلا لبا يفهم به الأشياء ولكنه في الواقع لا لب له، لم؟ لأنه انصرف عما ينجيه في الآخرة هل يكون من عقل العاقل أن يقتحم الردى ويضع نفسه على دكادك من نار هل هذا من العقل ؟هل هذا من اللب؟ هل يكون العاقل الذي يجحد الحق الذي سيوصله لو اتبعه إلى الجنة ويرضى بزينة الحياة الدنيا القاصرة الفانية الهالكة عن الجنة؟ يرضى بأن يكون من أهل النار أو بأن يتعرض في الآخرة للعذاب وهو في الجنة يتبع عرضًا زائلًا؟ ليس هذا بعاقل ولهذا أعقل العقلاء أكملهم إيمانًا، ولو كان في الناس ضعيف العقل، إذا كان أكمل إيمانًا، وكمل إيمانه ولو كان في الناس وضيعًا لا مال له، فقيرًا ليس بذي سؤدد وليس بذي شرف، وليس بذي جاه لكنه هو الذي لو أقسم على الله لأبره، وهو صاحب العقل، وهوصاحب اللب، فما أحسن قول القائل: كم من ذي لب ولا لب له، وكم من ذي عقل ولا عقل له.

هذه المسألة التي هي من صور أهل الجاهلية ومن شعبهم ومن مسائلهم، ومما اختصوا به، هذه المسألة جاءت إلى المسلمين وكانت فيهم لأنها من سَنَنِ أهل الجاهلية والنبي ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**» وفي رواية أخرى قالوا: يا رسول الله فارس والروم؟ قال: «**فمن الناس إلا أولئك**».

فهذه الأمة جاءت فيها هذه الشبهة وذلك الاستدلال، وذلك في أصناف من هذه الأمة:

الصنف الأول: هم أهل الرئاسة بأنواع من الرئاسات، وأولئك إذا رأوا المتبعين للهدى وللحق تنقصوهم وتنقصوا عقولهم، وقادهم ذلك التنقص إلى أنّ هذا الذي هم عليه ليس هو الصواب، فإذا رأوا من يتمسك بالسنة احتقروه، واستدلوا بأنه من أهل الفقر والمسكنة، من الموالي، من غير أشراف الناس، على أنه إنما اختار هذا الطريق، واختار هذا النحو لأجل ضعف عقله وهم أهل العقول الكاملة وهم الكَمَلَة

الذين هم عند أنفسهم أصحاب فهْم، فيستدلون بفهْمهم ومعرفتهم وعقولهم على أن هذا ليس هو المراد بالشريعة، وهذا كان في كثيرٍ من أصحاب الرياسات، فكانت تلك الرياسات معطلة لعقولهم عن رؤية الصواب.

الصنف الثاني: قوم من العقلانيين الذين درسوا الفلسفة، وعرفوا المنطق، وكانت لهم عقول وأفهام وذكاء، لكنهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم: أُوتوا عقولًا ولم يؤتوا فهومًا، وأوتوا ذكاءً ولم يؤتوا زكاء. أولئك أهل الفلسفة ينظرون إلى من يسمونهم بالحشوية، ينظرون إليهم وما هم عليه بأنهم هم الأراذل هم الضعفاء، ضعفاء في العقل، ضعفاء في الفهم، فيقودهم ذلك لأن أولئك الذين وسموهم بالضعف والرذالة بأن أولئك لم يعتنوا بعقولهم -يعني عقول أولئك الفلاسفة-، لم يعتنوا بمنطق اليونان، لم يعتنوا بالفلسفة، لم يعتنوا بتلك الدلائل التي يسمونها عقلية ليس عندهم سعة في العلوم، إنما مدارهم على النقل، ليس عندهم فهم إنما هم ينقلون قال الله وقال رسوله، لم يدخلوا في الفهم بعقولهم، يستدلون بضعفهم عن المشاركة على بطلان هذا النوع، فيقولون: لو كان ذلك صوابًا لكان وصل إليه فلاسفة الأمة طالب الحكمة منهم، هؤلاء هم أهل العقول العالية وهم أهل الفهوم السامية، فلا بد أن يكون هناك تقديم لطريقة أولئك على طريقة أولئك الحشوية. هذه كانت في قرون، ثم وصل بطائفة من الفلاسفة أن حاولوا الجمع بين الطريقتين، لم يصدعوا بالحق ولم يروه تمامًا، حيث إن من اتبع الكتاب والسنة ولم يدخل في ذلك بعقله يعني: العقل المعارض للكتاب والسنة، لم يدخل في ذلك بعقله، حاولوا أن يجمعوا بين الطريقتين، كما جمع بينها ابن رشد ونحوه، فحاول أن يجمع بين طريقة المتكلمين الذين يحتقرون الناس ممن عداهم وبين طريقة أهل الأثر في عدة مصنفات لهم، لهذا سموهم الحشوية ماذا يعنون بكلمة الحشوية؟ يعني: أنهم حَشْو الوجود، ليسوا هم النخبة، ليسوا هم المتميزين، إنما هم حشوية لا قيمة لهم، كما قال أولئك: إن أتباع الرسل هم الأراذل وهم الضعفاء. كذلك قال من ورِثهم من هذه الأمة: إنّ من اتبع

الكتاب والسنة واتبع الحديث والأثر وأثبت ما أُثبت فيهما إنما هم حشوية يعني حشو في الوجود، حشوًا في هذه الأمة ليسوا معتبَرين مهما قالوا ومهما فعلوا.

أيضًا دخلت تلك المسألة في أهل الغِنى من هذه الأمة أهل الأموال، فأهل الأموال من هذه الأمة غرهم غناهم، يعني: من غره منهم غناه فكان إذا أتاهم بالحق من ليس بأهل غنى تراه لا يسمع، تراه يجد في نفسه صدودًا عنه، إذا جالسه من ليس من أهل المال، وليس من أهل الغنى، وليس من أهل الزينة في لباسه وفي مركبه، وفي بيته ونحو ذلك، تراه لا يعير لقوله اهتمامًا، وذلك أنه يستدل بضعفه على أن ما جاء به وما قاله ليس بحق، كما قال أولئك.

أيضًا دخل ذلك في الأمة وهذا يتجلى في هذا العصر بالذات دخل فيمن يسمونهم العصريين من الإسلاميين يعني: ممن اهتموا بالفكر، اهتم بالفكر طائفة من هذه الأمة، ورأوا أن عرض الإسلام عن طريق الفكر وعن طريق الجمع بين منتجات الحضارات من الأفكار وما جاء في هذه الشريعة أنه يُخرج للناس ما يقتنعون به، فإذا كان الحق رأوه عند من ليس مفكرًا ومن لم يعتنِ بهذه الفكريات احتقروه؛ لأنه عندهم ناقص العقل، ناقص الفهم، بليد الذهن، وهذا كثير فتجد أن كثيرين ممن كتبوا الكتابات الإسلامية إذا خاطبهم من يعتني بعلم الكتاب والسنة وبعلم الأثر الذي هو أعلى العلوم وصفوة العلوم وأصوب العلوم، رأيت عندهم في أنفسهم - وقد يُظهرون - احتقارًا له وردًّا لما جاء به لِمَ؟ لأنه ضعيف عندهم بتلك العلوم الفكرية، ولهذا وَاجَهَنَا كما واجه ربما كثيرون منكم أنه يعاب على من يكثر التفقة في الكتاب والسنة في هذا العصر، يعاب عليه؛ لأنه ليس عنده علم بهذه الأمور الفكرية الجديدة بأنواع من الفلسفات الفكرية وأنواع من الدراسات الإسلامية الحديثة، يعيبون عليه، وهذا ليس بعيب؛ لأن الله جل وعلا جعل أهل اللب وأهل الفهم إنما هم أهل الاتباع لكتابه ولسنة نبيه ﷺ.

أهل التذكر هم أُولُو الألباب، فكلما كان الرجل أطوع لله وأتبع لسنة النبي ﷺ

كلما كان هو ذو اللب، وكان هو كلما كان هو ذا اللب كان ذا الفهم؛ لأن هذه الأمور لم يطالب بها الشرع، وهذا داء سرى في طوائف في هذه الأمة، وأخشى أن يتسرب إلى هذه البلاد التي هي خلاصة في دعوتها لاتباع الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح.

أيضًا دخل في طائفة نختم بها هذه الطوائف دخل في طوائف من الدعاة والدعوات، ذلك أن طوائف من أولئك الذين يعتنون بالدعوة -مشكورين- رأوا أنهم كلما كان عندهم معرفة أعظم بالواقع على اختلاف صنوفه وأحواله من قياسات ومن فكريات، ومن أحوال، ومن تقلبات، ومن دراسات، كلما كانوا أقرب إلى الصواب، ويرون أن من لم يعتني بتلك العلوم من العلماء ومن طلبة العلم أنهم هم أضعف منهم فهمًا وأقل منهم نظرًا وأقل منهم تسديدًا وصوابًا، وهذا أيضًا من آثار أولئك، لأنه فيه اعتناء بفهومهم، واحتقار للآخرين باقتصارهم على النقول على الكتاب والسنة، ليست معرفة تلك الأمور مرذولة ومردودة بل العلم بتلك الأشياء مطلوب شرعًا - بحده المطلوب شرعًا على ما يقرره أهل العلم-؛ لكن الاستدلال بفهومهم ومعرفتهم لتلك الأمور على أن غيرهم ليس على الصواب لأجل أنه ما فهم تلك الأمور، هذا من جنس احتجاجات الأولين، فيرى أن المفتي إذا لم يكن عالمًا بالواقع يكون ذاك الذي علم أفهم منه وأرفع، فتكون فتوى العالم مردودة يستدل على بطلانها بقلة فهمه لتلك الأمور، وهذا ليس بأمر مؤصل شرعًا، وإنما الأمر المؤصل شرعًا العمدة هو الدليل، فإذا كان للعالم استدلال وفهم فإنه يكون هو الصواب، إذا كان للعامل اتباع للكتاب والسنة فليس عليه أن يعرف كل ذلك، من علم هذه الأشياء علمًا صوابًا فإنه قد يكون ذلك العلم نافعًا وقد يكون ضارًّا له.

المقصود من ذلك أن طائفة في العالم الإسلامي عموما اعتنوا بتلك العلوم، ورأوا أن من لم يعتنِ بها أنه هو الأضعف وهذا من مداخل الشيطان على القلوب؛ لأن هذه الأمة لن يصلحها إلا شيء واحد ألا وهو التربية على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

والسعي في انجاء الناس في الدار الآخرة، ولا شك أنه بالإجماع أن تلك العلوم ليست منجية لعامة الناس في الدار الآخرة وليست بنافعة في الدار الآخرة؛ لكنها قد تنفع الأمة، فيكون المخاطب بها طائفة قليلة من هذه الأمة، وأما نشرها على العوام فهذا ليس شرع.

إذا كان كذلك، فإن هذه الحجة من أنه من كان أقل فهمًا في تلك الأمور فيدل على بطلان ما جاء به وعلى بطلان ما قاله هذا من جنس حجج أهل الجاهلية، ودخل هذا في الأمة بنوع من تلبيسات الشيطان على النفوس.

إذن فنخلص من هذا إلى أن أهل الجاهلية يستدلون على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، والواجب أن ينظر إلى الحق مجردًا عن من أتى به، فربما يأتي بالحق شيطان، كما علّم أبا هريرة رضي الله عنه، الشيطان علمه دعاء معروفا لا يزال كل منا يدعو به، وإنما علمه - أبا هريرة- شيطان، كما قال النبي ﷺ لأبي هريرة بعد أن ذكر له ما قال: «**صدقك وهو كذوب**».

فإذن يُنظر إلى الحق وتكون غاية المؤمن طلب الحق، ومن جاء به هذا لا يهم من جاء به ليس بمقصود، قد يجيء به الصغير، قد يجيء به الضعيف، قد يجيء به المولى، قد يجيء به الرفيع، قد يجيء به من لم يكن عنده جاه، ونحو ذلك.

المقصود أن يكون الحق إذا جاء به جاءٍ أن يكون مقبولًا دون نظر في حال من جاء به، يعني: من حيث رفعته ووضاعته، لكن تارات تلتبس هذه المسألة بما إذا كان الذي يجيء به من أهل البدع، من أهل الأهواء ونحو ذلك، هذا له مقام آخر.

هذا ملخَّصُ هذه المسألة وهي كما ترى مسألة مهمة.

التاسعة: الاقتداء بفسقة العلماء والعباد.

أهل الجاهلية - جاهلية العرب - سألوا اليهود وسألوا النصارى عمّا هم عليه فاقتدوا بهم لمّا أجابوهم بأنهم على الصواب، كما قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[النساء: ٥١]، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ يعني: أن اليهود لما سألهم المشركون من أهدى نحن أو أتباع محمد؟ أجابوهم بأنهم هم أهدى، وهذا نوع اقتداء؛ بل هو اتباع لأولئك بل سماه الله جلَّ وعلا إيمانًا بالجبت والطاغوت، كانوا يقتدون بالفسقة من العلماء الذين يأكلون أموال الناس ظلما، وصفهم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٤] أولئك الفسقة من العلماء لَبَسوا الحق بالباطل وكتموا الحق وهم يعلمون، وهذا جارٍ في كل زمان.

كذلك اقتدوا باليهود مع أن اليهود كانوا أهل أكل للأموال بالباطل، وهذا دليل الفسق ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، الواجب أن يكون الاقتداء بأهل الصلاح والطاعة، أما الذي يشتري هذه الدنيا بالآخرة، فيدفع الآخرة ثمنا لهذه الدنيا، هذا فاسق، يشتري الدنيا ويدفع ثمن الآخرة ويصد عن سبيل الله، هذا دليل الفسق، أولئك المشركون كان من خصائصهم أنهم يذهبون إلى من علموا فسقه، ومن علموا ضعف ديانته، ومن علموا مخالفاته، فيقتدون بهم في الدين، وهذه ظاهرة سواءً في مشركي العرب، أو في أهل اليهودية، أو في النصارى، أو في غيرهم من أصحاب الملل، كلهم كانوا عندهم هذه الخصلة؛ لأنّ المرء يحب من يسهِّل عليه ومن يرضيه بواقعه، الأصل في هذا أنّ المرء يحب من يقول له: إنك على صواب، ويأنف ممن يقول له: إنك على غير الصواب والهدى، فإذا قال له قائل: إنك على صواب وهدى فرح به. ولو كان يعلم أنه ضالٌّ ولو كان يعلم أنه فاسق، لأن تحري الصواب والبراءة من غيره من الضلال، هذا لا يؤتاه إلا طالب الحق، لا يؤتاه إلا من رغب في الحق وسعى إليه، فأولئك يسألون أهل الضلال من اليهود والنصارى فإذا أجابوهم قبلوا ذلك، وهذه كما ترون سَرَتْ في هذه الأمة – في الاقتداء بفسقة العلماء- في أنواع كثيرة؛ في طوائف كثيرة من الأمة، وهي واضحة ظاهرة.

فمن الناس من يقتدي أو يرضى بحكم قاضٍ يعلم أنه جائر فيه، يعلم أن هذا القاضي قبل رِشوة، قبل مالا، ومع ذلك يرضى ويقتدي به في ما قال، يأتي ببعض القضاة ويستدل ببعض القضاة الذين يأخذون الرشاوي، وكان هذا في الزمن القديم كثيرا خاصة في القرون ما بين الثالث إلى الحادي عشر، كَثُرَ هذا جدًّا، وكان الحكام يعني القضاة يأخذون الرشاوي على المال، وكل قاض يستدل ويستشهد بفعل من سبقه، ويقول: أنا أحكم بهذا للحاجة، ونحو ذلك، فيقتدي بالفاسق الذي يعلم فسقه، من أن الرشوة في الحكم كفر وهذا أعظم من مجرد الفسق، كذلك العلماء الذين يعلم من حالهم أنهم فسقة، يعلم من حالهم أنهم لا يصلون كما هو موجود في كثير من الأمصار.

وقد سئل بعض أهل العلم في غير هذه البلاد عن حال علماء مصره وبلده عن أنهم لا يؤدون الصلوات، يفعلون ما يفعلون من المنكرات، كيف يكون علمهم؟ قال: صنعة. يعني اتخذوا العلم مهنة وصنعة من الصنائع، فكانوا فسقة بذلك، الناس اقتدوا بهم؛ فيستفتونهم فيفتون ويرشدونهم ويبينون لهم في وسائل البيان المختلفة، ويقبلون، وهذا نوع من آثار الجاهلية في النفوس، والواجب أن يُسعى إلى من يعلم أنه أصلح وأنه أبر وأنه أتقى و يأخذ الدين منه؛ لأنه هو الذي لا يحابي، إذا كان الطالب يطلب الحق فيذهب إلى من يقول له الحق ولو كان مُرًّا، هذا طالب الحق والهدى، أما الذي يطلب من يصحح له وضعه، فإنه يذهب إلى فسقة أهل العلم الذين يتكسبون بالدين ويتكسبون بالعلم فسيجيبون كل واحد بما يناسبه. ومن صنوف أولئك:

طائفة كانوا فيما مضى من الزمان كانوا يفتون على المذاهب الأربعة؛ كيف يأتي المستفتي إلى ذلك العالم، فيستفتيه المستفتي، فيُفتي العالم بالمذهب الذي عليه ذلك المستفتي، يقول: أنا على مذهب فلان فيفتيه، غالب أولئك كما وصفهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض رسائله متأكلون بالعلم.

بعض أولئك العلماء لا يفتي إلا بمال، يقول: أنا لا أفتيك إلا تعطيني شيء.

بعض أولئك العلماء فيما مضى من الزمان يعلمون أنه على فسق في حاله، ولكنهم يقتدون به في أموره الخاصة، يعني يرون حاله في بيعه، حاله في شرائه ويقتدون به، يقولون: فعله العالم الفلاني، طيب ذلك العالم غير متحر للصواب، وربما كان فاسقًا.

بعض أولئك العلماء يفتي الناس بما يناسبهم برخص من رخص أهل العلم إذا استفتاه بعض أهل الوجاهة، بعض أهل المال، لا يريد أن يكدر خاطره، فيذهب يفتي له برخصة يعني: برخصة من رخص الفقهاء ليست صوابًا، يعلم أنها ليست صوابًا، أو بقول مهجور من الأقوال في الفقه إرضاءً له، وهذا يكثر عند المخالطين للكبراء وللأمراء في كل زمان وكل مكان، فإذا لم يكن المرء على – يعني: ذلك العالم الذي يسأل فيجيب– إذا لم يكن على تحرٍّ في دينه، لا يهمه في تبليغ دينه أن يرضى ذلك السائل أو لا يرضى، فإنه لا يقتدى به، إذا كان هذا المستفتى أو المسؤول يُهِمه رضي ذاك هذا يجب أن لا يقتدى به وأن لا يؤخذ العلم منه.

اليوم ربما خالط طائفة من الناس من أهل العلم الأغنياء أصحاب الأموال الباهرة أصحاب الشركات أو العقارات أو المؤسسات أو نحو ذلك، فيأتيه ويكون له مصلحة منه، فإذا سأله أفتاه بما يريح ذاك، وهذا كله من أنواع الاقتداء بفسقة العلماء الذين كانوا من قبل، ذلك أن الله جل وعلا وصفهم بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٩٩]، قل: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران:٧٠]، ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [آل عمران:٧١]، ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾[آل عمران: ٩٩]، هذه في آل عمران كما ذكرت وهنا وصفهم بأنهم يصدون عن سبيل الله، يعلمون أنهم يصدون عن سبيل الله ومع ذلك يقتدون بهم، كانوا يفرحون بأنهم سيجيء نبي يتبعونه، فلما جاء النبي كفروا به وأعرضوا عنه، وهذا نوع من الصد عن سبيل الله، فكانوا بذلك فسقة، كان الناس يعلمون أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل، ومع ذلك كانوا يقتدون بهم، وهل أولئك أصحاب اقتداء؟ هل يجوز الاقتداء بهم؟ لا.

الصنف الثاني هم فسقة العبّاد:

والفسق في العبادة يكون بالخروج عن السنة، فكل من تعبد بعبادة بدعية فهو فاسق بها، كأصحاب الطرق الصوفية، وأصحاب الأقوال والأحوال التي لا توافق السنة، فأولئك بأجمعهم أهل فسق إذ كانوا خارجين عن سنة النبي ﷺ، فلما كان حالهم كذلك، كان الواجب أن ينكر عليهم وأن لا يقتدى بهم، المشركون اقتدوا بفسقة العبّاد، وهم الذين ابتدعوا بدعًا من النصارى وغيرهم، كان في كل مكان ربما اقتدى المقتدي بعابد فاسق، يعني خرج بعبادته عن الشريعة التي أنزلها الله جل وعلا على رسولِ ذلك المتبع فاتُبع.

وهذه الخصلة من الجاهلية سرت في هذه الأمة في أنواع من الناس، يجمعهم أصحاب الطرق الصوفية الذين اقتدوا بمن يعلمون فسقه؛ بل إن الأمر زاد على ذلك حتى جُعل أولئك أولياء لله جل وعلا، صنف بعض كبار الصوفية - يعني غلاة الصوفية-، صنفوا مصنفات في طبقات الأولياء مثل الشعراني وغيره، وجعلوا من الأولياء -كما رأيت ذلك بنفسي- جعلوا من الأولياء من يأتي الفواحش وقال في ترجمة أذكرها قال: سيدي فلان الفلاني قدس الله روحه، ونوّر ضريحه كان يتلو آيات ليست في القرآن. وهذه أنا اطلعت عليها بنفسي، وقال: وخطب رضي الله عنه سبع جمع في جمعة واحدة. يعني خطب في سبعة بلاد في جمعة واحدة، يخطب هنا وهنا وهنا في وقت واحد، وهذا لا شك أنه إما أن يكون مجنونصا، أو أن يكون تتلبس به الشياطين عن اختيار منه، أو غير ذلك، المهم أن هذا ليس من الأولياء لأن هذا بلا شك أنه من الفسقة بل من الكفرة إذا كان يتلو آيات ليست من القرآن ويقول: إنها من القرآن فهذا من الكفرة، يقتدى به ويجعل في التراجم ويثنى عليه، فعمّ ذلك في بلاد المسلمين اليوم وطمّ، حتى لا تكاد تدخل بلد إلا وفيه طريقة وفيه زاوية وفيه من يتبع الشيخ الفلاني والشيخ الفلاني، يذكرون من مناقب كل صاحب طريقة وكل شيخ من أولئك، يذكرون من مناقبه أشياء لا يفعلها الأتقياء إنما يفعلها الفسقة، تارة تكون منسوبة إليه

لا تصح وتارة تكون صحيحة، وفي الجملة من كان على فسق في العبادة، كيف يقتدى به؟ فهذه الشعبة من شعب أهل الجاهلية، وجدت في المسلمين والواجب أن يتصدى، الواجب أن ينكر على أصحابها؛ لأنها من خلال الجاهلية والنبي ﷺ أتى لرفض كل خصلة من خصال الجاهلية، تلك الخصال الباطلة التي لم يأذن الله جل وعلا بها.

ساق المؤلف هنا قوله جل وعلا: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ هذه آية المائدة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧]. فجمع في أوساطهم أنهم ضلوا من قبل، وذلك بأنهم فعلوا بعيسى عليه السلام ما فعلوا فلم يؤمنوا به، قتلوا الأنبياء، حرموا الحلال، وحللوا الحرام، وأكلوا الربا، وجعلوا السبت وقتًا للصيد، مع أنهم نهوا عنه ونحو ذلك، وأضلوا كثيرا بما أفتوه، جعلوا التوراة؛ جعلوا تفسير التوراة إليهم فأحلوا حراما فيها، وحرموا حلالا فيها، كما وصف الله جل وعلا ذلك عنهم، وقال: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فوصفهم بتلك الصفات التي فيها أمعنوا في الضلال، مع ذلك اقتدى بهم من اقتدى من أهل الجاهلية.

إذن نخلص من هاتين المسألتين إلى أن أهل الجاهلية كان لهم أنواع من الاستدلال، وبقي من أدلتهم مما ذكره المؤلف ثلاثة أدلة ستأتي إن شاء الله تعالى.

هذه الاستدلالات بأنواعها يجمعها أنها استدلالات في نظر العقل الصائب مرفوضة، وسبب استدلال أولئك بها مع أنه قد يكونوا أعطوا عقولًا وأعطوا فهومًا وأعطوا معرفة، يكون سبب استدلال أولئك بها أنه غُشِّي على قلوبهم وغُشِّيت أبصارهم ولم يتوصلوا بعقولهم إلى الصواب؛ لأنه كانت عندهم أنواع من الصوارف لما صارت عندهم الصوارف استدلوا على ما هم عليه من أنواع الباطل بأنواع من الأدلة التي يقنعون بها أنفسهم أنهم على صواب، ويردون بها رسالات المرسلين، منها، من أدلتهم التقليد، من أدلتهم الاحتجاج بالأولين، من أدلتهم الاغترار بالكثرة،

من أدلتهم الاحتجاج بأهل القوة في الفهم، وأهل العقول، وأهل المال، وأهل القوة في الدنيا، وأهل الرفعة فيها، ويستدلون بأن الحق الذي جاءت به المرسلون ليس بحق؛ لأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، كذلك يقتدون بفسقة العلماء، يقتدون بفسقة العباد.

إذا نظرت إلى هذه الأدلة بمجموعها وجدتَ أنها هي عين ما يحتج به المشركون والخرافيون والمخالفون للحق في كل زمان، فإمام الدعوة لما أتى بالدعوة ودعا الناس إليها، وُجِهَ بأنواع من الاستدلالات، تمحضت في استدلالات أهل الجاهلية، ووجه بالتقليد، ووجه بأنك وأصحابك قليلون، وسواد الأمة الأعظم ليسوا على ما أنت عليه، ووجهوا بقول من قال: إن أهل نجد هؤلاء الذين ظهر فيهم محمد بن عبد الوهاب -على قولهم- ما عندهم علوم لا بالعربية، ولم يتعلموا علم الكلام ولا المنطق، ويتبين ذلك بسؤال أرسل إلى الشيخ من بعض أهل الأمصار، وجِّه إليه سؤالا يريد منه أن يعرب سورة والعاديات ضبحا، ويقول بين لي ما فيها من البديع وما فيها من البيان في سؤالات من البلاغة ومن النحو متنوعة، الشيخ رحمه الله تعالى مشغول عن مثل هذا، لا يريد إثبات نفسه في هذه العلوم، فترك الرد عليه، مع أن الجواب عليها معروف في كتب المفسرين، يقولون: إن هؤلاء الذين ظهرت فيهم الدعوة هؤلاء - دعوة محمد بن عبد الوهاب - ليس عندهم إلا فقه الحنابلة حتى التفسير ليس عندهم مشاركة فيه، حتى الإسناد ليس لهم معرفة به ونحو ذلك، فيستدلون بضعف أفهامهم وعدم مشاركتهم، وعدم عقولهم، ويستدلون بأنهم قليل، بأن من خالفهم كثير، ويستدلون أيضا بأن أهل نجد أهل فقر ومسكنة وليس عندهم شيء، بعضهم أكله حاف، ومساكنهم معروفة أما المدن الكبار التي فيها علماء الأمصار هؤلاء هم أهل الفهم وهم أهل القوة انخدعوا بذلك، واستدلوا بذلك كله، وهذا موجود في المؤلفات التي ترد على دعوة الإمام؛ الدعوة السلفية في آخر هذه الأزمان، كل هذا موجود؛ بل إنه وجد في هذا العصر من صرح بذلك، وهو الذي يقول: إن أهل هذه البلاد وعلماءها طائفة من البدو الجهّال. وهذا لا شك أنها حجة قد احتج بها من

تقدمه من أهل الضلال.

المقصود أنه في كل وقت تظهر هذه الاستدلالات إما أكثرها وإما بعض منها.

فإذا تبينت ذلك، تهتم بالحجة والاحتجاج على من خالف الحق، بأن هذه الحجة أوردها واحتج بها واستدل بها وجعلها دليلًا المشركون من قبل، وأبطل الله جل وعلا تلك الحجة.

فإذا أتى بشيء من ذلك تبطل أولًا نوع الاستدلال، ثم بعد ذلك تنظر في الدليل وهذا مما يهتم أو ينبغي أن يهتم به طلاب العلم الذين يهتمون بالردود على المخالفين وإبطال أقوال الخرافيين والقبوريين والمبتدعة وأنواع الضالين.

تُبطل نوع الاستدلال قبل أن تنظر في الدليل وما فيه، فإذا كان ذلك كان من أوجه الرد على أولئك دون تلك من استدلالات أهل الجاهلية.

أسأل الله الكريم لي ولكم الهدى والسداد والثبات والرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد(١).

---

(١) [الأسئلة]:

١- يقول: ذكر النبي ﷺ جحر الضب دليلا على الاتباع الأعمى، ما سبب اختيار النبي ﷺ لذلك على وجه الخصوص؟

من أَوْجَه ما قيل في ذلك أنه لا أحد يرغب في دخول جحر الضب، فَضُرِب مثلًا، ضربه النبي ﷺ مثلًا لشناعته، ما فيه أحد يختار جحر الضب، فلو دخل المشركون أو دخل اليهود والنصارى جحر ضب، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لدخلتموه»، وهل هذا يعقل؟ هل هذا يكون عند ذي فهم وعند ذي بصر؟ لا، فهو مثل ضُرب لشناعته، ولأجل أنه لا يختاره عاقل معه لبه وعقله.

٢- يقول: هل فعل من يفتي بالشريعة في الفتوى، وعند القضاء -يعني إذا قضى- يقضي بالقانون، هل هذا من فعل فسقة العلماء؟ وهل فعله هذا يعتبر مما يَكفر به مثله أو ما يُكَفَّر به مثله؟

ما فيه شك أن هذا أقل أحواله أن يكون فاسقًا، يفتي بالشريعة للناس، وإذا قضى بينهم لأجل أن الحكومة تلك تجعل القانون هو الدستور أو هو ما يُقضى به، يقضي بالقانون في مسائل ويفتي بالشريعة أقل أحواله أنه فاسق، وقد يكون كافرا؛ قد يكون كافرا إذا كان يعتقد أن هذا الفعل جائز، إذا كان يعتقد أن فعله هذا جائز ويحسنه للناس، فهذا يكون كافرا بالإجماع.

وحكمه بالقانون يعني التزام بالقانون في كل ما جاء به وعدم خروجه عنه يعده كثير من أهل العلم كفرًا ولو كان يعتقد عدم الجواز، فحال هذا المسؤول عنه إذا كان من العلماء فإنه لا شك أنها حال فسق على=

أقل الأحوال، وقد يكون كافرًا بذلك.

٣- هذا سؤال ربما ورد كثيرا يبدو أن الحاجة إلى الجواب عنه ملحة يقول: ما معنى فقه الواقع؟ ونرجو أن تعرج على تعريف بعض العلوم التي يستدل بها أصحابها على أهل الدليل من الكتاب والسنة.

نكتفي بالفقرة الأولى وهي قوله (ما معنى فقه الواقع؟)

أولا: التركيبة (فقه الواقع) مركبة من كلمتين (فقه) و(الواقع)، وكل كلمة من هاتين الكلمتين كانت مستعملة عند السلف الصالح ﭬ، فكانوا يستعملون كلمة (فقه)، وكانوا يستعملون كلمة (الواقع)، ومع ذلك فهم لم يجعلوا الواقع عندهم هو الواقع المراد عند هذه الإضافة.

والواقع: هو ما يقع من الأحداث والأمور في الناس.

السلف لم يركبوا هذا التركيب مع وجود الكلمتين عندهم، فلم يضيفوا (الفقه) إلى (الواقع)، فلم يقولوا (فقه واقع)، قالوا: فقه الكتاب، فقه السنة، ونحو ذلك، الفقه الأكبر – العقيدة – أما فقه الواقع فلم يرد عندهم، فكان بهذا مع عدم تسمية معرفة الواقع بفقه الواقع، مع أن العلماء أعرضوا عنه أربعة عشر قرنا، كان هذا دليلا على أن هذه التسمية محدثة «وكل محدثة بدعة»؛ لأنها متصلة بالشريعة، ولا يخفى على كل واحد منكم أن فقه الواقع عند من يسميه بذلك له مساس بالأحكام الشرعية.

فتبين من هذا أن تركيبة الكلمتين لم ترد عند السلف مع وجود كل واحدة من الكلمتين عندهم، ما الذي كان عند السلف والذي كان عند أهل العلم؟ كان عندهم أن المفتي والحاكم لا يفتي ولا يحكم في المسائل الشرعية إلا بعد أن يعرف واقعَ المسألة المسؤول عنها، فإذا سئل عن شيء لا يجوز له أن يفتي أو يحكم بدون أن يتصورها، ولهذا جاء في بعض مسائل كتاب التوحيد أن إمام الدعوة رحمه الله تعالى قال: وفيها فهم الصحابي للواقع. يعني بذلك فهمه لواقع الناس وما يسألون عنه، لا يُسأل عن مسألة وهو لا يعرف ما يريد الناس بها، يُستغفل؟ لا، لكن إذا سئل يعرف هذه المسألة تصورا، فإذا كانت المسألة مثلا في الفقه يعرف صورتها الفقهية، هذا معلوم عند أهل العلم، بل قالوا: الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والواقع قسمان:

واقع له أثر في الأحكام الشرعية.

وواقع لا أثر له في الأحكام الشرعية.

فليس كل ما يقع بين الناس، وما يجعله الله جل وعلا في أرضه، ليس كل ذلك مؤثرا في الأحكام الشرعية، أو تبنى عليه الأحكام الشرعية.

القسم الأول: الواقع الذي تبنى عليه الأحكام الشرعية وفهم المسألة وصورتها وما تتنزل عليه.

الثاني: ما يتصل بالمسألة مما ليس له أثر في الحكم الشرعي، هذا واقع لا أثر له.

مثل القاضي يأتيه خصمان يتخاصمان في مسألة، يقول هذا كلامًا يعني: الأول كلاما في ربع ساعة طويل، ويأتي الثاني ويقول كلاما في ربع ساعة أيضا طويل، القاضي كل هذا الذي ذكره الخصمان واقع=

= وقع، لكن القاضي لا يقيد منه في سجلِّه يعني سيبني عليه الحكم إلا ثلاث كلمات أو أربع؛ لأنها هي المأثرة في الحكم الشرعي.

كذلك المستفتي تأتي تستفتي أحد العلماء، وتقص عليه قصة طويلة، ويجيبك بكلمتين، ثلاث، تقول: لا. شيخ كان كذا وكذا، يقول ولو كان هذا ما له أثر، وهو واقع صحيح عندك أنه واقع ربما يكون مؤثرا لكنه عند العالم ليس مؤثرا في الحكم الشرعي.

فإذن ليس كل ما وقع في الناس، أو ما يقع في الدنيا مؤثرا في الأحكام الشرعية، وعليه فإنما يجب على العلماء أن يعرفوا الواقع الذي تنبني عليه الأحكام الشرعية.

الآن هذه الكلمة (فقه الواقع) يُعنى بها معرفة أحوال الناس والمسلمين والأعداء، وما يعدون له، وما يخططون ونحو ذلك من علوم كثيرة، وهذا لاشك أنه كعلم -مع اعتراض على التسمية- كعلم مطلوب، أن يعرف في الأمة طائفة هذه الأمور، وهذا من أجناس فروض الكفايات كالعلوم المختلفة: علم السياسة، وعلم الفيزياء، والكيمياء، وعلم الجبر، والهندسة، ونحو ذلك، هذا من جنس العلوم تلك، فمعرفتها لا بد أن تكون في الأمة، لكن تلك معرفة وليس بفقه، معرفة لأن الفقه هو فهم الأمور، الفقه هو الفهم ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١] يعني: ما نفهم كثيرا مما تقول، ولا يدعي من يتابع أحوال العالم من طلبة العلم المعتنين بذلك ونحو ذلك، لا يدعون أنهم يفهمون ما سيجري من الأحداث، ولهذا التسمية بفقه واقعا أيضا ليست بصحيحة؛ لأن حقيقة ما يرومون إنما هو معرفة ما يقال وما يكتب، وهذا أقل من الفقه بكثير.

هنا هذه الأشياء قلنا لابد أن يكون في الأمة من يعرف، فهي من جنس العلوم الكفائية، وقد نبّه على ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني حينما عرض لهذه المسألة.

إذا تقرر هذا فإنه باتفاق أهل العلم، العلوم الكفائية لا يخاطب بها عامة الناس لأنها ليست مُصلحة لدينهم، بل إنما هي تشغلهم عما هو أولى لهم، أرأيت لو أن محاضرا أتى عندنا اليوم ففسحنا له الدرس، وقلنا حدث الإخوة عن نظرية أينشتاين النسبية، كونه يوجد في الأمة من يعلم ذلك في تخصص الفيزياء لا بأس، لكن هل تحدثون بذلك، هذا لا شك أنه من الكفائيات التي لا تناسبكم، وإذا عرفتموها عرفتم علما، هل يصدق هذا على واقع الناس وعلى مخططات الأعداء أم لا؟ ذكر مخططات الأعداء يفيد الشباب، وذكر أحوال المسلمين يفيد الشباب من جهة، ويضرهم من جهات أخر:

يفيدهم من جهة أنه يحيي في نفوسهم الارتباط بالإسلام، ويحيي في نفوسهم بغض الكفرة والمشركين،ويحيي في نفوسهم أخذ الحذر من الأعداء ونحو ذلك، وهذه مصلحة مطلوبة.

ومن جهات أخر يقود الشباب إلى أن يُربوا على غير التربية السلفية التي نبْعها ومصدرها القرآن والسنة، وبالتجربة وجدنا أنّ من انشغل بتلك الأمور انشغل أشهرًا بل ربما سنوات، وإذا سألته اليوم ماذا حصلت؟ يقول: لم أحصل شيئًا، وأحد من أثق به ممن يعتنون بهذا الأمر يقول: تتبعت جميع المجلات، وتتبعت جميع الجرائد لأخرج بفهم لما سيجري في المستقبل من أنواع السياسات والمخططات=

المتن

(المسألة العاشرة): الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم كقوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾[هود:٢٧].

(المسألة الحادية عشرة): الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠، يس ١٥].

(المسألة الثانية عشرة): إنكار القياس الصحيح والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق.

(المسألة الثالثة عشرة): الغلو في العلماء والصالحين كقوله: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء:١٧١].

= المستقبلية، قال: فوجدت كل ما قرأت لا يعطي صورة عن المستقبل.

وقد سئل بعض الوزراء البريطانيين عن السياسة ما تعريفها؟

قال: أصح تعاريفِها أن السياسة هي الكذب.

وهذا ينبني عليه فهمنا إلى أن الانشغال بهذه الأمور لن تحصّل من ورائه طائلًا، بل إنه يصدك عن ما يجب أن تربي نفسك عليه وعن ما تربي أحبابك عليه.

إذا نظرت وتأملت في هذا الكلام، وجدت أنه يمثل الواقع، الناس يعطون -الشباب والمسلمون بعامة- يعطون ما ينفعهم في هذا الأمر، لكنه مع أصوله الشرعية؛ يعني عِداء اليهود والنصارى لنا تقرأ فيه الآيات آيات الولاء والبراء، وما فعله أولئك في أعظم أمر وهو أنهم أشركوا بالله جل وعلا وسبوا الله جل وعلا أعظم مسبة، وهذا كاف في أن يجعل كل مؤمن موحد مبغضا لهم كارها لهم.

معرفة الأحوال وما يجري بين الناس لا ينقص من جهله، لا ينقص من جهله؛ يعني: الأحوال الدنيوية، ألم ترَ إلى قصة سليمان عليه السلام حيث كان بجواره دولة ومملكة – مملكة سبأ-، وملكتها بلقيس، وكان عندها من الدنيا ما عندها، وبجوارها ولها من القوة ما لها، ومع ذلك لم يعلم شيئا عنها، ولم يُطلَع من الله جل وعلا على شيء من أخبارها، إذْ أن ذلك ليس له أثر في تبليغ رسالات الله، وإنما بلغه الهدهد بأمر يتعلق بالعقيدة، فقال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢] هذا النبأ الذي اعتنى به الهدهد ما هو؟ قال: أيش ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل:٢٢-٢٣] هذا كالمقدمة ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

الشَّرْح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأل الله جل وعلا لنا جميعا الهدى والسداد والثبات على الحق إلى الممات، وأسأله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويمن علينا باجتنابه.

هذه المسألة –المسألة العاشرة والمسألة الحادية عشرة والثانية عشرة- هذه من تتمة مسائل أنواع الاستدلال لدى أهل الجاهلية، فإن الشيخ كما سبق أن عرفتم ذكر مسائل الاستدلال التي يستدلون بها، أنواع الأدلة عندهم متوالية، ومن أدلتهم أنهم يستدلون على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم، كما قال جل وعلا في قصة نوح مخبرا عن قول قوم نوح: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود:٢٧]، وهذا ليس خاصًّا بجاهلية دون جاهلية من الجاهليات التي سبقت رسالة النبي ﷺ، وإنما هو كثير فاشٍ، فأهل الجاهلية الماضون لم يزالوا يستدلون بهذا الدليل؛ يستدلون بضَعْف المتبعين للحق في الجاه، وضعفهم في الدنيا على بلادة أذهانهم، ثم يستدلون بهذه المقدمة الفاسدة على أنهم ليسوا بأحقَّ بالهدى منهم، وإنما ذلك دليل بطلانه؛ لأنه لا يصل إلى معرفة الشيء بأنه حق إلا ذوو العقول وذوو الأفهام، فما دام أن أهل الجاه وأهل العقل عندهم لم يتبعوا الرسل، وذلك لأنهم تأملوا، كما يزعمون وأهل الحق الذين اتبعوا الرسل كانت عندهم عجلة، وقلة فهم ولهذا اتبعوا الرسل، هذا كثير، واستشهد عليه الإمام رحمه الله تعالى، بقصة قوم نوح فإن قوم نوح قالوا لنوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ فذكروا شيئين، ذكرهما الشيخ رحمه الله تعالى.

الأول: عدم الفهم لديهم بأنهم لم يتدبروا واستعجلوا.

والثانية: أنه ليس لهم فضل مال يعني ليس لديهم حظ.

والعبارة في أكثر النسخ التي بين أيديكم (وعدم حفظهم) والذي يظهر لي بعد تأمل أن صوابها (وعدم حظهم) لأنها هي التي تناسب تمام الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ والفضل في أحد وجهي التفسير هو الجاه والمال، في قوله تعالى هنا فيما استشهد به الإمام رحمه الله تعالى ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ في قوله: (بَادِي) قراءتان سبعيتان:

قرأها الجمهور ﴿بَادِىَ﴾ بدون همز في آخره من البدوّ وهو الظهور.

وقرأها أبو عمرو البصري المعروف أحد القرّاء السبعة المشهورين، قرأها (بَادِئَ) بالهمز.

وعلى قراءة التسهيل ﴿بَادِىَ﴾ فإنه من البدوّ وهو الظهور، واختلف أهل العلم في التفسير، في تفسير هذا الحرف على ثلاثة أقوال:

١- منهم من قال: (بَادِيَ الرَّأْيِ) يعني في ظاهر الرأي لكل أحد، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ وهذه الرّذالة فيهم وأنهم اتبعوك، هذا ظاهر لكل أحد يظهر للرائي ويظهر لذي الرأي بوضوح لا خفاء فيه ولا لبس.

٢- **الثاني**: أن قوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ من الظهور أيضا، وهو أنهم أظهروا شيئًا وأخفوا غيره، فيكون البدوّ هنا بمعنى الظهور راجع إلى الاتباع لا إلى كونهم أراذل، ما نراك اتبعك إلا الذين هو أراذلنا اتباعا في الظاهر في بادئ الرأي، أما في باطن الأمر وفي حقيقته فإنهم ليسوا متبعين لك ولا مقتنعين بما جئتهم به، وهذا استدلوا له بقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء:١١٣] ونحو ذلك بآية هود وغيرها، يعني أن نوحا عليه السلام أحال حسابهم على الله جل وعلا، فدل على أن مرادهم ظهور شيء منهم وإخفاء شيء آخر منهم، إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، أو إخفاء التكذيب، فأحالهم عليه السلام إلى حساب الله جل وعلا.

٣- **القول الثالث**: هو أنه في قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ يعني أنهم ظهر لهم الرأي بدون تأمل، فأول رأي ظهر؛ اتبعوه ولم يتأملوه ولم

يتدبروه لقلة فهمهم، وهذا القول الثالث هو الذي يتفق مع ما أورده المصنف رحمه الله تعالى، فإنهم عند قوم نوح استعجلوا ولم يتدبروا، اتبعوه في بادئ الرأي فيما ظهر لهم من رأيهم، ولو تأملوا واستيقنوا الرأي واستخيروه وتحققوا منه وتدبروه وتأملوا العواقب فيه وتأملوا أسراره لم يتبعوا، وذلك تلك العجلة وذلك الأمر الذي حصل منهم وهو عدم التدبر دليل على قلة أفهامهم، وهذا مظنة عدم الوصول إلى الحق، فأبطلوا الدين وأبطلوا صحة ما جاء به نوح عليه السلام بأنهم جعلوا الذين اتبعوه ما اتبعوه إلا لضعف أفهامهم كما قال الشيخ رحمه الله تعالى.

فإذا كان كذلك، كان هذا الدليل مستقيمًا موافقًا لأحد أوجه التفسير المنقولة عن أهل العلم، والقراءة الأخرى التي قرأها أبو عمرو (بادئ الرأي)، (بَادِئَ) بهمز، من البدء وهو الأولوية يعني أن اتباعهم له كان عن عجلة، وإنما اتبعوه في بادئ ذي بدء، أول ما نظروا برأيهم، برأيهم اتبعوه، فهذا من البدء وهو الأولوية، وعلى هذا فيكون المعنى على هذا الوجه من التفسير أنهم استعجلوا أيضا، فيتفق مع ما فهمه الإمام المصنف رحمه الله تعالى، يتفق مع ما جاءت به القراءتان جميعا؛ قراءة الجمهور ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ في أنّ معنى البدوّ هو الظهور بالمعنى الثالث؛ وهو أنه ظهر لهم ذلك من غير تدبر ولا تأمل، وكذلك على قراءة أبي عمرو (بَادِئَ الرَّأْي) وذلك من الأولية وعدم التدبر والاستعجال.

وهذا الذي ذكره رحمه الله تعالى، أردفه بقوله في استدلالهم بأن أولئك الذين اتبعوا نوحًا ليسوا بأهل حظ لقلة فهمهم وعدم حظهم، ذلك؛ لأنهم قالوا لنوح ومن معه: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾، ذلك أنهم جعلوا مقياس الفضل هو كثرة الحظ في الدنيا، والفضل هنا فُسِّر بأنه الحظ في الدنيا من جاه أو مال، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ يعني لستم بأهل جاه فوق جاهنا فتَفضلون علينا، ولستم بأهل مال فوق مالنا فتفضلون علينا، فكان المقياس عندهم كما سيأتي في المسألة التي بعدها هو مقياس الفضل، هو الجاه والمال يعني الحظوظ الدنيوية، وهذا كثير في كل جاهلية، في كل

جاهلية كثير هذا، كل رسول يأتي تكون الحجة عند أولئك متنوعة منها أن الذين اتبعوه هم الضِّعاف، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس:٢٠، ٢١] في سورة يس ذلك الرجل المؤمن الذي أتى من أقصى المدينة يسعى يشرح الإيمان، قال طائفة من أهل العلم بالتفسير إن قوله هنا ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ فيه تنبيه على أنه من فقراء الناس ومن عدم أشرافهم، ليس من الأشراف، وإنما هو من الضعفة، وأما الأشراف فالعادة أنهم كانوا يسكنون وسط المدينة، إذ هي المجتمع، وأما أقصى المدينة، إنما يسكنه الذين ليسوا بذي جِدَة ولا جاه ولا شرف، وهكذا جاء رجل إلى موسى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص:٢٠]، فهذا الاحتجاج كثير في أن الذين يتبعون الرسل إنما هم الضعفاء، وهذا فهمه هرقل عظيم الروم حينما سأل أبا سفيان الأسئلة المشهورة التي رواها البخاري وغيره، فقال له من تلك الأسئلة: قال له: هل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم. قال هرقل: وكذلك الأنبياء إنما يتبعهم الضعفاء. وهذا عام في كل رسالة فكل أهل جاهلية يستدلون بهذا الدليل، وقريش أيضا واجهت النبي ﷺ بذلك، وكان النبي ﷺ ربما رغب أن يكون الذين يؤمنون به من أشراف القوم ومن عليتهم ومن سادتهم فانصرف إليهم عن النفر المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، رغبة في إسلام أولئك، لأنه لو أسلم الكبراء لحصل من الخير الشيء الكثير، فأنزل الله جل وعلا على نبيه قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨]، وكذلك قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ [عبس:١-٦] الآيات، وهذا الأمر ظاهر لا يحتاج إلى مزيد إطالة.

كذلك في هذه الأمة، دخلت هذه الشعبة من شعب الجاهلية في هذه الأمة:

فممن دخلت إليهم هذه الشبهة الذين يعتزّون بعلومهم الخلْفية من أصحاب الكلام ونحوهم، فإنهم لم يعتنوا بفقه النصوص الشرعية لزعمهم أنها إنما هي ظواهر يفهمها كل أحد، وأما البواطن والأسرار فإنما هي خاصة بذوي العقول النيرة، فجحدوا مما أنزله الله جل وعلا من الآيات البينات وحرفوها وأولوا بعضا منها وردوا طائفة أخرى؛ لأجل أفهامهم، واحتقروا أهل السنة والجماعة لأجل أنهم لا يفهمون فهمهم، فهُم لم يعرفوا علم الكلام ولم يعرفوا الأصول القطعية المستقاة من المنطق؛ منطق اليونان، ونحو ذلك مما يعتزون به.

كذلك شغّب على أهل الحديث فيما مضى من الزمان وعلى فقههم في النصوص طائفة من غلاة الفقهاء الذين اتهموا من يتبع ظواهر النصوص ويأخذ بالفقه مستقًا من النصوص ولو لم يكن عنده رسوخ قدم في كل العلوم، رموهم بأوصاف بشعة، حتى إن بعضهم سماهم الحمير، كما قال ابن العربي المالكي في أحد أقواله في وصف الظاهرية، قال: فلما أتى هؤلاء الحمير الذين كذا وكذا. وصفهم بأوصاف يعني: بشعة، لأجل أن في الأندلس كان هناك معركة محتدمة بين أتباع ابن حزم الظاهري وبين فقهاء المالكية، والتوسط لو راموا التوسط كان ممكنًا، لكنهم ردوا على أولئك وتنقصوهم، تنقصوا أفهامهم ووصفوهم ببلادة الفهم وبلادة الذهن ونحو ذلك لأجل هذا الأمر، لأجل اتباعهم للنصوص.

كذلك بعض الذين عاصروا الدعوة من العلماء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، فإنهم رموا أتباع الدعوة بأنهم لا يفهمون بأنهم عوام، بأنهم ليس عندهم مشاركة في العلوم، ليس عندهم معرفة إلا ببعض المسائل في العقيدة وبفقه الحنابلة لا غير، فاتهموهم في بعض ما دعوا إليه من المسائل التي دلائلها كالشمس في رابعة النهار، اتهموهم بأنهم لم يفهموا الحق ولم يعرفوا المراد منه.

كذلك -وهذا سيأتي تفصيله- الذين ادعوا أن باب الاجتهاد قد قفل وأنه لا يسوغ لأحد اليوم أن يجتهد في النصوص لأجل أن النصوص تحتاج إلى فهم وطابع أهل

الزمان عدم الفهم، فهم اتهموا أتباع الدعوة بأنهم يجتهدون في فهم النصوص وهم ليسوا من أهل الفهم؛ بل أفهامهم ضعيفة وأذهانهم كليلة، فلا يمكن أن يجتهدوا فباب الاجتهاد قد انقطع.

كذلك في هذا الزمان بخصوصه زماننا هذا القريب، ترى أن بعض من أدركته هذه الشعبة من شعب أهل الجاهلية، ربما تسلط عليه الهوى فرمى من هو بين أن يكون مجتهدًا وبين أن يكون مصيبًا يعني الحق يعني الصواب، أو يكون مجتهدًا مخطئًا يرميه ببلادة الذهن وعدم الفهم ونحو ذلك من الأوصاف، والواجب على أهل الإيمان أن لا يعرجوا على هذه المسألة، بل الواجب عليهم أن يبينوا الحق بدليله، ولا يستهزئوا بالخلق لا يستهزئوا بالناس في علومهم، بل إذا أخطأ المخطئ يقال: هذا مخطئ والصواب كذا، يبين الحق بدليله، تبين المسألة بحججها وبراهينها التي توضح المراد منها، دون دخول في هذا الأمر لأنه إذا قال فلان هذا فهمه كذا، فإنه يزيد شيئًا فشيئًا حتى تتسلط عليه هذه الشعبة، فيتدرج في الأمر حتى إذا أتى ذلك الضعيف في الفهم عنده، إذا أتى بحق واضح جعله باطلا؛ لأجل أنه ضعيف الفهم، والواجب على المؤمن أن يأخذ الحق ممن جاء به، ولا يستدل على بطلان الشيء لأن من أتى به ليس بأهل أن يأتي بذلك، وهذا كما ترى ظاهر في فئام في هذا الزمان.

المسألة التي تليها هي أنهم يستدلون بالقياس الفاسد كما قالوا: (هل أنتم إلا بشر مثلنا) [(١)] وفي آية أخرى ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[إبراهيم:١٠] ونحو ذلك.

القياس ينقسم إلى قسمين: قياس صحيح وقياس فاسد.

والشيخ رحمه الله ذكر مسألتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وكل منهما في القياس: الأولى في القياس الفاسد، والثانية في القياس الصحيح.

والقياس يريدون به في العموم -لا في اصطلاح الفقهاء والأصوليين- يريدون به في العموم إلحاق شيء بشيء لوجه شبه بينهما، فيكون سبب القياس جامع يجمع بين

---

(١) لعلها قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [يس:١٥].

شيئين المقيس والمقيس عليه، فيجمعهما شيء فيقاس أحدهما على الآخر، ولا يخفى عليكم أنه عند الفقهاء إلحاق حكم مسكوت عنه بحكم منصوص عليه بعلة جامعة بينهما، هذا أخص.

فإذن القياس هو كما ذكرناه ما يجمع شيئين بوجه شبه يسمى قياس، فإذا جمعت بين شيئين، يقال لك قِسْتَ الأمر؛ فقست بين هذا وهذا إذا جمعت بينهما لشبه بينهما، فإذا ألحقتَ شيئًا بشيء لأجل الشبه صرت قائسًا.

هذا الدليل الذي استدلوا به هم استدلوا بقياس يعني أهل الجاهلية استدلوا بقياس استدلوا بأنواع من القياس؛ يعني: بأفراد من القياس، بعض تلك الأقيسة فاسد أو أكثرها فاسد، منها أنهم أبطلوا النبوة بكون النبي الرسول بشرًا ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾[الفرقان:٧] قال جل وعلا في آية سورة الفرقان هذه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠] يعني: أن كل رسول إنما جاء بهذا، بل أمر المشركين أن يسألوا من قبلهم، هل من قبلهم أتتهم ملائكة أم أتاهم بشر فقال جل وعلا: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣] اسألوهم، ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ المراد بهم في هذه الآية أهل الكتاب؛ علماء اليهود والنصارى، اسألوهم هل جاءتهم الرسل من البشر أم جاءتهم الرسل من الملائكة؟ فإذا كانت جاءتهم الرسل من البشر فلما تنكرون أن يكون رسولكم بشرًا، وإذا كانت أتتهم الرسل من الملائكة فإنكم لكم وجه حجة في ذلك.

وجه القياس أنهم قالوا: إن هذا الرسول يأكل كما نأكل، ويشرب كما نشرب، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون:٣٤] فصفاته بشرية؛ ينكح الأزواج، يتكلم كما يتكلمون، ينام كما ينامون، يأكل كما يأكلون، يشرب كما يشربون. بشر، فقالوا: ما دام أنه بشر فهو ليس بأهل أن يتنزل عليه الوحي من الله جل وعلا.

وهذا القياس فاسد لأنه صحيح هو قياس؛ لأنهم جمعوا بين الأمرين لوجه شبه؛ لكنه قياس فاسد، لأنهم كما ذكر المصنف رحمه الله أنهم لم يفهموا الفارق بين الأمرين، وهو أن وجه الجمع هذا لا يدل على أنه ليس هناك فارق بين الرسل وبين هؤلاء، فهناك فارق. فإذن سبب هذا القياس الفاسد أنهم ما عرفوا الفارق.

وهذا جاء من كفار قريش وممن قبلهم من الكفار.

كذلك جاء في هذه الأمة كما جاء من قبل، والذي جاء ليس هو إنكار النبوة لأجل أن الرسول ﷺ بشر؟ لا، ولكن الاستدلال بقياس فاسد، ما أمثلة هذا القياس الفاسد الذي استدلوا به من لحق الجاهلية في هذه الشعبة؟

من أمثلة ذلك القياس الفاسد أنهم كما هو عند المعتزلة وعند غيرهم قالوا: إنّ الولي إذا أثبتت له كرامات الأولياء، إذا أثبتت له كرامة صار نبيًّا. لم؟ لأن النبي هو بشر أُعطي آيات، أُعطي أشياء خارقة للعادة، فلو كان ثَم بشر يمكن أن يُعطى ذلك لصار نبيًّا؛ يعني لاشتبهت الوَلاية بالنبوة، فهنا أبطلوا هذا الحق وهو الإيمان بكرامات الأولياء لأجل هذا القياس الفاسد.

كذلك طائفة من الصوفية أو غلاة الصوفية، قالوا: إنّ النبي ﷺ لا يُخصّ بشيء، بل إنما مدار رِفعة شأنه على أنه يتلقى الوحي من الله جل وعلا، فإذا حصل التلقي لبشر صار مثله في المزية؛ لأنّ وجه الشبه بينهما حصل، وهو أن هذا يتلقى وهذا يتلقى، وهذا كان في أوائل القرون يعني: في القرن الرابع أو أواخر الثالث، بل زاد حتى زعم غلاتهم كابن عربي ونحوه أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، لم؟ قال: لأنّ خاتم الأولياء يتلقى من الله جل وعلا مباشرة، وأما خاتم الأنبياء فإنما تلقى بواسطة. ولهذا يهتمون بالكشف.

من أوجه هذا القياس الفاسد أنهم جعلوا كل من اتصف بالتقوى من أهل الإيمان متبركًا به في ذاته، فكما أن النبي ﷺ وهو إمام المتقين، وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، لما كان يتبرك بشعره، بعرقه، بثيابه، بغير ذلك من أجزاء ذاته، بسؤره يعني:

ببقية شرابه، ببقية أكله ونحو ذلك، نقلوا ذلك وعَدّوه على كل من كان وليًّا، كل من كان تقيًّا، قالوا: لأنه يقاس على النبي، فاستدلوا بالقياس الفاسد هذا وهذا كثير، بل قد دخل فيه طائفة من العلماء؛ يعني: من غير تحقيق أجازوا أن يتبرك بالصالحين بشرابهم يعني: بشرب بقية الشراب، أن يتمسح بهم، أن تأخذ بعض فضلاتهم يعني فضلات الأكل ونحو ذلك يتبرك بها، لم؟ قالوا: لأنه يجمع بينه وبين النبوة الصلاح، فإذن سبب التعدي هو الصلاح، والصحيح أن سبب التعدي هو النبوة، سبب التبرك هو النبوة لأنّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتبركون بأبي بكر ولا بعمر ولا بعثمان ولا بعلي، لا بأخذ بقية شرابهم ولا بشعرهم ولا بثيابهم ولا بغير ذلك، فدل على أن الجامع هنا ليس هو الصلاح والتقوى وإنما الجامع هو أيش؟ إنما الوصف هنا هو النبوة، فليس ثم جامع بين النبي ﷺ وبين غيره من أمته.

وهكذا في أنواع أنكروا القياس الصحيح أيضًا، والقياس الصحيح هو ما كان الجامع بين الشيئين أو ما كان الجامع بين الشيئين مقبولًا معتبرًا ليس بفارق؛ يعني: جامع صحيح، وليس ثَمَّ فارق بين هذا المقيس والمقيس عليه، أنكروا القياس الصحيح، القياس الصحيح كان ينبغي أن يدل أولئك المشركين على أنّ نبوة النبي ﷺ صحيحة، بل نبوة كل نبي صحيحة، لم؟ لأنّ البشرية التي كان عليها الأنبياء تخرج بإتيانهم -البشرية التي تجمع بينهم وبين غيرهم- تخرج إذا كان أُعطي ذلك البشر آيات بينات وبراهين دالات على صدقه ليس في وسع البشر أن يأتوا بمثلها، فالقياس الصحيح يقتضي أن يقال: إنّ كل من أتى بآية ومعجزة كما يسميها المتأخرون أو ببرهان مع دعوى النبوة مما لا يستطيعها البشر، وكان ذلك الذي أتى به معروفًا بأمانته معروفًا بتقواه معروفًا بصلاحه في القوم، أن هذا يدل على نبوته، فهذا القياس صحيح، أنهم كانوا يقيسون، أن من أوتي هذه الأمور فإنه لم يؤتها من عند نفسه، وإنما أعطاه الله جل وعلا إياها.

القياس الصحيح يقتضي أن يعلموا أن الذين اتبعوا الرسل زادوا عليهم في المزية

إيمانهم، فهناك جامع بين مستحق الجزاء الحسن وبين الأنبياء ألا وهو الإيمان، ولهذا أتباع كل أمة، أتباع كل نبي من الأمم يتبعون نبيهم، يعني هناك جامع بينهم، فكان يجب أن يقيسوا صحة ما ذهب إليه أولئك الناس بصحة النبوة، فإذا ثبتت النبوة ثبت أن أولئك اتبعوه على الحق والهدى، وهذا يعني أن لا يستدلوا بالعكس فيستدلوا بأولئك القوم على بطلان النبوة، بل ينبغي أن يثبتوا النبوة يعني يسعوا في معرفتها بدلائلها وبراهينها، فإذا ثبتت فإن أولئك يثنى عليهم لأنهم اتبعوا النبوة، وذلك مقتضى القياس الصحيح.

مقتضى القياس الصحيح أيضًا في هذه الأمة أن من اتبع العلم الذي ورَّثه النبي ﷺ للأمة فهو أحق أن يكرم وأحق أن يتبع، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**العلماء ورثة الأنبياء**»، فالجامع بين العالم والنبي هو اتباع ما جاء من عند الله جل وعلا، فكل نبي اتبع ما عند الله جل وعلا، وما جاء به الرسول فهو وريث له، وهذا قياس صحيح، يعني: ألحق أولئك في الإكرام والتبجيل بالأنبياء، ليس في درجة الإكرام والتعظيم وإنما في جنسه؛ في جنس الإكرام والتعظيم لأجل الجامع بينهما وهو اتباع وِراثة النبوة.

أيضًا في هذه الأزمان المتأخرة -وهذا هو مقصد الشيخ رحمه الله من إيراد المسألة- هو أنهم أنكروا على أهل العلم من أتباع أهل السنة والجماعة، ومن الذين شهروا بالدعوة أنكروا عليهم ما جاؤوا به، مستدلين بأنهم ليسوا بكفء لهذه المسائل التي أتوا بها، فجعلوا هناك وجه شبه بين العلماء في هذا الوقت وبين الذين ضلوا بعدم الفهم وعدم معرفة الأدلة، فأغلقوا باب التدبر وباب الاجتهاد، فكان هذا منهم - يعني: قياس علماء الدعوة بأرباب أهل الفرق الذين استدلوا بالمتشابه والذين راموا الناس على غير الهدى- كان هذا منهم قياسًا فاسدًا، وتركوا القياس الصحيح وهو أن من أتى بالحق مع أدلته أنه يُلحق بأئمة الهدى ولو كان متأخرًا، فليس بالتأخر يهضم من أتى بالحق، بل قد يأتي بالحق المتأخر، ويكون ذلك رفعة لشأنه ومزية على غيره.

الأقيسة الصحيحة هذه تركوها، الأقيسة الصحيحة أبرزها أن من كان من أهل العلم جاء بما كان عليه الأوائل فإن القياس يقتضي أن يلحق بالأئمة، وهم ألحقوه بأهل الشبه وأهل الفتن، وألحقوه بأهل الضلال وبأهل البدع، لِمَ؟ لأنه عندهم لا يمكن في هذه الأزمان المتأخرة أن يستقل أحد بالفهم.

المسألة التي تليها: يعني مقصود الشيخ من ذكر القياسين أن ينتبه إلى أن القياس ينبغي أن مع جامع واضح وفارق واضح، فإذا قاس أحد شيئًا على شيءٍ أو أمرًا على أمرٍ ينبغي أن يكون بل يجب أن يكون الجامع بينهما واضحًا والفارق منتفيًا، فإذا كان الفارق موجود والجامع غير موجود، فإنه يدل على أن القياس فاسد، وإذا كان الجامع موجودًا والفارق غير موجود أو ضعيف فإنه يدل على أن القياس صحيح.

ثم انتهى من مسائل الاستدلال وذكر المسألة العظيمة وهي أن من خصال أهل الجاهلية هي الغلو في الصالحين والعلماء، والغلو في العلماء والصالحين أخبر الله جل وعلا عنه في غير ما موضع من كتابه، منه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [المائدة:٧٧] ومنها في قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة:٣١] فأهل الجاهلية من قبل كان عندهم غلوّان غلو في العلماء وغلو في الصالحين:

الغلو في العلماء كان على أنحاء:

الأول: أنهم كانوا يتبعونهم في التحليل والتحريم، فيحللون ما حلله العلماء ولو كان ذلك حرامًا ويحرمون ما حرمه العلماء ولو كان في كتاب الله حلالًا، فجعلوا العلماء في منزلة فوق منزلة النبوة فجعلوهم أربابًا، جعلوهم معبودين كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ: ما عبدناهم؟ قال: «**ألم يحلوا لكم الحرام فأحللتموه؟**» قال: بلى. قال: «**ألم يحرموا عليكم الحلال فحرمتموه؟**» قال: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**».

فهذا نوع من أنواع الغلو وهو أن يُعتقد في العالم أنه يستقل بالإتيان بالأحكام، يستقل بالإتيان بالشرع، وهذا نوع شرك، كما قال جل وعلا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[الشورى:٢١].

كانوا يعتقدون في العلماء أنه يمكن أن يحذفوا ويلغوا بعض الكتب المنزلة ويثبتوا بعضًا آخر كما حصل من علماء اليهود والنصارى أنهم غيروا في التوراة والإنجيل إما بزيادة أو بنقص أو بتغيير للمعاني بتفسيرها تفسيرات باطلة، ومع ذلك اتبعوا.

كذلك الغلو في الصالحين يكون على أنحاء:

من أشهرها وأظهرها أن يعتقد أن كل ما فعلوه من أنواع الصلاح والعبادة أنه صواب، فيقتدى بهم مطلقًا، لاعتقاد أنهم مصيبون في كل ما يفعلون، فلا ينظرون في وجه حجة فعل ما فعله الصالح، وإنما ينظرون إلى فعله، فيستدلون بالفعل المجرد عن الحجة، وهذا هو الغلو في الصالحين، الغلو في الصالحين في حياتهم أن يُنظر إلى أفعالهم ويقتدى بهم، مع ظهور أن تلك الأفعال مخالفة للحجة أو مع عدم وضوح الحجة من أفعالهم.

من أوجه الغلو في الصالحين أنهم اعتقد فيهم أن لهم منزلة عند الله جل وعلا في حياتهم وبعد مماتهم، كمنزلة الوزراء عند الملوك أو المقربون، كمنزلة المقربين عند الملوك منهم، فكما أن المقربين من الملوك يرفعون حاجاتهم إليهم ويأتون بما يريده الناس إلى الملوك فيكونون شفعاء ووسطاء؛ لأجل شفاعتهم ووساطتهم، يجيب الملك طلبتهم ورغبتهم، جعلوا أولئك الصالحين عند الله جل وعلا كذلك، لهم من المنزلة ولهم من الزلفى ما يمتنع معه أن يرد الله جل وعلا طلبهم، هذا الغلو بهم في الحياة وبعد الممات، جعلهم يستغيثون بهم، جعلهم يصرفون إليهم أنواع العبادات، فهذا اللاتّ الذي كان يلتّ السويق كان شركهم به من أجل ذلك؛ لأنه كان رجلًا صالحًا -كما جاء في الأثر عن ابن عباس وغيره-، يلتّ لهم السويق وغير ذلك، بل

إن الأنبياء إنما وقع الشرك بهم لأجل الصلاح الذي فيهم، فبعد موت الصالح يظن أنه له عند الله جل وعلا من الزلفى ما يمكن معه أن يُتوسل به وأن يستشفع به وأن يطلب رضا ذلك الصالح بعد مماته بالتوجه إليه بأنواع العبادات كما هو مشهور.

من أنواع الغلو في الصالحين التبرك بهم، وهذا كان في اليهود وكان في النصارى، فكانوا يتبركون بصالحيهم، وكانوا يتمسحون بهم ونحو ذلك، وهذا لم يكن إلا للأنبياء، وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك كلِّه محذرًا من هذه الشعبة من شعب الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لَعْنَة الله على الْيَهُود وَالنَّصَارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وصَالحيهم مَسَاجِدَ**» وقوله هنا: «**صالحيهم**» يدخل فيه العلماء ويدخل فيه من كان صلاحه من غير علم، «**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وصَالحيهم مَسَاجِدَ**»، وهذا نوع من الغلو، بل إنّ النبي ﷺ نهى عن الغلو مطلقًا، كما جاء، يعني: مبينًا لما جاء في القرآن حيث نهى الله جل وعلا عن الغلو مطلقًا فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، فقال عليه الصلاة والسلام «**إنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»، وفي حديث عمر رضي الله عنه حينما قطع الشجرة قال لهم ناهيًا عن الغلو: إنما هلك من كان قبلكم من مثل هذا، يتتبعون آثار أنبيائهم، فما أدركتم من هذه المواضع فصلوا، وما لا فلا تتعمدوا. أو كما قال عمر رضي الله عنه.

المقصود من هذا أنّ النهي عن الغلو كثير في الكتاب وفي السنة، والدلائل عليه من أعمال الصحابة كثيرة، هذا الغلو الذي نُهي عنه دخل في الأمة في أنواع شتى كما هو ظاهر لديكم، كان الغلو في العلماء أو ما ينتسب إلى العلم بقبول أقوالهم من دون حجة، سواء في ذلك الذين ينتسبون إلى الكلام، فقُبلت أقوالهم بتحريف الشرع من دون حجة، وأيضًا الذين ينتسبون إلى الفقه قبلت أقوال بعضهم من غير حجة، حتى صار قول الفقيه مثلًا أو قول العالم الفلاني الذي هو مأجور فيه لأنه مجتهد فيه صار علمًا على الحق عند من يتعصب لهم، فصار الدليل عندهم قول العالم وهذا نوع غلو لأن العالم إنما يستعان به على فهم الأصول، وفهم الأدلة من الكتاب والسنة ولا يتبع

استقلالًا، إنما فيما كان فيه اجتهاد وخفي على المرء وجه الصواب في ذلك، فإنه يعني على أهل العلم وعلى طلبة العلم، فإنه يتبع في ذلك لأجل اجتهاده، وهذا سبق أن أوضحناه لكم مفصلًا في باب أو في مسألة التقليد.

آل الأمر بهذا إلى أن جعل أقوال المتأخرين حجة، وهذا من أعظم ما وُجه به أتباع دعوة الإمام رحمه الله تعالى - الدعوة السلفية- واليوم يواجه به كل داع إلى السلفية في أي مكان من أعظم ما يواجه به أقوال أهل العلم، وهذا نوع من أنواع الغلو فإذا كان بعض أهل العلم زل في مسألة أو غلط وهو مأجور إن شاء الله على اجتهاده؛ لكنه غلط فيها، فإنه لا يجوز أن يجعل قوله حجة في المسائل المختلف فيها أو التي يراد بحثها، فإذا كان ثم دليل واضح من الكتاب والسنة، فلم يؤخذ بأقوال بعض أهل العلم في المسائل التي أخطؤوا فيها.

فمثلًا في مسألة الشفاعة؛ الاستشفاع بالنبي ﷺ طائفة أجازته على اعتبار أنّ طائفة من أهل العلم ذكروه في كتبهم في المناسك، هذا صحيح، طائفة من أهل العلم ذكروا ذلك في مناسكهم، ففي آخر الحج يقولون يذهب إلى قبر النبي ﷺ ويفعل عنده كيت وكيت، ومن ضمن تلك الأفعال أنه يستشفع به، هذا غلط ممن ذكره من أهل العلم، لاشك فيه، فلا يجوز لأحد أن يغلو في ذلك العالم الذي قال بتلك المقالة ويجعل قوله حجة، مع أننا نعلم أن هذه المسألة قطعًا لم تكن معلومة في زمن النبي ﷺ ولا في زمن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فإذن هي مسألة مبتدعة على أقل أحوالها كيف والصواب أنها شرك بالله جل وعلا.

اليوم يؤلف من يؤلف مؤلفات ضد الدعوة ويجعلون الحجج فيها قول فلان، وفلان، وفلان، قول مثلًا العالم الفلاني، وقول العالم الفلاني، بجواز التوسل، بفعل كذا وكذا كما فعل بعض المتأخرين في مكة وهو الدكتور محمد علوي المالكي في كتابه الأخير، حيث جعل عمدة كتابه على أنه ساق أقوال العلماء في كتبهم على جواز التوسل وبعض الأفعال التي نحكم على بعضها بأنه بدعة، وعلى بعضها بأنه شرك

أصغر، وعلى بعضها بأنه شرك أكبر، استدل بأقوال ساقها من جميع المذاهب، ومن بينها أقوال بعض الحنابلة، هذا صحيح، يعني تلك الأقوال كثير منها صحيح إلى قائليها، لكن هذا نوع من أنواع الغلو، إذ أنّ الاستدلال بأقوال العلماء وجعل تلك الأقوال حجة والإعراض عن نصوص الكتاب والسنة الظاهرة، هذا هو الغلو الظاهر، فيأتي قول لعالم يعارض به قول النبي ﷺ لا شك أنّ هذا من نوع الغلو الذي حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام، بل إن ابن القيم رحمه الله تعالى بسط القول في هذا النوع من الغلو في كتابه إعلام الموقعين، وقال: إنّ بعض – يعني: مما أبلغ فيه -هذه الأمة- يعني: من أتباع الفقهاء – جعلوا العلماء أربابًا، كما فعل اليهود والنصارى، وذكر أمثلة لهم من بعض المتكلمين وبعض متعصبة المذاهب ونحو ذلك. ومن أحسن ما قيل في هذا قول الذهبي رحمه الله تعالى:

العلم قال الله وقال رسوله … قال الصحابة ليس خُلْفٌ فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة … بين الرسول وبين رأي فقيه

أراء الفقهاء العلماء تحترم تقدر وتجل ولا يستهان بأمرهم ولا بشأنهم؛ لكن إذا ظهر الدليل فلا يغلوا الناس فيهم.

أما الغلو في الصالحين فحدث ولا حرج، ظاهر لديكم في إقامة المشاهد لهم والاستغاثة بهم والذبح لهم، وصرف جميع أو أكثر أنواع العبادات لهم، بما لا وجه لبيان كل أفعال من تأثر بتلك الشعبة من شعب الجاهلية.

المقصود من هذا: أن هذه المسألة وهي الغلو من خصال أهل الجاهلية، والغلو يكون أيضًا في الأشخاص الذين يشار إليهم بالبنان من علماء وصالحين ومن غيرهم ممن لم يذكرهم الشيخ -يعني: ممن ليسوا بعلماء – وقد لا يعرف صلاحهم بيقين، كمثل الغلو في رؤساء الدعاة مثلًا، والذين يشار إليهم بالبنان في الدعوة في بلد أو في بلاد ونحو ذلك، كيف يغلوا الناس فيهم؟ بأن يجعلوا أقوالهم أو طريقتهم في الدعوة أو منهجهم يجعلونه أصل وتُصرف نصوص العلماء، وتُصرف أدلة الكتاب والسنة

إلى ما يوافق هذه الطريقة، فبعض مثلًا من يعظم طائفة من أولئك تجد أنه ألف كتبًا مدارها على الغلو فيهم بأنهم لا يخطئون، وبأنهم لا يحصل منهم زلل، وأن كل ما فعلوه هو الصواب وأن طريقة الدعوة إنما هي طريقتهم، وأن السبيل إنما هو سبيلهم ونحو ذلك، هذا نوع من الغلو؛ لأن حقيقته أن يقال في ذلك الداعية المشهور أو في ذلك القائد أو في ذلك الرئيس أو في ذلك المعظم ونحو ذلك أن يقال إن كلّ ما جاء به صواب في الدعوة، وهذا لا يُدَّعى به لأحد، فضلًا أن يدعى به لمن ليس من أهل العلم المتحققين به، لهذا من آثار الغلو في الأشخاص التعصب، فإذا غلا في شخص ما تعصّب له، فصار القول الصواب هو ما يقوله فلان الذي غُلِي فيه، والقول الخطأ هو القول الذي انصرف عنه، هذا نوع من الغلو، والواجب على المؤمنين -هذا كالتتمة لما ذكره الشيخ رحمه الله- الواجب على المؤمنين أن لا يغلو في أحد فلينظروا في حال الناس مهما كانوا معلمًا كان أو داعية أو عالمًا، أن ينظروا في حاله، ينظروا في قوله هل عليه من الأدلة ما هو واضح، هل طريقته في أمر ما أو في أموره كلها متابعة للشرع؟ هل عليها حجة بينة أم لا؟ فإذا كان عليها حجة بينة واضحة فالحمد لله، يكون اتباعه اتباعًا للحجة، وإذا كان ليس عليها بينة فلا يتبع أحد على خطإ أخطأ فيه أو على ضلال ضلّ فيه.

وإذا تبين ذلك، فإن من مصائب هذا العصر الذي ابتلي بها الناس التعصب، التعصب لمن يُعجبون به، فترى الواحد خاصة في الشباب، ترى الواحد منهم إذا أُعجب بشخص ممن قد يكون له أثر كبير في المسلمين، أو قد لا يكون له أثر ونحو ذلك، تراه يتعصب بحيث لا يسمع فيه ولا يقبل فيه لا كذا ولا كذا، وهذا نوع من أنواع الغلو الذي لا يجوز أن يكون في المؤمنين، بل يُنظر في كلامه هو بَشَر ومن أتباع النبي ﷺ، فينظر ما كان وافق فيه السنة ووافق فيه الهدى فيقبل، وما لم يكن موافقًا فيه فيرد عليه، كيف والإمام مالك رحمه الله تعالى قال: «ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر» فمن هو دونه فلا غَرْوَ أن يكون رادّ ومردود عليه؛ يعني فلا يكون

هناك تعصب عند طائفة مداره الإعجاب بأن كل ما قاله فلان فهو صواب، وكل ما لم يقله فهو خطأ، كذلك لا يكون عندنا ما يقابل التعصب في الجهة الأخرى وهو أن يكون هناك إهدار لكل صواب أصاب فيه عالم من أهل العلم أو طالب من طلبة العلم، بل الواجب أن يقال للمحسن أحسنت وللمصيب أصبت وللمخطئ أخطأت، فهذا هو الذي يجب على المؤمنين، لا أن تنغلق عيونهم، تنغلق قلوبهم بحيث يكونون متابعين لكل شيء أتى به من يعجبهم سواء كان صوابًا أو خطأً، وهذا يحتاج إلى نوع من التربية ينبغي أن يُعتنى بها؛ ألا وهي التربية على أن يكون المقدم في نفس المؤمن هو المنهج الذي لا يخطئ، الدليل الذي لا يلحقه نقص؛ الكتاب، السنة، الإجماع ما أجمع عليه أو ما ذكره أئمة أهل السنة والجماعة في عقائدهم، وما عدا ذلك فكل يقرب منه ويبعد بحسب ما عنده من العلم والهدى.

وهذه مسألة مهمة فينبغي أن يوسع الشباب صدورهم، وأن لا يضيق صدرهم بعرض الآراء على الكتاب والسنة، لا، لأنه ما من أحد إلا وهو راد ومردود عليه، ولا يعتقد الراد أنه كامل، ويعتقد الناس في المردود عليه أنه ساقط بمرة، لا، بل كل أحد يجمع بين صواب وبين خطأ، فيتبع المصيب في صوابه ولا يهضم الصواب فيه، بل يشار إليه به ويثنى عليه به، ويرد على المخطئ بخطئه، ويقال: إنك أخطأت في هذا ولا يتبع في خطئه، ولا يؤخذ به فيما أخطأ فيه.

هذا هو المنهج الصواب في هذه الأمور عند من أخطأ في المسائل الاجتهادية، فلا نغلوا ولا نجفوا، فالغلو مذموم والجفاء مذموم بين أهل السنة والجماعة فيما بينهم، فينبغي بل يجب أن يكون هذا كاليقين عندنا، ذم الغلو في الناس، الأشخاص، في العلماء، في الصالحين، هذا أصل من الأصول عند أهل السنة والجماعة، والغلو شعبة من شعب أهل الجاهلية؛ لأنه سببه التعصب والنفس تقبل شيئًا ما، وتعجب بشخص ما فيكون القول هو ما قاله، والخطأ هو ما صد عنه.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد والهدى والرشاد، وصلى الله وسلم

على نبينا محمد[١].

---

(١) الأسئلة

١- يقول: لفظ أهل السنة والجماعة والسير على منهجهم وجمع الناس حول ذلك هل هذا أمر صحيح، وهل يدخل في هذا اللفظ من قريب أو بعيد الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من أهل البدع؟

الجواب: أن الواجب على المؤمنين أن يتبعوا الكتاب والسنة وما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام، والذين ورثوا المنهاج الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، أن المنهاج هذا ورثه عن النبي ﷺ صحابته، وورثه عن الصحابة التابعون المقربون إليهم، ثم ورثه أئمة أهل السنة والجماعة ودونوه في كتبهم، فنعلم قطعًا أن الصواب هو ذلك المنهج؛ لأنه هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى قبل أن تظهر الفتن ويظهر الاختلاف في هذه الأمة.

أهل السنة والجماعة يراد بهم من لزموا طريقة الصحابة رضوان الله عليهم في جميع الأبواب؛ في باب الاتباع والعقيدة والعمل وغير ذلك، ولهذا تجد أنه في عقائد أهل السنة والجماعة يذكرون مسائل الإيمان الست يعني أركان الإيمان الست ثم يذكرون مسائل تميز بها أهل السنة والجماعة منها الأخلاق، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووسائل أخر تميّزوا بها عن غيرهم.

إذن فعقيدتهم يعني منهاجهم هذا يشمل الأمور العقدية ويشمل الأمور العملية، تقديم الكتاب والسنة، الأخذ بالحديث والاحتجاج به ذم الرأي ونحو ذلك هذا من أصولهم.

إذا تبين ذلك فالأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة لأنهم خالفوا أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة، ليست مخالفة الأشاعرة والماتريدية لأهل السنة والجماعة في باب الصفات فقط؟ لا، خالفوا في باب الصفات، خالفوا في القدر، خالفوا في أصل الاتباع؛ اتباع الكتاب والسنة.

فالقاعدة عندهم أن القواطع العقلية مقدمة على الأدلة الظنية، وأهل السنة والجماعة يجعلون النصوص مقدمة على العقل، فالقاعدة التي بنى عليها الأشاعرة والماتريدية مذهبهم تبعًا للمتكلمين أن العقل مقدم على النقل، وهذه القاعدة يردها أهل السنة والجماعة من أُسها.

كذلك يخالفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأشاعرة والماتريدية وأهل البدع يخالفون في طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغايته، فيجعلون غايته الخروج تبعًا للمعتزلة، وأهل السنة والجماعة يجعلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غايته إصلاح الخلق وانتظام شمل الناس على الدين.

وغير ذلك من المسائل، فإذن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة قد يطلق على الأشاعرة في بعض الكتب أنهم من أهل السنة، والسبب في ذلك أنه مقابلة لأهل التشيع، فيقال: شيعة رافضة وأهل سنة فيدخلون في أهل السنة، فيدخلون أهل السنة والجماعة يعني أهل الحديث وأتباع السلف الصالح ويدخلون الأشاعرة ويدخلون الماتريدية ونحوهم ممن ليس هو من الرافضة.

فإذن الإطلاق أهل السنة والجماعة لا يدخلون فيه لكن أهل السنة دون لفظ الجماعة قد يدخلون فيه إذا كان على وجه المقابلة، يعني احتجت أن تقابل تقول الرافضة وأهل السنة فإنه يعنى بأهل السنة من =

= هم ضد الرافضة، والأشاعرة والماتريدية ونحوهم كان لهم ردود على الرافضة ووقفات ضد الرافضة.

٢- هذا يسأل عن مسألة فقهية وهو: السائل الذي يخرج من فرْج المرأة ما حكمه هل يوجب وضوءًا أو غسلًا؟

الجواب: أن السائل في المحل طاهر فإذا انفصل كان نجسًا، إذا انفصل كان نجسًا ويعني ذلك أنه ينقض الطهارة، فإذا كان في المحل يعني في الفرْج فهو طاهر التي هي رطوبات فرج المرأة، أما إذا انفصل وخرج فالعلماء يقولون: إنه نجس بخروجه عن المحل، خروجه من البدن من ذلك الموضع فإذا خرجت النجاسة من ذلك الموضع أوجبت وضوءًا حدث أصغر، أما حال الجماع إذا جامعها وخرج فمعلوم أنه سواء أنزلت أو لم تنزل فإنه يجب عليها الغسل، لا لأجل خروج السائل هذا وإنما لأجل الجماع، فإن النبي عليه الصلاة والسلام ثبت عنه أنه قال: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل**» يعني: للرجل وللمرأة.

٣- يسأل عن تفسير زبدة التفسير وهو اختصار فتح القدير مختصره الشيخ محمد الأشقر.

الجواب: أن التفسير رأيت منه مواضع، قرأت فيه في مواضع فألفيته تفسيرًا جيدًا، قد نظرت بعض المواضع التي زلت فيها قدم الشوكاني رحمه الله تعالى، فتحاشى ذلك الزلل، وعبر بعبارة جيدة مع أنه مختصر له فلم يبق عبارة الشوكاني وفي بعض المواضع ولا معنى ما يريد الشوكاني بل قرر الحق في بعض المسائل، منها -ويمكن أن ترجعوا وتقارنوا ما ذكره- عند قوله تعالى في أول سورة الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء:٢] فإن الشوكاني رحمه الله في هذه المسألة لم يفهم ما كان عليه السلف الصالح في مسألة خلق القرآن، فأتى بقول من جنس أقوال أهل البدع، فتحاشاه المختصر الشيخ الأشقر، وهذا يدل على عنايته بالأقوال التي زل فيها قلم الشوكاني.

٤- العبارة هل هي صحيحة «لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار»؟

الجواب: أن هذه العبارة مشهورة، وأهل العلم يصححونها، والصغيرة إذا أصر عليها صاحبُها فإنها تتحول إلى كبيرة، ومعنى الإصرار عليها أي: يفعلها مرارًا وتكرارًا دون أن يحدث استغفارًا، فإذا فعلها مرة والثانية والثالثة والرابعة والعاشرة ولم يستغفر، فصار الإصرار عليها كبيرة من كبائر الذنوب، لكن إذا فعل الصغيرة ثم استغفر، ثم فعلها مرة أخرى ثم استغفر والثالثة والرابعة ويستغفر بعد كل مرة، فلا يدخل في هذا القول، على أن هذا القول روي عن بعض السلف، لكن ليس عليه دليل واضح من الكتاب أو السنة.

٥- هل يستطيع المسلم فهم العقيدة وشرحها دون حفظ القرآن الكريم وما هو السبيل إلى ذلك؟

يمكن أن يفهم العقيدة سواءً العقيدة الإجمالية يعني مجمل الاعتقاد أو توحيد العبادة بخصوصه يمكن =

أن يفهمه بدون أن يحفظ القرآن، لكن إذا حفظ القرآن استقامت عنده الحجة ووضح له البراهين التي يأتي بها أهل السنة في تلك المسائل.
٦- الصلاة خلف المبتدع في الدين أو القبوري وإذا أقيمت الصلاة وهو الإمام ما الحل؟ ثم ما وضع حديث: «**صلوا وراء كل بر وفاجر**»؟
أولًا: الصلاة خلف المبتدعة وأهل الكبائر يمعنى: أهل الكبائر المظهرين لها، الأصل فيها أنها جائزة، الصحابة رضوان الله عليهم صلوا خلف أمراء الجور الذين يظهرون الكبائر وإزهاق النفوس كما صلى ابن عمر خلف الحجاج بن يوسف، وأنس صلى خلف الحجاج أيضًا، كما روى صلاة ابن عمر خلف الحجاج البخاري وغيره، هذا من جهة أهل الكبائر، و أهل البدع كذلك يصلى خلفهم، وأهل السنة والجماعة نصوا على ذلك في عقائدهم، لكن إذا كان صاحب البدعة هذه يمكن أن يستغنى عنه؛ بمعنى أنه ليس بإمام راتب شخص يتقدم وتعرف أنه صاحب بدعة هنا تنهره عن التقدم ويتقدم صاحب السنة، يعني: أنه عند الاختيار لا يجوز أن يأمّ صاحب كبيرة ولا صاحب معصية ظاهرة ولا صاحب بدعة، لكن إذا كان ليس عند الاختيار، وإنما أدركت جماعة وفيهم من هو كذلك فإذا كانت بدعته لا تخرجه إلى الكفر فإنه يصلى خلفه، والإمام أحمد ذكر في مسائل أنها بدعة ومع ذلك أمر بالصلاة خلف من فعلها، مثل القنوت في صلاة الفجر فإنه بدعة ومع ذلك سئل عن الصلاة خلف من يقنت في الفجر قال: تصلي خلفه، قال هل أرفع يدي معه؟ قال: لا. قال ما أصنع؟ قال: تسكت. أو كما روي عنه.
أما حديث: «**صلوا وراء كل بر وفاجر**» فهو حديث في السنن لكنه ليس بصحيح، رواه أبو داود وغيره.
والآن قد أستدرك أن الذي رواه أبو داود قريب من هذا اللفظ يعني: معناه هذا الحديث لكنه ليس بلفظه.
٧- هذا يسأل سؤال يتكرر كثيرًا وهو الفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.
الجواب: أن أهل السنة والجماعة لا يفرقون بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؛ بل الفرقة الناجية عندهم هي الطائفة المنصورة والطائفة المنصورة عندهم هي الفرقة الناجية، وذلك أن الأحاديث التي جاءت فيها أوصاف الطائفة المنصورة من مثل «**لاَ تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي طَائِفَةٌ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وهم كذلك**» ومن مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ**» وفي الرواية الأخرى: «**يقاتلون**» ونحو ذلك، هذه كلها أوصاف للطائفة المنصورة، وهذه الطائفة المنصورة عندهم هي الفرقة الناجية، وحُكي الإجماع على ذلك من أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية لم تأتي في حديث بهذا الاسم بخلاف الطائفة المنصورة، فإن الطائفة المنصورة ذكرت هذه اللفظة أو ما يدل عليها وأما الفرقة الناجية فإنما فهمت فهمًا من حديث الافتراق: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**». فعلى هذا سموا الفرقة هذه التي هي الأولى يعني التي لم تخرج سموها الفرقة الناجية، وبيان ذلك أن الطائفة =

= المنصورة والفرقة الناجية كلٌّ من اللفظين فيه نعت ليس في الأخرى، فالطائفة المنصورة يعني أنها منصورة في الدنيا والفرقة الناجية يعني أنها ناجية في الآخرة، فأحد الوصفين ليس معارضًا للآخر، فأحد الطائفتين وصف بوصف دنيوي بوصف وهو أنها منصورة في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] الطائفة المنصورة في الدنيا، والفرقة الناجية هي التي تنجو من عذاب الله في الآخرة، تنجو من النار في الآخرة فالفرقة الناجية في الآخرة هي الجماعة الحق وهي الطائفة المنصورة في الدنيا، هكذا نعلم من فهم أئمة أهل السنة والجماعة في ذلك.

٨- [...سؤال غير واضح ... مجمله يسأل عما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وهل يصلح أن نقول أن معاوية من الفرقة الناجية وعلي من الفرقة المنصورة؟].

عقيدة أهل السنة والجماعة كما تعلمون في الحرب بين علي ومعاوية أن كلًّا منهما مجتهد، وأن كلًّا منهما طالب للصواب وأن عليًّا هو صاحب الحق وهو صاحب الأجرين في اجتهاده؛ لأنه على الصواب ومعاوية رضي الله عنه كانت فئته ولا نقول هو كانت فئته هي الباغية، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ويحك عمار تقتلك الفئة الباغية**»، وكان الذين قتلوه هم عسكر معاوية، فمعاوية ومن معه يعني معاوية رضي الله عنه في اجتهاده ومن معه من الصحابة أصحاب أجر واحد؛ لكنهم مخطئون عندنا، إدخال القتال فيما بينهم بالطائفة المنصورة لا يعني أن الطائفة المنصورة التي ذكرت في الأحاديث أنها في كل وقعة تُنصر، إنما يقصد الجنس أنها لا تزال منصورة إما نصرة حجة على من عاداهم، وإما نصرة سنان على من عاداهم، فعلي رضي الله عنه مع ما حصل له مع معاوية هذه فتنة لأنها بين المسلمين فليس فيها طائفة منصورة ولا فرقة ناجية، وإنما الطائفة المنصورة والفرقة الناجية كلاهما لمسمى واحد لا يُعنى به ما حصل من الفتن أو أن كل حرب دخل فيها رجل فنُصر فيها يكون من الطائفة المنصورة، لا إنما المقصود الجنس؛ أنها لا تزال منصورة كجنس الطائفة، قد يكون واحد من الفرقة الناجية ومن الطائفة المنصورة ولكنه لا ينصر في كل وقعة لا ينصر في كل حرب له مع أعدائه الكفار أو مع المسلمين في الفتن الدائرة، لكن الذي حصل بين علي ومعاوية أن أحدهما صاحب أجرين وهو علي رضي الله عنه ، وأن معاوية صاحب أجر واحد رضي الله عنهم أجمعين، وأن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ليس لها دخل في حرب علي ومعاوية؛ لأننا نريد بالفرقة الناجية التي تنجو من النار وعلي ومعاوية جميعًا ينجون بإذن الله من النار علي رضي الله عنه شهد له بالجنة، ومعاوية رضي الله عنه كذلك فهم ناجون من النار، كذلك هم من الطائفة المنصورة كجنس، لما كانوا مع عمر رضي الله عنه ، ولما كانوا مع عثمان رضي الله عنه قبل حصول الاختلاف، الجميع من الطائفة المنصورة والجميع من الفرقة الناجية، فالحرب التي حصلت فتنة لا يدخل فيها تقسيم طائفة منصورة وفرقة ناجية.

المتن

(**المسألة الرابعة عشرة**): أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والإثبات فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عمّا جاءت به الرسل.

(**الخامسة عشرة**): اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]، ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١] فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم وأن الطبع بسبب كفرهم.

(**السادسة عشرة**): اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[البقرة:١٠١، ١٠٢].

(**السابعة عشرة**): نسبة باطلهم إلى الأنبياء كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[آل عمران:٦٧].

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالمسألة الرابعة عشرة: من مسائل الجاهلية وهي أن كل ما تقدم من استدلالاتهم الباطلة وردّهم لأدلة الحق مبني على قاعدة النفي والإثبات فيتبعون الظن والهوى ويُعرضون عما يجب عليهم اتباعه من الدليل الواضح، هذه القاعدة وهذه المسألة نرجئ الكلام عليها إلى وقت لاحق إن شاء اللهُ تعالى.

المسألة الخامسة عشرة: (اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[البقرة: ٨٨]، و﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١]) ونحو ذلك من الآيات، فبين الله جل وعلا بأن ذلك وهو عدم الفقه وعدم الفهم بسبب الطبع على

قلوبهم وبسبب جعل الأكنة على القلوب، وأن ذلك أيضًا كان عدلًا من الله جل وعلا، وذلك لأنه بسبب كفرهم بالله جل وعلا.

وهذه المسألة مسألة عظيمة ألا وهي أن المشركين وأهل الجاهلية على اختلاف ملل الجاهليات ونحلهم يعتذرون عن اتّباع الحق ويكون عذرهم هو أنهم لم يفقهوا ما قيل لهم ولم يعلموه، يريدون بذلك أنهم لم يفقهوا الحجة فقه من يستجيب لها، ولم يعلموا أن تلك الحجج التي جاءت بها الرسل أو جاء بها الأنبياء أنها غالبة وأنها مقدمة على الحجج التي يحتجُّ بها أولئك فعند المشركين حجج وعلم والرسل والأنبياء جاؤوا بحجج وعلم فلم يفقه أهل الجاهليات أن حجج الأنبياء والمرسلين أدلّ على المراد من حجج المشركين.

ولبيان ذلك نقول: إن الحجة لا بد من إقامتها فالله جل وعلا ما بعث رسولًا إلا لأجل إقامة الحجة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]، فمن كمال عدل الله تبارك وتعالى ومن كمال حُكمه وحِكمته أنه جل وعلا ما عذّب أحدًا حتى يقيم عليه الحجة، ولذلك بعث الله المرسلين وبعث الأنبياء لكي تنقطع حجج الناس بل إنّ الله جل وعلا أخذ على ابن آدم أو على بني آدم العهد لمّا أخرجهم من ظهور آبائهم ألاّ يكذبوا بتوحيد الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، إلى أن قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣]، فالله جل جلاله أقام الحجج المتنوعة حجج مسموعة وحججًا مرئية، وهم اعتذروا عن الاتباع بعدم فهم الحجة، قال سبحانه مخبرًا عن قولهم: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأعراف: ٢٥] وقال سبحانه مخبرًا عن قول اليهود أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨]، وتقرير هذا أن فهم الحجة له نوعان:

النوع الأول: أن يُفهم معناها؛ يعني أن يقيم الحجة من يُفهم معنى الحجة، بأن يكون بلسان المخاطب، وأن يُفهمه المراد من الحجة، وهذا النوع متفق على أنه لابد منه، فإن الله جل جلاله ما بعث رسولًا إلا بلسان قومه ليبين لهم، كل رسول بعث بلسان قوم ذلك الرسول، يعني: يتكلم بلغتهم ويتكلم بلسانهم حتى يبين لهم الحجة، وحتى يفهموا معناها، وهذا متفق على أنه لا بد منه؛ لأنه إذا خوطب أحد بغير اللسان الذي يفهمه لم يكن ثَم إقامة للحجة، فإذن هذا النوع رجع إلى أنه في معنى إقامة الحجة، فإقامة الحجة لا يكون إلا بفهم معناها في هذا النوع.

القسم الثاني أو النوع الثاني: فهم الحجة الفهم الذي يتبعه استجابة للحجة، فإن من فهم الحجة فهمًا مستقيمًا كاملًا لابد أن ينقاد لها وهذا هو الذي لا يشترط في إقامة الحجة، فلم يكن لأولئك عذر بقولهم: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾، ﴿مَا نَفْقَهُ﴾ يعني: ما نعلم ولا نفهم أن هذا الذي تقول أرجح من قولنا، ولا نفهم أن علمك الذي أتيت به أرجح من علمنا، وهذا النوع هو الذي حُرِمَهُ المشركون في أنهم لم يفهموا فهم استجابة، لم يفهموا الحجة من جهة كونها أرجح من حجتهم، ولكن الحجة نوعان فهموا معناها.

فإذن فهم الحجة معناها نوعان: النوع الأول لابد منه، وأما النوع الثاني وهو أن تفهم فهم من يستجيب، فإن هذا لا يشترط في إقامة الحجة، فإن الحجة تقوم ولو زعم الزاعمون أنهم لم يفهموا معناها إذا بينت لهم ألفاظها وكانت بلسانهم وبُيِّن لهم معناها من أهل العلم والفهم لبيان المعنى.

لهذا قال جل وعلا مخبرًا عن قول المشركين: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ وقال: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ ولم يمنعهم هذا الاحتجاج بأنهم ما فقهوا ولا فهموا بأن تكون الحجة قد أقيمت عليهم، وإذْ أعرضوا حلّ عليهم سخط الله جل وعلا، وأيضًا أخبر سبحانه أن قريش بل والعرب جُعلت على قلوبهم أكنة قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ جعل الله جل وعلا على قلوب المشركين أكنة تحجب الفقه وتمنع الفهم،

حواجز تمنع ذلك ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يعني: أن يفهموه، هذا الفهم إنما هو فهم موقع الاحتجاج؛ فهم رجحان الحجة على ما عندهم من الحجج، وهذا كل طائفة من طوائف الشرك والجاهلية تحتج بهذا بأنها ما فهمت بأنهم ما يريدون أن ينسبوا إلى أنفسهم أنهم ردوا الحجة عنادًا واستكبارًا.

ولهذا قال أئمتنا إن إقامة الحجة شرط وأما فهم الحجة فلا يشترط. فليس كفر كل من كفر عن عناد وتكذيب؛ لأن أولئك لم يفهموا وجه الحجة الفهم الذي يجعلهم يقدمونها على حجتهم، ولكنهم فهموا تلك الكلمات وفهموا دلائلها وفهموا معناها.

قال الشيخ رحمه الله تعالى هاهنا: (فأكذبهم الله جل وعلا في ذلك) يعني: فيما احتجوا به من أنهم ما فقهوا يعني أكذبهم في أنهم فهموا المعنى، ولكنهم جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوه الفقه النافع، وهو سبحانه كثيرًا في القرآن ينسب الفعل إلى من ينتفع به، فقول الشيخ رحمه الله (أكذبهم الله) يعني في أنهم ما فقهوا الفقه الذي هو بمعنى فهم المعنى وبين أنهم فهموا المعنى، ولكن الله جل وعلا بين أنه جُعل على قلوبهم أكنة وكثيرًا في القرآن ما يأتي نسبة الفعل إلى من ينتفع به، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ﴾ [فاطر:١٨]، فأخبر سبحانه في هذه الآية أن النبي ﷺ إنما ينذر الذين يخشون ربهم بالغيب مع أنه عليه الصلاة والسلام نذير للعالمين، لكن أضيف إلى أولئك الإنذار لأنهم هم الذين انتفعوا به ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ لأنهم هم الذين انتفعوا بذلك.

فهنا في قول الشيخ فأكذبهم الله جل وعلا في ذلك، وبيّن سبحانه أن سبب عدم الفقه هو الطبع على القلوب، يعني: عدم الفقه الذي هو في ترجيح الحجة، الفهم الذي يترتب عليه ترجيح حجة المرسلين على ما عندهم من الأوهام والحجج، وبيّن سبحانه أن ذلك الطبع بسبب كفرهم، عدلًا منه جل وعلا وحكمة، وهذا في كل أهل جاهلية يأتون بمثل هذا.

وهذه المسألة موسومة في كتب العلماء بمسألة إقامة الحجة وفهم الحجة، وتبيّن

لك أن الصواب تقسيم فهم الحجة إلى قسمين؛ لأن من أهل السنة في هذا القرن من اعترض على أئمتنا بعدم اشتراط فهم الحجة لأنه قال لابد من فهم الحجة، كيف تقام الحجة على من لم يفهمها؟ والعلماء بينوا لكن هؤلاء ما انتبهوا إلى أنّ فهم الحجة بالمعنى الأول الذي ذكرناه وهو فهم المعنى، وفهم مدلولات الكلام وفهم الاستدلال ووجه الاستدلال هذا لا بد منه، وأما الفهم الذي هو معرفة رجحان هذه الحجة على غيرها وقطع الشبه جميع الشبه فهذا لا يشترط كما بينه الأئمة.

إذا تبين لك ذلك، فنقول: إن هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية نفذت في هذه الأمة في قديم زمانها وفي حديثه:

فأما في قديم زمانها يعني في أوائل الأمر، من جهة أن كثيرًا ممن أعرضوا عن الكتاب والسنة وعن لزوم اتباع الكتاب والسنة، والأخذ بما كان عليه سلف هذه الأمة، وأن علومهم كانت أعلم وأسلم وأحكم، وأنهم كانوا أتقى لله جل وعلا من أن يخوضوا في غير ما أذن الله جل وعلا أن يخوضوا فيه، إذا بين لهم ذلك، محسنهم يقول ما أفقه هذا الكلام؛ يعني هذه حجة ليست بواضحة، هذا الكلام ليس بواضح الدلالة، فيرد هذا الأصل العظيم مع ما عليه من الدلائل الواضحات لأجل عدم فهمه، وعدم فهمه بموقع الحجة، وأن هذه الحجة أقوى من حجته هذا ليس بعذر له، ليس بعذر له ولا يعذر في ذلك.

مثال هؤلاء أهل البدع في الاعتقادات، سواء كانت منها الاعتقادات الكفرية أم ما كان دون ذلك، هؤلاء اعتاضوا وتركوا كتاب الله والسنة وما كان عليه السلف إلى آراء أحدثوها واعتقادات وضعوها، حتى إنهم وضعوا أدلة عارضوا بها الأدلة القرآنية والأدلة النبوية، مثل الدليل الذي وضعه طائفة أو الذي وضعه جهم بن صفوان ومن بعده من المعتزلة؛ الدليل الذي يسمى بدليل الأعراض، والذي من أجله وبسببه أُوِّلت الصفات وحُرفت النصوص، ووقع البلاء العام في المسلمين بسبب ذلك الدليل المحدث المبتدع، الذي هو خطأ في نفسه، وجناية على الشرع، تحصيل هذا

الدليل أنّه أراد أن يثبت وجود الله جل وعلا بإثبات حدوث الأجسام، وأن الأجسام لا يثبت حدوثها إلا بإثبات حلول الأعراض فيها، والأعراض هي المعاني التي تطرأ وتزول، فلما أثبت الوحدانية يعني وجود الله جل وعلا بهذا الدليل، صار معه متعين أن ينفي كل ما يعارض ذلك الدليل، فنفى إثبات الصفات لأن الصفات عنده أعراض تطرأ وتزول، وإذا أثبت الصفات كالرحمة والمغفرة والنزول والاستواء والكلام وغير ذلك من الصفات، إذا أثبتها فإنه يعني في فهمه أنه يثبت أعراضًا تطرأ وتزول، وهو ما أثبت حدوث الأجسام إلا بهذه الطريقة التي هي طريقة الأعراض، فكان مستمسكًا بدليله، وبدليله هذا ظهرت الفرق المعتزلة والكلابية والماتريدية والأشعرية ومن نحى نحوهم، وهو دليل باطل من أصله، لما خوطب أهل الاعتزال من أهل السنة الذين أخذوا بهذا الدليل وعظموه، الذي هو أنه يستدل على وجود الله بدليل حدوث الأعراض في الأجسام، لما أُحتج عليهم بأن هذا الدليل لم يأت في الكتاب ولا في السنة وأنه منقوض من أصله، وأن أدلة القرآن هي المتعينة في إثبات حدوث المخلوقات، وأن الله جل وعلا هو موجدها ومحدثها وخالقها وربها، قالوا: إنّ نقض ذلك الدليل لا نفهمه، وقلوبنا لم تفهم ذلك، وعقولنا لم تدرك ذلك، ونحو هذا، مع أن الدليل واضح في نفسه، لكن جُعل في قلوبهم ما يصدهم عن اتباع الأدلة القرآنية فأحدثوا ذلك الحدث الأعظم في الملة، ألا وهو ذلك الدليل الباطل من أصله الذي بسببه حدثت الفرق المختلفة.

كذلك في العبادات طوائف المبتدعة من المتنسكة والمتصوفة ونحو ذلك، إذا أُحتج عليهم ببطلان بدعهم وبطلان طرائقهم في السلوك، وأنه لا يجوز أن يُسلك طريق إلا إذا كان موافقًا للنص في العبادات وفي العقائد ونحو ذلك، بينوا أنهم لا يفهمون تلك الأدلة، وأن ما عليه، ما بينه أشياخهم أن هذا أوضح لهم، هؤلاء أقيمت عليهم الحجة وبينت لهم لكنهم ما فقهوها فقه من يتبع السلف الصالح، فلا يعذر أولئك بالجهل، بل أكذبهم الله جل وعلا بما أكذب به الأولين الذين اعتذروا بأنهم لم

يفقهوا، هم يسمعون كلام الله ويسمعون سنة النبي ﷺ، وكلام أهل العلم في بيانها، وبينت لهم تلك الأمور، وصنفت في ذلك مصنفات ومع ذلك بقوا على طرائقهم المبتدعة، وطرقهم الصوفية المحدثة، يحتجون بأنهم ما يفهمون هذا الفهم يعني فهم كون حجة السلف أرجح من حججهم، وطريقة السلف أرجح من طرائقهم، وهؤلاء لا يعذرون لأنهم مُكَذِّبُونَ بما كذب الله جل وعلا الأولين.

وهكذا كل من أقيمت عليه الحجة من كتاب الله جل وعلا ومن سنة رسوله ﷺ من الحجج التي فَهْمُها لا يختلف فيه اثنان، أو من الحجج التي يمكن أن تفهم على أكثر من منحى، لكن أهل العلم بينوا معناها وأوضحوا مرادها واستدلوا عليه بالدلائل، من بين له ذلك فقد أقيمت عليه الحجة، فمن خالف بعد ذلك ولو احتج بعدم الفقه والفهم فهو مكذِّب.

قال الشيخ رحمه الله إن الله جل وعلا أكذبهم (فأكذبهم الله) وبين أن سبب ذلك هو الطبع على قلوبهم، وأنّ الطبع بسبب الكفر وهذه السببية مطردة في كل من خالف الكتاب والسنة ونهج سلف هذه الأمة في العلوم والأعمال في الاعتقادات وفي السلوك وفي الفقه، كل من خالف هذا فإنه يعاقب على صنيعه بأنه لا يفهم الحجج، قال جل وعلا: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف:١٠١]، لا تستطيعون سمعًا مع أنهم سمعوا كلام الله، وسمعوا كلام رسوله ﷺ، يعني: أهل الشرك لكنهم ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ ذلك هو السماع النافع، لا يقدرون عليه، الاستطاعة هنا بمعنى القدرة لأنهم جعلت على قلوبهم الأكنة عقابًا لهم على إعراضهم عن الاتباع، فكل من أعرض عن الاتباع يخشى عليه أن يعاقب بعدم فهم الحجج، وهذه هي أعظم العقوبات، أن يعاقب المرء بأن لا يفهم كلام الله جل وعلا ولا كلام رسوله ﷺ.

وإذا تأملت اليوم أكثر المخالفين فإنهم إذا بُينت لهم الأدلة والنهج الصحيح، يقولون: إن هذا غير واضح، هذا لا يُلزم الناس به ونحو ذلك، وهذا من جنس ما كان عليه أهل الجاهلية؛ من أنهم لم يفقهوا، ولم يفهموا، ولم يتبين لهم أن حجة المرسلين

أعظم من حجتهم، ولاشك أن من ورث الكتاب وورث السنة فإن حجته أعظم من حجة غيره، ولو كان عنده من العلم وعنده من العقل الشيء الكثير، كما قال شيخ الإسلام في المتكلمين: أوتوا ذكاء ولم يؤتوا زكاء أو أتوا علومًا ولم يؤتوا فهومًا. يعني الفهم النافع فإنه حُرِم كثيرون الفهم النافع، فكل من جادل اليوم بالباطل، وقال: إنه لم يفهم الحجج التي عليها سلف هذه الأمة فإن ذلك بسبب إعراضه، فليكن أول ما يكون من أمره في علاجه أن ينسلخ من كل طريقة ليس فيها اتباع السلف، ثم بعد ذلك سيرى من نفسه أنه وُفِّق للفهم، ووفق للسماع النافع، ووفق للفقه فقه الأدلة، ولهذا ترى عند أئمة الإسلام الذين انشرحت صدورهم للعقيدة الصحيحة، وانشرحت صدورهم لاتباع النبي ﷺ، وجاهدوا في ذلك وبينوا، عندهم من فهم النصوص ما ليس عند غيرهم، فمن اتبع النصوص نطق بالحكمة، مثل ما قال بعض الأئمة قال: من أمّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة. وهذا ظاهر بَيِّنٌ، فإن المؤمنين في كل زمان لم يزالوا يحتاجون إلى من ينطق بالحكمة، وليس أولئك إلا أئمة أهل العلم الذين تبعوا السلف الصالح وتفقهوا في الكتاب والسنة.

فاليوم كل من أقيمت عليه الحجة وبينت له فإنه لا يجوز أن يُعذر باحتجاجه بعدم الفهم يعني الفهم النافع، إلا في بعض المسائل المشتبهة التي اختلفت فيها أنظار أهل العلم وكان في النصوص ما يعذر معه أولئك، من أنهم يفهمون منها كذا، تفهم من طائفة شيء وتفهم من الطائفة الأخرى شيئًا آخر، فهذا لا بأس به يعني خلاف يعذر به صاحبه؛ لأنه ناتج في أصله عن اتباع أما إذا كان ناتج عن معارضة للنصوص بالأفهام التي لم يتبع فيها أصحابها كلام أهل العلم فأصحابه غير معذورين.

المسألة السادسة عشرة: قال الشيخ (اعتياضهم – يعني: أهل الجاهليات– عما أتاهم من الله بكتب السحر كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾[البقرة: ١٠١، ١٠٢]) وهذا بيان لفعل اليهود، وأن اليهود تركوا ما جاء به أنبياؤهم وما

ساستهم به الأنبياء من العلم النافع إلى غير ذلك من كتب السحر.

وفي قوله تعالى هنا: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾.

قال بعض أهل العلم إن معنى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يعني في ملك سليمان فـ﴿عَلَى﴾ بمعنى (في).

وقال آخرون: إن معنى ﴿مَا تَتْلُوا﴾ ما تكذب، فتكون ﴿تَتْلُوا﴾ مضمنة معنى الكذب، وهو المناسب للتعدية بـ(على)؛ لأن كذب يُعدى بـ(على)؛ كذب على فلان، والتضمين معروف في لغة العرب مطرد كثيرًا.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾، ﴿تَتْلُوا﴾ هنا كما ذكرتُ لك مضمنة معنى الكذب، والمُلك في هذه الآية معناه العهد، فيكون معنى الآية: واتبعوا ما تكذب الشياطين على عهد سليمان.

وفي تفسير هذه الآية ستة أوجه، كيف كان ذلك الاتباع وكيف كان دخول السحر من جهة الشياطين على عهد سليمان، ستة أقوال ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ورتبها ترتيبًا حسنًا.

الذي يهمنا منها ما يجمع تلك الأقوال ويناسب هذه المسألة وهو أن حاصل تلك الأقوال: أن سليمان عليه السلام جعل كتبًا من كتبه أو كتبًا من كتب الشياطين جعلها تحت كرسي له، مخفاة عن الناس، مدفونة لا يعلم بذلك أحد، وكان عهد سليمان لدى الناس يطلعون عليه ويعملون به، فهو نبي من الأنبياء عليه السلام، سليمان عليه السلام منع الناس من النظر فيما كتبته الشياطين من السحر والأقوال التي أخذوها من الكهنة كما في أحد الأقوال، وأيضًا دفن عهده وكتابه تحت كرسيه، فلما توفي سليمان عليه السلام أَعلمت الشياطين الكهانَ بأن عهد سليمان مكتوب ومجعول تحت كرسيه، فحفروا فوجدوه -والذي أذكره الآن هو القدر الذي تجتمع عليه الروايات وأما ما تختلف فيه فليس هذا محل بيانه لأنه دخلها كثير من الإسرائيليات، والروايات كلها عن الصحابة ليس في ذلك شيء مرفوع، لكن الذي

يناسب ظاهر المعنى –معنى الآية– هو ما أصفه لك الآن– بيّن الشياطين للكهان أن عهد سليمان تحت كرسيه فحفروا فوجدوه.

أما على القول بأن عهده الذي كان عَهِدَ به للناس فإنهم يقولون: إن الشياطين كذبت على سليمان بأنهم لما استخرجوه زادوا فيه أقوالًا وزادوا فيه إباحة السحر، وزادوا فيه كيف يُسحر المسحور أو كيف يُسحر الناس ونحو ذلك من الأقوال الشيطانية، ومن قال: إنّ الذي دفنه سليمان هو كتب الكهنة وما كتبه الكهنة، فيكون أولئك الشياطين استخرجوا تلك الكتب من الكهنة، وزعموا للناس أنها عهدُ سليمان، مع أن عهد سليمان كان معروفًا فيهم، كان محفوظًا في الناس يعرفونه ويعملون به، لكن لما أظهرت الشياطين تلك الكتب وقالوا: إنها من عهد سليمان أو إنها عهد سليمان قال اليهود: إنّ سليمان ساحر، وهذا ما أخبر الله جل وعلا به في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] ما كفر سليمان عليه السلام بالسحر، وإنما عهد للناس العهد الذي ينفعهم، وعلّمهم ما ينفعهم، وأقام الحجة عليهم وبين لهم ما ينجيهم، وأنفذ فيهم ما أوحى الله جل وعلا إليه ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ وحاشاه أن يكون كذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ يعني بعد موت سليمان بما أخذوه من الكتب زاعمين أن هذا من دين سليمان، زاعمين أن هذا هو عهد سليمان.

وهذا هو أصل هذه المسألة من أن أولئك الذين كانوا من أتباع سليمان اعتاضوا عما أتاهم من الله جل وعلا من عهد سليمان، ومما أنزله الله جل وعلا عليهم وبينه لهم على لسان سليمان عليه السلام، ذلك القدر المتيقن، ذلك القدر الذي لا شك فيه و لا التباس اعتاضوا عنه بكتب السحر التي جعلتها الشياطين، وهذا الأمر أصل في أنّ أهل الجاهليات نبذوا الرسالات وأخذوا بما هو من جنس السحر أو أخذوا بالسحر أصلًا كما في هذه المسألة.

فهذه المسألة أصل في أن كل من خالف الرسل ممن جاء بعدهم إنما خالف الرسل لأنهم اعتاضوا واستبدلوا ما أنزل الله جل وعلا عليهم، وما أمرهم باتباعه، استبدلوه بشيء آخر من الكتب إما كتب سحر، وإما بكتب محرفة، وإما بكتب مفتراة على الله جل وعلا ونحو ذلك.

اليهود طائفة منهم من علمائهم افتروا على الله جل وعلا الكذب؛ بأن جعلوا في التوراة ما ليس منها، وأدخلوا فيها ما ليس منها، حرّموا على الناس الحلال، وأحلوا لهم الحرام، مع أن التوراة الأصلية كانت في أول الأمر موجودة عند الناس ولكنهم تركوها و أخذوا بتلك الأقوال وبتلك الآراء.

وهكذا في أهل الجاهلية جاهلية العرب كان ذلك عندهم نبذوا المتيقن لديهم من دين إبراهيم عليه السلام، وأخذوا بما أحدثه طائفة من أهل مكة أو طائفة من العرب.

فكانت هذه المسألة واضحة في أن أهل الجاهلية يتركون ما أنزل الله جل وعلا إلى غيره.

وهذه الشعبة من شعب أهل الجاهلية أيضًا هي في هذه الأمة في أوسع صورها، وفي أظهر مظاهرها وأوضح مظاهرها، أعظم مما كان عند اليهود وأعظم مما كان عند غيرهم، ذلك أن كتاب الله جل وعلا محفوظ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]، والسنة؛ سنة النبي ﷺ محفوظة أيضًا بما بينه أهل العلم من صحيحها وسقيمها، فالدين محفوظ ليس بعرضة للتغيير ولا التبديل، دين باق إلى قيام الساعة، كتاب الله باق وسنة النبي ﷺ باقية، وهذا يوجب على الناس أن لا يحيدوا عنها، وأن لا يرغبوا الهدى في غير الكتاب وسنة النبي ﷺ ، ما الذي حصل في هذه الأمة؟ تُركت تلك الأصول.

تُرك الكتاب وتركت السنة، واستبدل طائفة من هذه الأمة بالكتاب والسنة كتب الفلسفة وكتب الكلام.

طائفة أخرى استبدلت بكتب السنة كتب الرأي من كتب بعض الفقهاء المتقدمين

الذين لا يذكرون في كتبهم إلا الرأي؛ أرأيت إن كان كذا فكيف يكون، بخلوِّها من الحجج والأدلة وكلها مبنية على قياس ورأي.

ترك طائفة من هذه الأمة سير السلف في العبادات وأخذوا بكتب القوم الذين صنفوا في ذلك من أهل الطرق ونحو ذلك مع أن الكتاب محفوظ والسنة محفوظة لكنهم اعتاضوا واستبدلوا ما أتاهم من الله جل وعلا بغيره من جنس ترك أولئك لعهد سليمان واتباعهم السحر، بل إن طائفة من هذه الأمة أخذت بالسحر وبكتب السحر وتركت الأصل المنزل على هذه الأمة.

الفلاسفة دخلوا في هذه الأمة فطائفة من عقلاء هذه الأمة كما يقولون وكما يسمونهم العقلاء والأذكياء، تركوا الكتاب والسنة وزعموا أن نصوص الكتاب والسنة هذه توهيمية تخيلية إنما تنفع للعوام، وأن النبي ﷺ ما ذكره في السنة، بل وما أنزله الله جل وعلا في الكتاب إنما هو وهم وخيال هؤلاء يسمون أهل الوهم والتخييل؛ يعني قالوا: إن هذه النصوص وتلك الظواهر من النصوص ليست مرادة وإنما هي ظواهر وهمية خيالية لإصلاح الناس؛ لأنه لا يصلح الجمهور -على حد قولهم- إلا هذا لا يصلح الناس لأجل بلادة أذهان عامتهم وعدم فهمهم كما يقول أولئك، لا يصلحهم إلا هذه الطريقة والحكماء يصلحون الناس بما يناسبهم من الطرائق، يقولون فأتى الكتاب والسنة بالطرائق التي تصلح للجمهور وما فيها من الوهم والتخييل، وأما طرائق أهل العقول والحجى وأهل الفهم والنظر فإنما هي طريقة الفلسفة؛ طريقة طلب الحكمة بالاستدلال بالكونيات ونحو ذلك مما يبحثونه، وبه قُدمت الفلاسفة على صفوة هذه الأمة، ومن أجله قيل: إن علم السلف أسلم ولكن علم الخلف أعلم وأحكم، كما قاله ضُلَّالهم.

كذلك اعتاض طائفة من هذه الأمة عما جاء في الكتاب والسنة وما بيّنه علماؤنا؛ يعني علماء سلف هذه الأمة من معانيهما، اعتاضوا عنهما بكتب أحدثها المتكلمون والمتكلمون أخص من الفلاسفة، فكل فيلسوف متكلم وليس كل متكلم فيلسوف،

أخذوا بمنطق اليونان وأخذوا بالقواعد التي يسمونها قواعد عقلية وأدخلوها بهذه الأمة، وجعلوا كتبهم في العقائد مقدمة على العقائد التي جاءت في الكتاب والسنة بل إنه منهم -من أهل الكلام- من زعم أن نصوص الكتاب والسنة تحير ولا تهدي، لأننا لا نعرف المعنى مثل ما قال بعض من ينحى منحى أولئك - سامحه الله وهو من المنتسبين إلى شرح كتب السنة- حينما ذكر مسألة الاستواء في شرح جامع الترمذي قال: الاستواء يرد في لغة العرب على خمسة عشر معنى ثم ساقها وكل ذلك غلط؛ لأن الاستواء لا يرد في اللغة إلا بمعنى واحد وهو العلو، ثم ساقها، فلما ساقها قال فالله أعلم أي ذلك المراد، هؤلاء يزعمون أن نصوص الكتاب والسنة أنها توهم الناس الاعتقاد بالتجسيم والعياذ بالله، فاعتاضوا عن شرحها وبيان ما فيها من العقائد شرح الكتاب والسنة إلى كتب وضعوها كتب عقائدية وضعوها يعتمدون عليها ويدرسونها الناس.

كتب كلامية مبناها على الرأي وليس مبناها على النص.

كذلك أهل السلوك أهل السلوك اعتاضوا عن الزهد المشروع الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ ، بل ما كان من هدي النبي ﷺ الذي هو أزهد الزاهدين وإمام العارفين وقدوة العباد، اعتاضوا عن ذلك إلى كتب خاصة وضعها القوم في زهدهم وعبادتهم، فصنفوا كتبًا في ذلك، ومن أوائل من صنف في هذا الحارث المحاسبي وطائفة من طبقته، وكان ذلك شائعًا فانتبه لذلك أئمة السنة، فصنفوا في مقابلة ذلك ما يهدي الناس في باب السلوك، صنفوا كتب الزهد فأئمة الحديث صنفوا كتب الزهد، في مقابلة ذلك أخذ المتصوفة بكتب يضعونها ليست معتمدة على هدي السلف، فصنف الإمام عبد الله بن المبارك كتاب الزهد، وصنف الإمام أحمد الزهد وصنف هناد الزهد، وهكذا في طوائف صنفوا الزهد في مقابلة ترك أولئك زهد السلف إلى زهد مبتدع وتصنيف الكتب فيه، ولهذا حذر السلف من تلك الكتب وتلك التصانيف، زاد الأمر حتى وضع للسلوك أصولا في هذه الأمة، فاعتاضوا عن أصل الكتاب والسنة إلى تلك الأصول المبتدعة والعياذ بالله، حتى جُعلت تلك الأصول في

آخر الأمر طريقة من طرائق القوم لها اصطلاحاتها ولها مدلولاتها مما يعارض به الكتاب والسنة، بل زاد الأمر حتى وصل بهم الحال أن جعلوا مقام السائرين من الأولياء أعظم من مقام الأنبياء كما قال قائلهم وهو ابن عربي في فصوصه قال :

مقـــــام النبـــــوة في بـــــرزخ فُوَيْـــقَ الرســـول ودون الـــولي

فجعل الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة ذلك أن الولاية عندهم كسبية تكتسب بما أخذ من المعارف والكتب التي تهدي وتبين كيف تكتسب وأما النبوة فإنما هي فضل وما كان بالكسب تكشف له الحجب، وما كان بالاختيار لا تكشف له الحجب ولهذا فضلوا خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء، كما يقولون، سبب ذلك ترك ما أنزل الله جل وعلا إلى غيره، فكانوا حقيقين بما وصف الله جل وعلا به اليهود بقوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة:١٠١، ١٠٢]، وهكذا في جوانب السحر كذلك في الكهانة، في الجبت، في الطرد، ونحو ذلك من الأنواع، كلها فيها كتب، موجودة في الأمة، ولهذا كان أهل العلم يوصون بأن تحرق وتمنع الكتب التي فيها البدع، بل نصّ الفقهاء على أن كتب البدع التي تشتمل على الضلال أنها تحرق ولا يضمّن من حرقها من كتب أهل الضلال وأهل البدع المشتملة على مناقضة الشرع ومناقضة كتب السنة، مثل كتب السحر والشعوذة والفلسفة والكلام ونحو ذلك، مما حفظ به علماؤنا الأوائل هذه البلاد من شرها، واليوم مع شديد الأسف وقولنا ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾، كثرت الكتب المخالفة لمنهج السلف في هذه البلاد، سابقًا ما ترى الكتب حتى في التفسير ما ترى الكتب المخالفة لكتب السلف ما ترى مثل تفسير الرازي وأمثاله، ما ترى كتب السحر ما ترى كتب الصوفية الغلاة، ما ترى كتب أهل البدع، ولكن اليوم كثر ذلك في الناس لأجل أن من الناس منا من اعتاض عن تلك الكتب إلى غيرها من الكتب، وهذا لا شك أنه خصلة من خصال أهل الجاهلية، وسبب من أسباب الضلال، أن يكون عندنا كتاب الله جل وعلا نقي

كأنما أنزل الساعة، ويكون عندنا سنة النبي ﷺ كأن النبي عليه الصلاة والسلام بيننا يحدثنا بها ونترك ذلك إلى غيره من الهذيان وإلى غيره من الأفهام و الأفكار، لا شك أن هذا من جنس فعل أهل الجاهلية، وهكذا في أصناف كثيرة من الأمة يضيق المقام عن استقصائها.

ثم إن هذه المسائل مسائل أهل الجاهلية التي خالفهم رسول الله ﷺ فيها كما ترى هي عزيزة المعاني وهي مهمة جدًّا في حياتنا اليوم، بل إنه ينبغي على الشباب والدعاة إلى الله جل وعلا أن يكون في حلقاتهم، وأن يكون في بيان دعوتهم ما يستدلون فيه بكثير من هذه المسائل؛ لأنه إذا بينت للناس أن هذه خصلة من خصال اليهود، خصلة من خصال الجاهلية، بدلائلها وبكلام أهل العلم عليها، ثم بينت أن هذه دخلت في الأمة، يكون هذا من أنفع أبواب الدعوة، ومن أنفع طرقها، وهذه هي الطريقة أو هذه من الطرق السلفية المحمودة في الدعوة؛ دعوة الناس، ولهذا الشيخ رحمه الله اعتنى ببيان هذه المسائل لأن الجميع راغب في أن يكون مجانبًا لسنن أهل الجاهلية ولطرائقهم ولخصالهم سواء كانوا يهودًا أو نصارى أو مشركين أو مجوس أو... إلى آخره من أنواع الملل والنحل.

فعنايتكم بهذه المسائل فهمًا واستنباطًا، ثم عنايتكم بشرحِ كيف كان عليه أهل الجاهلية ببيان أصل المسألة، ثم صور دخول هذه الخصلة في هذه الأمة، وأنّ هذا مصداقًا لقول النبي ﷺ : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**» هذا من الأمور التي تعين الداعية على الوصول إلى مبتغاه، وتبين الحق للناس.

أسأل الله الكريم أن يزيدني وإياكم من الهدى والاهتداء، وأن يجعلنا ملازمين لما أنزل الله جل وعلا علينا منابذين لكل ما يخالف ذلك الأصل العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد(١).

---

(١) [الأسئلة]

١- يقول: -السؤال الأول- بالنسبة لأهل البدع غير المكفرة هل يشهر بهم ويحذر منهم ومن آرائهم؟=

= الجواب: أن هدي السلف الصالح أنّ أهل البدع سواءً كانت بدعتهم مكفرة أو كانت بدعتهم ليست بمكفرة أنهم يلزم أن يبيَّن للناس حالها؛ لأجل أن لا يتعدى ضررهم إلى الناس، لأنه ما من مبتدع إلا وسيمارس بدعته، إن لم يدع إليها قولًا دعا إليها فعلًا، وهذا يتعين أن يُحمى الدين من هؤلاء؛ لأن حماية الدين وحراسة الملة أصل من أصول الإسلام وواجب من واجباته العظام على هذه الأمة، فلا بد أن تبقى في هذه الأمة طائفة تحرس هذا الدين من بدع المبتدعين، سواء أكانت بدع مكفرة أو كانت بدعهم غير مكفرة؛ لأن حماية الدين أغلى من حماية ورعاية الأشخاص، ومهما كان مقامهم في العلم، مقامهم في السلوك ونحو ذلك، فالسلف مازالوا ينكرون في وقتهم على من كان معروفًا بالصلاح؛ أنكر الإمام أحمد على الحارث المحاسبي، أنكر الإمام أحمد على طائفة، بل أنكر الأئمة على الواقفة في مسألة خلق القرآن، مع ما حصل في تلك الأزمنة من المحنة العظيمة.

فإذن هدي السلف الإنكار على أهل البدع، لكن هذا متوقف على شيء، وهو أن يثبت وصف البدعة لمن يُنكر عليه، فإذا ثبت وصف البدعة على من يُنكر عليه، بوصف أهل العلم الراسخين العارفين بالبدع، بوصفهم لذلك، فإنه يُنكر عليه، لا يكون مسألة البدع والابتداع محل اجتهادات فلان من الشباب يرى أن هذه بدعة والآخر لا يرى، إن اختلافنا في هذه المسألة من جنس المسائل الأخرى الرجوع فيها إلى أهل العلم، هل هذه بدعة أم لا؟ فإن من الناس من يكفر بما ليس بمكفر، ومنهم من يبدع بما ليس بمبدع، وهكذا، فيجب أن يثبت العرش أولا مثل ما يقول القائل: أثبت العرش ثم انقشِ، يعني أولا يثبت أنها بدعة بإثبات أهل العلم لها، ثم بعد ذلك ينكر على أصحابها إنكار أهل بدع.

هناك مقولة انتشرت ألا وهي أنه لا ينكر إلا على أهل البدع المكفرة، وهذه المقولة خطأ ومخالفة لمنهج سلف هذه الأمة من أصله.

٢- يقول: إذا كان لابد من فهم الحجة هل يعني هذا أنه لابد من ذكر الأدلة ووجه الدلالة ولا يكفي أن يقال إن هذا شرك أو بدعة أو حتى معصية أم لا؟

الجواب: الحكم ليس إقامة للحجة لمن ذكر حكم مسألة لواقع فيها لا يعتبر هذا إقامة للحجة حتى يبين له الحجة الرسالية، كما يعبر عنها أهل العلم يقولون إقامة الحجة هي إقامة الحجة الرسالية، ليس إقامة الحجة في رأي أحد؛ يعني تبين له الآيات من القرآن العظيم، تبين له الأدلة من السنة من كلام النبي ﷺ، ثم يبين له وجه دلالتها، ويبين له ذلك من هو عارف بأوجه الاستدلال فاهم لذلك، فإذا بُيِّن له ذلك فأصر ولم يستجب فقد أقيمت عليه الحجة، وإقامة الحجة مختلف فبعض المسائل لا يكفي في إقامة الحجة فيها فعل الواحد من أهل العلم، بل لابد أن تجلى مسائلها وذلك لكونها غامضة، فإقامة الحجة تبع لأصل المسألة.

فإذا كانت المسألة واضحة كانت إقامة الحجة فيها أسهل وأيسر مثل كون الاستغاثة بغير الله جل وعلا من الأموات شرك هذه ظاهرة واضحة، الأدلة عليها ما تحتاج إلى مزيد بيان ومتابعة في ذلك. =

= لكن هناك مسألة غلِط فيها طائفة من أهل العلم، وهي هل طلب الشفاعة من النبي ﷺ شرك أم لا؟ هذه المسألة إقامة الحجة فيها يجب أن يكون بأبلغ من إقامة الحجة في الأولى؛ لأن تلك واضحة بينة، وأما هذه ملتبسة فيكون إقامتها بإقامة الدلائل وإيضاحها وتوالي ذلك وتصنيف المصنفات ونحو ذلك حتى تقام وتبين؛ لأنها فيها نوع اشتباه عند كثير من الناس، لاشك أنه من قال بها وهم قلة أن قولهم خطأ وقول ضعيف ولا يلتفت إليه، بل هي من جنس غيرها طلب الشفاعة من النبي ﷺ ومن جنس طلب غير الشفاعة من الدعاء وغيره، بل إن الشفاعة معناها أن تطلب من النبي ﷺ أن يدعو؛ أن يطلب الطالب من النبي أن يدعو له، وهذا طلب ودعاء ولهذا تحتاج إلى مزيد بيان.

فإذن إقامة الحجة له مراتب مختلفة، فكلما كانت المسألة أكثر اشتباهًا كانت إقامة الحجة فيها لابد أن يكون أكثر وأبلغ، فهذه يعني: هذه المسألة نصّ عليها وذكرها أئمتنا منهم الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في فتاويه.

٣- سؤال يتعلق بالدعوة لكن سؤال يكثر، يعني بعض الأسئلة ما أحب أن أجيب عنها لكنه إذا ردد السؤال مرارًا يعني كأن فيه حاجة إلى الجواب، هذا السؤال يقول صاحبه: هل وسائل الدعوة توقيفية أم لا؟ ومن أتى بوسيلة لم يأتِ بها النبي ﷺ هل يكون من التقدم بين يدي الله ورسوله، ويكون مبتدعًا؟

يهمنا الطرف الأول من السؤال. هل وسائل الدعوة توقيفية؟

إذا قيل: إن وسائل الدعوة توقيفية فهذا غلط، وإذا قيل: إن وسائل الدعوة اجتهادية فهذا غلط، والصواب التفصيل:

أن من وسائل الدعوة ما هو توقيفي ومن وسائل الدعوة ما هو اجتهادي، وبسط جواب هذا السؤال يحتاج إلى مقام أوسع لبيان أصوله من كلام أهل العلم وقواعدهم، لكن يُضرب مثال لذلك وهو أنّ:

التسجيل مثلًا وتصنيف الكتب، هذا لم يكن في عهد النبي ﷺ ولكنه وسيلة نافعة، لم؟ لأن الأصل فيها الجواز، وهذا من جنس كثير من الوسائل التي عمل بها أهل العلم لما لم يكن في الزمن الأول، فهذه تكون وسائل اجتهادية.

القسم الثاني وسائل لا يجوز فيها الاجتهاد، بل يجب أن يكون فيها توقيف وتلك الوسائل هي ما كان في الشرع ما يغني عنها، ما كان في السنة ما يدل على طريقة من الطرق، التربية مثلًا للدعوة، ثم يأتي آت ويخالف تلك الطريقة إلى طريقة أخرى محدثة ويدعو بها، خاصة إذا كانت تلك الطرق مما عمل به بعض المبتدعة، من مثل ما يسمونه في زمن الإمام أحمد والشافعي «التغبير»، التغبير نوع من الأشعار التي يُزهَّد بها الناس؛ يزهد فيها الناس بالدنيا ويرغبون فيها بالآخرة، كانت تُلقى على الناس على وجه فيه ألحان، وربما صاحبها طرق للجلود القديمة حتى ينفضّ عنها الغبار فسمّيت تلك الطريقة تغبيرا، أهل السنة أنكروها، وقالوا: إنها بدعة، ونحو ذلك من كلامهم، بل أقاموا على أصحابها الحجة بأن هذه مخالفة للسنة ومخالفة للهدي لم؟ لأن المقصود من تلك الوسيلة هي ترقيق قلوب الناس والشرع؛ - القرآن والسنة - إنما أتى لترقيق قلوب الناس، فإذا أُحدثت طريقة في هذه المسألة وهي الترقيق =

= والترغيب، غير الطريقة الأولى، فإنها ولو كانت نافعة في الدعوة، لكنها وسيلة محدثة وتلك الوسيلة ليس بابها الاجتهاد، والتغبير من جنس ما يكون في هذا الزمان من الأناشيد الصوفية ونحو ذلك ممن تأثر بهم من الأناشيد وغيرها، هذه مشابهة للتغبير الأول الذي نهى عنه أهل العلم.

المقصود إن تفصيل هذه المسألة يحتاج إلى مزيد بيان، لكن أصلها أن وسائل الدعوة منها ما هو توقيفي ومنها ما هو اجتهادي.

ومثل هذه المسائل التي هي أصول ينبغي أن يسأل طلاب العلم فيها وأهل الدعوة يسألون فيها أهل العلم؛ لأن ميزة المتبعين لسلف هذه الأمة أنهم لا يقدمون رأيا على حكم الشرع، وإذا كان كذلك فإذا اشتبهت مسألة: هل يسوغ لنا أن نأخذ بها أم لا؟ يسأل أهل العلم، فإذا أفتى أهل العلم بالجواز كانت جائزة، إذا أفتى أهل العلم بالمنع كانت ممنوعة، فيكون المرء قد خرج عن رأيه في المسألة، واتبع كلام أهل العلم، متبعا في ذلك قول الله سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

٤- هذه عدة أسئلة أختار منها واحدًا، يقول: ما معنى قولهم لابد في إقامة الحجة من انتفاء الموانع وثبوت الشروط؟

انتفاء الموانع وثبوت الشروط، لا أعلم -ربما لقصور- لا أعلم أنها جعلت تبعا لمسألة إقامة الحجة، وإنما جعلت هذه في مسائل الأحكام والأسماء؛ يعني هل يكفر؟ الكفر متى يطلق؟ البدعة متى تطلق؟ الفسق متى يطلق؟ ونحو ذلك، هذه الأسماء، وهذه الأوصاف هي التي قال فيها أهل العلم: لا بد حين إطلاقها على المعين أن تجتمع الشروط وأن تنتفي الموانع، أما في إقامة الحجة فلا أذكر أحدًا قال بذلك.

٥- هنا قال: ما معنى قولهم قامت الحجة ببعثة النبي ﷺ ؟

نعم الحجة ببعثة النبي ﷺ قامت على العالمين، على العالمين جميعًا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]، والنبي ﷺ بُعث للناس أجمعين، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار**» وسمعتُ من كلام العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أنه قال في شرح هذا الحديث -سمعتُ منه مشافهة- أنه قال: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة» هذا كقول النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني**»، ذلك أنه يعني في تفسير حديث المنام أنه من رآه على صورته التي خلقه الله جل وعلا عليها، وقوله في الحديث: «**لا يسمع بي**» يعني بي على ما بعثني الله جل وعلا عليه، فإذا كان هناك سماع محرّف، سماع ليس فيه وصف لما جاء به النبي ﷺ على ما جاء به فهو من جنس رؤية النبي ﷺ في المنام على غير صورته، فلا يكفي ذلك في معرفة الحق. وهذا من الشيخ كلام نفيس فيما أحسب؛ لأنه لابد أن يكون في إيضاح الحجة وإقامتها أن يكون الدين واضحا، لا يكفي أن يسمع ببعض الحجة ولا يفهم يعني ولا تقام عليه بدلائلها، لا يكفي أن يسمع شيئا والتشويشات عليه، بل لا بد أن يسمع اليهود والنصارى ونحوهم أن يسمعوا ببعثة النبي ﷺ على ما بُعث به، فإذا كان منهم من سمع هذا الكلام، من سمع عن النبي ﷺ سماعا، لكن ما عرف دينه ما عرف ما جاء به حقا كما يبلغه أهل العلم، فهذا إذا ما عرف القرآن وما أقيمت عليه الحجة من وجه =

= آخر، هذا لا يقال: إنه أقيمت عليه الحجة الرسالية، لكن هذا إنما نعني به طائفة من الذين ربما ما سمعوا بالنبي ﷺ أو سمعوا به سماعا محرفا هذا قد ينجيهم، ويُبعث لهم يوم القيامة رسول من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، إذا كان لم يسمعوا بالإسلام الذي بعث الله جل وعلا به نبيه محمدًا ﷺ ، كذلك المشركون في هذه الأمة إذا سمعوا شيئا مثلا في بعض البلاد يسمعون شيئا من أخبار أهل السنة، مثلا جماعة أنصار السنة في البلاد التي فيها شرك، يسمعون شيئا من أخبارها لكن ما أقيمت عليهم الحجة بمعنى بينت لهم الدلائل فهل السماع يكفي، هذه مسألة اختلف فيها أهل العلم، وأئمة الدعوة رحمهم الله قالوا: إن السماع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفي إلا في الجزيرة؛ لأنها ظهرت -يعني في وقتهم- ظهرت الدعوة ومشت في الفتوح وبُيِّنَ للناس في ذلك في جميع بلاد الجزيرة، وأما في غيرها فإذا كان لم يُسمع بالدعوة فلا بد من إقامة الحجة، هنا إذا لم تقم الحجة هل يكفر عبدة القبور أم لا؟ الجواب نعم، من قام به الشرك فهو مشرك، الشرك الأكبر من قام به فهو مشرك، وإنما إقامة الحجة شرط في وجوب العداء، كما أن اليهود والنصارى نسميهم كفار، هم كفار ولو لم يسمعوا بالنبي ﷺ أصلا، كذلك أهل الأوثان والقبور ونحو ذلك من قام به الشرك فهو مشرك، وتُرتّب عليه أحكام المشركين في الدنيا، أما إذا كان لم تقم عليه الحجة فهو ليس مقطوعا له بالنار إذا مات، وإنما هو موقوف أمره حتى تقام عليه الحجة بين يدي الله جل وعلا.

فإذن فرْقٌ بين شَرْطِنا لإقامة الحجة، وبين الامتناع من الحكم بالشرك، من قام به الشرك الأكبر فهو مشرك تُرتب عليه آثار ذلك الدنيوية، أنه لا يستغفر له ولا تؤكل ذبيحته ولا يضحى له ونحو ذلك من الأحكام، وأما الحكم عليه بالكفر الظاهر والباطن فهذا موقوف حتى تقام عليه الحجة، فإن لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله جل وعلا.

هذا تحقيق كلام أهل العلم في هذه المسألة وهي مسألة مشهورة ودقيقة موسومة بمسألة العذر بالجهل.

٦- هل يجوز تقسيمها من وجه آخر إلى ما هو معلوم من الدين بالضرورة وما ليس معلوما من الدين بالضرورة؟

هذا ليس تقسيما لإقامة الحجة هذا تقسيم لما يكفر به المؤمن، يرتد به المسلم من المسائل التي ينكرها، فأهل العلم يقولون: إذا أنكر معلوما من الدين بالضرورة فهذا يكفر، أما إذا لم ينكر معلوما من الدين بالضرورة من المسائل التي يخفى دليلها فلا بد من التعريف، من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم- هذا يمنع من التكفير، حتى ولو اعتقد إباحتها مثلًا الحنفية رحمهم الله يرون إباحة النبيذ أعني متقدميهم يرون إباحة النبيذ، مع أن الدلائل من السنة على تحريمه ظاهرة، مع ذلك أهل العلم لم يكفروهم؛ لأنهم اعتقدوا ذلك، لأنهم كانت لهم شبهة في هذا، فهُم ما أباحوا الحرام الذي يعلمون أنه حرام، وإنما أباحوا ما اعتقدوا أنه حلال، فلم يكفرهم أهل العلم بذلك، كذلك المسائل التي تجدّ في كل عصر من المسائل المختلف فيها، ولو كان هناك قول شاذ أو ضعيف في المسألة فهذه شبهة تدرأ التكفير. =

= هناك بعض المسائل مثلًا يكون أصلها معلوم من الدين بالضرورة وأما أفرادها فتكون مختلفا فيها، مثل الربا؛ الربا أصله في القرآن بلا شك، فمن زعم أن الربا مباح فهو كافر بالله جل وعلا، لكن بعض صور الربا بعض أهل العلم يقول: إن هذا من الربا، وآخرون يقولون إنه ليس من الربا، فإذا اختلف الناس يعني من أهل العلم في صورة هل هي من الربا أم لا؟ فهذه شبهة تمنع من التكفير، هذا أصل عند أهل السنة نبّه عليه شيخ الإسلام رحمه الله في غير ما موضع.

٧- بعض الأسئلة ما أفهم المراد منها تماما فأتركها، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، يستدل بذلك بعض أهل الجماعات بأن الحجة قامت على الناس بإرسال خاتم النبيين والمرسلين، ويستنبطون من ذلك تكفير كل من ارتكب ما يكفره بدون إقامة حجة عليه، فما رأيكم في هذا القول؟

هذا أوضحناه مرارا من أنه لا يكفي في إقامة الحجة ببعثة النبي ﷺ في كل مسألة الناس خالفوا فيها الأصل الذي جاء به عليه الصلاة والسلام، بل مثل ما ذكرت لكم المسائل تقسم إلى ما يعلم من الدين بالضرورة وما لا يعلم من الدين بالضرورة، المسائل تقسَّم إلى أشياء واضحة جلية تكون إقامة الحجة فيها سهلة، وأخرى لا تحتاج إلى إقامة حجة تلو حجة، الذين يكفِّرون الناس بهذا الأمر هؤلاء خارجون عن السنة هؤلاء من جنس الخوارج، بل الخوارج كما هو معلوم لا يزالون يخرجون إلى قيام الساعة حتى يقاتل آخرهم مع الدجال والعياذ بالله، فهؤلاء هم الذين يكفرون الناس بالمعصية أو يكفرون الناس بدون إقامة للحجة بما يبيّنه أهل العلم.

إنما لديهم هوى فيكتفون بأصل بعثة النبي ﷺ عن إقامة الحجة.

٨- أيضًا في مسألة إقامة الحجة يقول: الذين خالفوا أئمة الدعوة رحمهم الله في فهم الحجة هل لم يعلموا قول الأئمة في إقامة الحجة؟

لا، الذين أقيمت عليهم الحجة عُلموا وبينت لهم برسائل خاصة، بمصنفات، بمناظرات أقيمت، بينت لهم الأدلة، وجه الاستدلال، هدي سلف هذه الأمة، بينت لهم الأدلة من الكتاب والسنة بين لهم الهدى أوضح لهم ذلك تماما، فإذا كان عرض لهم شيء من أن ما عندهم من الحجج أظهر، فهذا يكون عقوبة لهم، الحجة أقيمت عليهم، فليس كما ذكرت من الشرط أن تفهم الحجة فهم استجابة، بل يكفي أن تقام الحجة ولو قال: لم أفهمها، فهذا ليس مانع من أن يكون أقيمت عليه الحجة، فإقامة الحجة معناها إبانة المسألة بدلائلها الواضحة الخالية عن معارضة واضحة ظاهرة، أما جنس المعارضات مثلا بأحاديث ضعيفة، بأحاديث موضوعة، بأوجه من فعل بعض أهل العلم، بإقرار بعض الناس لبعض بتلك الشركيات والمنكرات فهذه ليست بحجة ترد بها الأدلة.

نختم بهذا أسأل الله لي ولكم التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المتن

(**المسألة السابعة عشرة**): نسبة باطلهم إلى الأنبياء، كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران:٦٧].

(**الثامنة عشرة**): تناقضهم في الانتساب ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

(**التاسعة عشرة**): قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم كقدح اليهود في عيسى وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ.

(**العشرون**): اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه إلى سليمان عليه السلام.

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فالمسألة السابعة عشرة من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، وأهل الجاهلية المراد بهم كلّ من كان على غير دين الإسلام، سواء كان من المشركين أو من أهل الأديان المحرّفة أو المنسوخة أو من أهل الأديان المبتدعة، هذا تذكير بما قاله الشيخ رحمه الله في أول الكتاب.

فمما كان عليه أهل الجاهلية من المشركين ومن اليهود والنصارى أنهم كانوا ينسبون باطلَهم إلى الأنبياء، إذا فعلوا فعلا نسبوه إلى الأنبياء ليكون حجة ولتلقى عنهم التبعة.

المشركون؛ مشركو العرب كانوا ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام ويعتقدون أن كثيرا من الدين الذي هم عليه كان عليه إبراهيم عليه السلام، ويستدلون بذلك على صحته. وكذلك كان اليهود وكذلك كان النصارى.

قال الله جل وعلا في الصنف الأول: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل:١٢٠]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥].

وقال جل وعلا في إبطال دعوى أولئك: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران:٦٧].

كذلك كان أولئك الجاهليون ينسبون باطلهم وما هم عليه من الضلال الذي لم تأمر الرسل به مطلقًا من مثل السحر ينسبونه إلى بعض الأنبياء كما مرّ معنا في نسبتهم ذلك إلى سليمان عليه السلام، قال جل وعلا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، ولهذا كان السحرة السابقون لبعثة النبي ﷺ ينسبون سحرهم وما تعلموه من السحر إلى سليمان عليه السلام، كما قال هنا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾؛ لأن سليمان عليه السلام لم يأمر بالسحر ولم يرض به، وإنما فعلت الشياطين ما فعلت بأنْ دسَّت كتب السحر تحت كرسيه حتى لما مات استخرج ذلك ونُسب إلى سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ يعني بما أملوه في الكتب وجعلوه مستورًا مركومًا ودفن تحت كرسي سليمان ثم استخرج بعد موته.

كذلك اليهود والنصارى الجميع يقول: إنّ إبراهيم عليه السلام الذي هو إمام الحنفاء ووالد الأنبياء والرسل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه، ينسبون إبراهيم عليه السلام إليهم، فاليهود يقولون: إن إبراهيم كان يهوديًّا، والنصارى يقولون: إن إبراهيم كان نصرانيًّا؛ يعني كان على اعتقاد اليهود المتأخر الذي أُحدث، فاليهود أحدثت اعتقادات، وأحدثوا أنواعا من الباطل، يقولون: إن إبراهيم كان على ذلك الاعتقاد الذي وضعه علماؤهم بعد موسى عليه السلام، كذلك النصارى ينسبون إبراهيم الخليل إليهم، وكذلك المشركون، فردّ الله جل وعلا دعوى الجميع بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران:٦٧]، فأبطل دعوى المشركين في نسبة باطلهم إلى إبراهيم، وأبطل دعوى اليهود في نسبة باطلهم إلى إبراهيم، وأبطل دعوى النصارى في نسبة باطلهم إلى إبراهيم عليه السلام.

وهذا الأمر ألا وهو نسبة الباطل إلى الأنبياء لِما كان عليه أهل الجاهلية هذا كثير في هذه الأمة، ما من دعوى مضِلَّة في هذه الأمة إلا وأصحابها ينسبونها للنبي ﷺ - لأنه مما أجمع عليه أنه لا يجوز الإتيان بدين لم يكن عليه النبي ﷺ- كأهل الضلالات والأهواء المختلفة في هذه الأمة كل ينتسب في دينه إلى النبي ﷺ :

الخوارج أول ما خرجت قالت: نحن المنتسبون إلى النبي ﷺ والصحابة كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام لأنهم لم يقيموا الدين الذي جاء به.

وكذلك الرافضة فعلت ذلك، وهكذا كل نحلة تنسب باطلها إلى النبي ﷺ ليكون ذلك أقوى لها، وأيضا لأنهم كان عندهم بعض الشبه في ما راموه وما ذهبوا إليه من المسائل.

كذلك المتكلمون والصوفية ونحوهم مما ذكرنا سالفا مرارا في شرح هذه المسائل كل ينتسب إلى النبي ﷺ .

ونسبة الباطل إلى الأنبياء يكون على طريقين:

الطريق الأولى: أن ينسب الباطل إلى الأنبياء بأنهم فعلوه وأنهم اعتقدوه.

والثانية: أن ينسب الباطل إلى الأنبياء يعني إلى أنه من دينهم.

وهذا هو الذي حصل في هذه الأمة فكان بعض هذه الأمة نسب باطله إلى النبي ﷺ اعتقادا وفعلا مثل ما فعل طائفة من المتكلمين بل أكثرهم وأهل البدع في مسائل الاعتقاد نسبوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان على هذا الاعتقاد، وكذلك أهل التصوف فإنهم يقولون: إن النبي عليه الصلاة والسلام كان على مثل ما يفعلون، وهذا كان مشهور من بعض أسانيدهم في لبس الخرقة الصوفية المعروفة بإسناد معروف، فيقولون: إن أول من ألبسها هو النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا من جنس ذلك الباطل الذي كان عليه أهل الجاهلية في أنهم يبتدعون دينا ويقولون فيه: إن النبي عليه الصلاة والسلام فعله، وهذا ولا شك مما يروج ذلك الباطل عند الجهلة إذا كان من نسبه إلى النبي ﷺ موسوما بالصلاح أو موسوما بالعلم، هذه الجهة الأولى.

والثانية: أنهم ينسبونها إلى النبي عليه الصلاة والسلام استنباطا وإن لم يفعله، وهذا أكثر في هذه الأمة فإنه في المسائل التي لم يظهر النص فيها تماما، ويكون عند بعض السلف فيها شبهة في بعض مسائل الصفات والإيمان والقدر ونحو ذلك، ومسائل الأسماء؛ من أسماء الكفر البدعة الفسوق وما أشبه ذلك، والأحكام والوعد والوعيد ونحو ذلك، هذه ينسبونها إلى النبي ﷺ استنباطًا، لا يقولون: إن النبي ﷺ قال هذا نصًّا أو اعتقد هذا نصًّا، لكن يقولون: هذا يستنبط من فعله عليه الصلاة والسلام وما كان عليه.

فطائفة من ضلال هذه الأمة ينسبون باطلهم إلى النبي ﷺ بالأمر الأول وطائفة ينسبونه إلى النبي عليه الصلاة والسلام بالأمر الثاني.

ولهذا كل أحد في هذه الأمة لا يخرج من الفرق الاثنين والسبعين، فقد لا يخرج في انتسابه للكتاب والسنة، فكل يقول إننا على الكتاب والسنة، وسواء في ذلك ما كان من دينهم صوابا أو ما كان خطأ وضلالا، فالكل يقول نحن ننتسب إلى الكتاب والسنة، ولهذا اعتنى أئمة الإسلام من سلف هذه الأمة بالتنصيص على شيء زائد على اتباع الكتاب والسنة، ألا وهو اتباع سلف هذه الأمة لأنّ نسبة الباطل إلى الأنبياء كثر في الأمة جدًّا، نسبة الباطل إلى النبي عليه الصلاة والسلام كثر في هذه الأمة جدًّا، حتى إنه لا يُعجز من كان عنده هوى أن يستخرج من نصوص الكتاب والسنة ما يدل على بدعته وما يؤيد به نحلته، وقد أطنب الشاطبي رحمه الله تعالى في الموافقات في ذكر هذه المسألة وكذلك في الاعتصام، وبَيَّنَ أن النصارى احتجوا على المسلمين بخصوص بعثة النبي عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، وبَيَّنَ أيضًا أن من هذه الأمة من قال: إنه لم يرد في القرآن تحريم للخمر وذلك لأن الله جل وعلا قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ٩٠] ولم يحرمها تحريما.

وكذلك ما استدل به الخوارج، استدل به المرجئة في مسائل الوعد والوعيد، فالخوارج غلو في التكفير والمرجئة جفوا في النصوص حتى أدخلوا في الإيمان

والإسلام من ليس مسلما ولا مؤمنا وأخرجوا العمل عنه.

كلٌّ يأخذ من نصوص الكتاب والسنة ما يدل على بدعته، وذلك لأن الله جل وعلا ابتلى الناس بالنبي عليه الصلاة والسلام وبفهم الدين الذي جاء به الذي لا يشتبه، فنصوص الكتاب والسنة قد يكون بعضها يشتبه على من لم يكن من الراسخين في العلم، بل قد يشتبه على كثير من طلبة العلم، فابتلى الناس جل وعلا باتباع النبي عليه الصلاة والسلام فهو الموضح للشريعة، ولما كانت أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام لبيان القرآن ليست مبينةٍ بكاملها، بل قد يكون ما يُبيّن منها الآيات وكان في حديثه عليه الصلاة والسلام ما فيه نوع اشتباه، احتاج الناس إلى صحابة رسول الله ﷺ في بيان الدين الحق وفي بيان ما يضاده، وهكذا يحتاج الناس إلى أهل العلم، فإن الله جل وعلا قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، وتلك المتشابهات تشتبه على بعض الناس دون بعض، فإذا كان هناك في كلام الله ما هو مشتبه لا يفهمه كثير من الناس، وما اشتبه على طائفة يعني الذي اشتبه على طائفة من أهل العلم فكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أولى أن يكون فيه اشتباه، وهذا حصل بالفعل، فالأحاديث قد يكون بينها تعارض، بينها اختلاف، أحاديث فيها رجاء، وأخرى فيها تخويف، أحاديث فيها وعد وأخرى فيها وعيد، وأهل العلم هم الذين يحملون بعض الكلام على بعض، يجعلون أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام بعضها يفسر بعضا، من أهل الأهواء نسبوا باطلهم إلى النبي عليه الصلاة والسلام من جرّاء الاستدلال بالمتشابهات، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**» (فاحذروهم) لم؟ لأنهم اختلفوا في الكتاب واستدلوا بالمتشابه منه، وهكذا استدل من استدل بآيات من الكتاب، وأحاديث من أحاديث النبي ﷺ تأييدا لباطلهم، فكل من أهل الأهواء في هذه الأمة يستدل على باطله بما كان عليه النبي ﷺ، أو بما قاله عليه الصلاة والسلام أو ببعض نصوص الكتاب، لهذا احتاجت الأمة

أعظم حاجة إلى صحابة النبي ﷺ، لكي يبينوا للناس تلك النصوص، فضلَّ الخوارج أول ما ضلوا في آيات الأسماء وآيات الوعد والوعيد وفي أحاديث النبي ﷺ في الأسماء وفي الوعد والوعيد، فبيّن الصحابة ما يعنى بذلك، فضلوا في بيان مسألة الحكم بغير ما أنزل فكفروا بها، والصحابة رضوان الله عليهم بينوا لهم الصواب في ذلك.

وهكذا لم يزل الناس محتاجون إلى صحابة رسول الله ﷺ في بيان الدين، لهذا كان أئمة الإسلام ينتسبون إلى الجماعة، ينتسبون إلى السنة والجماعة، ولا يكتفون بنسبتهم إلى السنة؛ لأن النسبة إلى السنة يدخل فيها كثير من أهل البدع في مقابلة الرافضة، وأما السنة والجماعة فإنها تلخص الطريق الذي يكون أتباعه ويكون معتقدوه على طريقة الصحابة وعلى طريقة الجماعة قبل أن تظهر الأهواء وقبل أن تفسد العقول والقلوب.

كذلك احتاج إلى أسماء تُميّزهم منها: الانتساب إلى السلف، إلى الأثر إلى الجماعة، إلى الحديث ونحو ذلك، مما يميز أهل الحق من غيرهم من أهل الأهواء، وتجد في عصور هذه الأمة في كل القرون المتقدمة لا يعزب أحد أن ينسب شيئا من باطله إلى الكتاب والسنة، بل قد يجد من نصوص أهل العلم ما يدل لباطلهم، فيكون نسب باطله إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإلى بعض أئمة أهل العلم، وأهل السنة يقولون: إذا كان في كلام النبي ﷺ ما هو مشتبه، فكذلك يكون في كلام أهل العلم ما هو مشتبه، لا يفهمه إلا أهل العلم الراسخون، فإذا كان من الناس من ليس بذي رسوخ في العلم، ربما يجد في نصوص أهل العلم ما لا يتضح المراد منه حتى نصوص أئمة أهل السنة والجماعة.

ولهذا يحتاج في فهمه إلى عرضه على أهل العلم، إلى عرضه على كلامه في مواضع أخر من كلام ذلك العالم، إلى عرضه على نصوص الكتاب والسنة، وهذا لا يكون إلا من أهل العلم.

فإذن الكلام المشتبه قد يوجد في كلام أهل العلم بمعنى يشتبه معناه، لا يتضح

المراد منه، قد يوجد هذا في كلام أهل العلم، بل إنه موجود وكثير.

لهذا اعتنى أئمة الإسلام أئمة أهل السنة والجماعة ببيان الأصول التي من خالفها فقد خالف النبي عليه الصلاة والسلام وخالف صحابته، أصول مجمع عليها وهي التي سمّوها معتقد أهل السنة والجماعة - العقيدة السنية - يعني العقيدة، الشريعة يعني العقيدة، ونحو ذلك، فصنفوا مصنفات في ذلك، التي تزيل أي باطل نُسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام أو إلى بعض المتقدمة.

وهكذا تجدون في كل زمان بحاجة؛ بل في أشد الحاجة لأن تكون النسبة إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإلى صحابته ونزيد إلى أئمة أهل السنة والجماعة، لم؟ لأن بعض كلمات الصحابة قد لا تكون وافية منقولة إلينا في كل المسائل فنحتاج إلى فهم أئمة أهل السنة والجماعة لفهم كلام الله، كلام رسوله ﷺ، كلام صحابة النبي عليه الصلاة والسلام.

وبهذا يتضح الطريق النهج الصواب، وتبطل به طرق الضلالات المختلفة.

فإذن ما يُتخلق به من هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية. أن يُلتزم طريق السنة والجماعة وطريق أئمة الإسلام.

فإذن عندنا الكتاب والسنة، واتباع سلف هذه الأمة، ألا وهم صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان، والاقتداء بأئمة أهل السنة والجماعة الذين بينوا الدين الذي لا اشتباه معه ولا يخرج عنه إلا صاحب خطإ أو صاحب هوى.

(المسألة الثامنة عشرة): هي أنّ أهل الجاهلية يتناقضون في الانتساب، فينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام مع مخالفتهم لدينه، وذلك كثير في اليهود والنصارى وفي الجميع، في جميع من تبع الأنبياء هم متناقضون من جهة أنهم ينتسبون نسبة إلى نبي من الأنبياء وإلى رسول، وهم يخالفونه، أو يخالفون ما أمر به وما جاء به.

وقد أوضحنا في كتاب فضل الإسلام هذه المسألة بتفصيل، وذلك أنّ إمام الدعوة رحمه الله عقد لها بابًا في ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام وأن المنتسب إلى الحق

والهدى إلى النبي عليه الصلاة والسلام بل إلى الإسلام هذا يلزمه أن يكون انتسابه صحيحا، وإلاّ لكان دعوى؛ لكان تناقضًا، مثل ما قال الشيخ هنا. من انتسب إلى الكتاب والسنة وإلى ما كان عليه سلف هذه الأمة ثم خالف ذلك في غير شبهة وغير تأويل فإنه يكون قد تناقض في ذلك الانتساب، إذا لم يكن هناك شبهة ولا تأويل في بعض المسائل فإنه يكون تناقضًا في الانتساب، ينتسب إلى الكتاب والسنة وإلى الصحابة وإلى السلف وهو ليس على ذلك النهج يطلب غيره فإن دعوى الانتساب لا تنفعه؛ لأن أهل الجاهلية انتسبوا إلى إبراهيم، وكان ذلك أعظم ما يفخرون به ولم ينفعهم ذلك.

فإذن قول الشيخ رحمه الله هنا (تناقضهم في الانتساب) تنبيه على هذه المسألة المهمة وهي أن المنتسب لا يشرك في مجرد الانتساب، بل يشرك بصحة الانتساب إذا كان انتسابه صحيحا على الدين والهدى الذي كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام فإن ذلك شرف له وهو بذلك محق، أما إذا كان ينتسب وهو يخالف فلا تنفعه تلك النسبة مهما علا صوته بها.

وهذا فيه إبطال لما دخل في هذه الأمة من جراء هذا الانتساب، وبيان أن ذلك من جنس ما كان عليه أهل الجاهلية، ينتسبون إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهم يخالفونه في أبواب الاعتقاد وفي أبواب العمل والسلوك والأخلاق وغير ذلك، ينتسبون إلى الصحابة وهم يخالفون نهجهم، ينتسبون إلى الكتاب - إلى القرآن - وهم يخالفون ما جاء في القرآن، وهذا كثير جدًّا في كل صاحب هوى وبدعة لا يخلو من التناقض؛ لأنه إنما عصم الله كتابه من التناقض، وعصم الرسول ﷺ فيما أخبر به من التناقض، وهكذا، فالأمر المعصوم هو ما دل عليهم الكتاب والسنة وما كان عليه صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام أجمعون، هذا هو السالم من التناقض، أما غيره من الطرق فإن صاحبه لابد أن يتناقض، تجده في مسألة يحكم بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف، وأخرى تراه ينقض بعض الشيء ويخرج عنها، وهذا قد تقدم بيانه

مرارا فلا مزيد للكلام عليه.

(**المسألة التاسعة عشرة**): هي أنهم يقدحون في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم، وذلك من مثل ما قدح اليهود في عيسى، ومن مثل ما قدح المنافقون والمشركون في النبي عليه الصلاة والسلام من جرّاء فعل بعض الصحابة ونحو ذلك، وهذا ظاهر بيّن في أنّ صاحب الهوى يتلمّس ما يُبطل به حجة من جاءه بالهدى وما يُضعف به مكانَه، وقد يكون ذلك عن طريق القدح في الأتباع، إذا لم يجد طريقا على صاحب الدعوى؛ على النبي عليه الصلاة والسلام، على أحد من أهل العلم، إذا لم يجد طريقا قدح في الأتباع ليكون قدحه في الأتباع قدحا في المتبوع، وهذا كان في المشركين كما سمعتم، وكان عند اليهود وعند النصارى وعند كل أصحاب النِّحلات؛ لأنّه من أسهل الطرق؛ لأنّ الأتباع ليسوا بمعصومين فلابد أن يحصل منهم غلط، لابد أن يحصل منهم قصور، فإذا أُبطل الحق بفعل الأتباع صار ذلك نوع هوى، بل هو هوى باطل، وهذا جاء في طوائف في هذه الأمة.

من أظهر الأمثلة على ذلك ما فعله بعض الناس من نسبة كثير من الباطل إلى الإمام أحمد رضي الله عنه بفعل بعض الجهلة من أصحابه المتأخرين؛ يعني الذين كانوا بعده بنحو قرن من الزمان، فإن الحنابلة مثلا كانوا بعد زمن الإمام أحمد يعني تلامذة الإمام أحمد كانوا على عقيدته وعلى طريقته في الاعتقاد وفي السلوك، بعد ذلك صار عند طائفة من الحنابلة من عوامهم وبعض طلبة العلم صار عندهم خروج عن طريقة الإمام أحمد في بعض مسائل المعتقد وفي بعض مسائل السلوك يعني معاملة الناس، ومن الأمثلة الظاهرة على ذلك ما فعلوه بالإمام ابن جرير رحمه الله تعالى حيث إنهم سمعوا منه كلمة قالها في مسجده حين الدرس فلحقوه و[غلّقوا] عليه بابه لمخالفته، وهذا لا شك أنه لن يرضى عنه أئمة الحنابلة في وقته ولن يرضى عنه أهل العلم، لهذا قال ابن كثير رحمه الله حينما ساق هذه الحكاية قال: إنّ هذا من فعل جهال الحنابلة. ومما حصل منهم، من بعض التصرفات منهم، بل بعض الأقوال من التجسيم الذي كان عند بعض

الحنابلة وإثبات صفات لم ترد في النصوص الثابتة من مثل القاضي أبي يعلى ونحو ذلك في كتابه «إبطال تأويلات الصفات» قدح المعتزلة والأشاعرة والمتكلمون في عقيدة الإمام أحمد لأجل فعل أولئك الأتباع، فلما فعلوا ما فعلوا، قالوا: إن عقيدتهم؛ عقيدة الإمام أحمد، بل عقيدة أهل السنة والجماعة أنجبت مثل هذا.

لهذا نقول هاهنا: إن القاعدة المقررة أنه يُنظر إلى الحق الثابت، ولا ينظر إلى من أخطأ تطبيق ذلك الحق، فإنّ من الناس من يكون يخطئ في تطبيق الحق، فلا ينسب خطؤه إلى ذلك الطريق الحق، مثل بعض المنتسبة إلى طريق السلف أخطأ في بعض المسائل، فلا يجوز أن ينسب ذلك الخطأ إلى طريق السلف إما في الاعتقاد، وإما في السلوك، من جهة، من مثل ما مثلت لك، من تأويل الصفات في إثبات الصفات عن طريق التجسيم حتى نسب لله جل وعلا نحرًا وصدرًا وعضدًا ومجاري في الحلق ونحو ذلك، مما هو قد استدل عليه من بعض الأحاديث الموضوعة المكذوبة، وفي السلوك كذلك فإنّ بعض الحنابلة كانت عندهم يعني بعض المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة كان عندهم نوع -كما قال شيخ الإسلام وغيره- استهانة ببعض المسائل لا يُنسب لأهل السنة والجماعة، وإنما ينسب إلى أهل السنة والجماعة ما قرره أوائلهم وبينوه.

أصحاب الهوى يقدحون في الحق؛ في العقيدة بفعل الأتباع، وهذا لا يجوز؛ لأن الحق ينظر إليه من جهة نصوصه لا من جهة أتباعه، لهذا تجد أنّ بعض المغرضين أصحاب الهوى في هذا العصر بل وما قبله أي من الفوضاويين ومن العقلانيين ومن الفلاسفة يقدحون في صحة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام بما حصل من صحابته رضوان الله عليهم بعده من الخلاف، بما حصل منهم من اختلاف، بل إن بعض الناس قدح في إمكان إقامة حكم الله جل وعلا في الأرض عن طريق دولة تقيمه وخلافة، قدح في ذلك؛ لأن هذا لم يكن في الصدر الأول لأن الصحابة اختلفوا وتقاتلوا وتناحروا وهم الصفوة، فكيف يمكن الإقامة مع أن الصفوة لم تستطع عمل ذلك إلا في قريب من عشرين أو ثلاثين عاما، وانتشر بينهم القتل وانتشر بينهم ما هو معروف،

فيستدلون بهذا الأمر الذي نعلم أنه كان عن اجتهاد، على إبطال صحة هذا الدين وإبطال الحق الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

وهذا كثر في مؤلفات في هذا العصر تقدح في الالتزام بالإسلام وفي إمكان تطبيقه.

كذلك أصحاب المذاهب؛ أتباع الأئمة الأربعة، فإنه قد يكون عند بعض الأتباع ما هو من الخطأ، بل ما هو من الإجحاف، بل ما هو من الضلال، قد يكون ذلك إما في مقال، وإما في رأي، وإما في سلوك، ولا يجوز أن ننسب باطل المقلدين إلى أولئك الأئمة، وينتقص من شأن الأئمة من مثل الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى والإمام مالك أو الإمام الشافعي أو الإمام أحمد أو نحوهم من الأئمة، لا يجوز أن تنسب تلك الأخطاء التي كانت عند أولئك إلى الأئمة وننتقص بذلك فقه الأئمة وما كانوا عليه، ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله رسالته المعروفة «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وهذا شاع في هذا الوقت في بعض المؤلفات التي رأيتها، واستدلوا فيها على بطلان أو على القدح في بعض الأئمة ببعض أقوال المتأخرين من أصحابهم، ولا شك أنّ هذا من جنس فِعل أهل الجاهلية لأنهم يقدحون في بعض الصالحين بما ظهر في الأتباع.

كذلك بعض أئمة السلوك من ينسب إليهم المتصوفة مثل عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ونحوه من الصالحين المعروفين بملازمة السنة كالجنيد وأضرابهم، هؤلاء أتباعهم أنشؤوا طرقا وضلالات ونسبوها إلى أولئك الأئمة أو إلى أولئك الصالحين، لا يجوز لأحد أن يتنقص أحدًا من أولئك الذين عُلم صلاحهم وعُلم متابعتهم من جرّاء فعل هؤلاء المتأخرين، ولهذا يشارك من فعل مثل هذا الفعل يشارك أهل الجاهلية.

بعض الوهابيين -كما يقال- في بعض الأمصار اليوم عندهم طريقة في الدعوة ليست الطريقة التي كان عليها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من أنهم أول ما يبدؤون في دعوتهم يتنقصون أولئك الذين يقال لهم أولياء فمثلا إذا وجدوا أن الصوفية متعلقون بفلان من الناس، جاء أولئك الذين هم ينتسبون إلى

نصرة السنة المحمدية، وإلى نصرة العقيدة الصحيحة، لكن يخطؤون في الطريق وفي الأسلوب؛ لأنهم يقدحون أول ما يقدحون في ديانة ذلك الميت وفي عقيدته، وهذا لاشك أنه يُحدث عدم قناعة بما يقوله أولئك، ويتجاوز هؤلاء حدهم حتى ربما نسب البعض منهم إلى الكفر وإلى الضلال وإلى أنهم طواغيت ونحو ذلك وهي مبنية منذ مئات السنين، مرة في هذا المسجد أحد المشايخ من السودان وتذاكرنا في بعض مسائل التوحيد والالتزام بالسنة وإنكار الطرق الصوفية والشركيات والبدع ونحو ذلك، فقال في آخر ما قال: إن الطريقة التي يفعلها بعض الناس هناك ليست هي الطريقة التي نفعلها هاهنا من جهة أنهم أول ما يبدؤوننا به القدح في الأولياء الذين نعظمهم. وهذا لا شك الكلام الذي قاله سمعته من بعضهم، يعني من بعض من ينسب إليهم، وهو صحيح النسبة إليهم وهو خطأ، هؤلاء الصوفية والخرافيون استغلوا ذلك، فنسبوا ذلك الباطل - تلك الطريقة الفجّة- تلك الطريقة التي ليست هي الطريقة الشرعية إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهذا من جنس ما كان عليه أهل الجاهلية في أنهم يتنقصون الأنبياء بفعل بعض المنتسبين إليهم، يتنقص من شابههم في هذه الأمة العلماء بفعل من انتسب إليهم، ولا يجوز أن يفعل ذلك بل يجب على طالب الحق والهدى أن ينظر في كلام ذلك العالم، ولا يقدح فيه بفعل الأتباع، لأننا نجد كثيرا أن من العلماء من يحضر عنده دروس ويستفيد منه وجها من الزمن بعض الناس، وتجد أنه -يعني بعض طلبة العلم- يخالفون المنهج الذي هو عليه من لزوم السنة، فلا يجوز أن يقدح في أحد من أهل العلم بفعل بعض المنتسبين إليه، بل أعظم من ذلك أنه قد قُدح في الإسلام بفعل المسلمين، ولا بد هنا أن يكون تباين بين الإسلام والمسلمين؛ لأن المسلمين بفعلهم لا يدلون على الإسلام، فمن أراد أن يعرف الإسلام ولأن يتعلم الإسلام يأخذه من معينه الصافي، ولا ينظر في أفعال أهله لأنه ربما كان في أفعالهم ما يصد عن الالتزام بالإسلام واعتقاد صحته وأنه ممكن التصديق وأن الالتزام به سهل ميسور، وهكذا.

فهذه المسألة مهمة في أنه لا ينتقص من أحد بفعل بعض الأتباع يعني هذه من خصال أهل الجاهلية، بل يجب أن ينظر إلى ذلك المتبوع ونعرف أقواله، نعرف أحواله، فإن كانت على الحق والهدى أثنينا عليه خيرا وخطّأنا أتباعه فيما راموا إليه، وكما تعلمون أن شيخ الإسلام ابن تيمية شرح كثيرا من كلمات القوم من جنس شرحه لكلمات فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني، ومن جنس ثنائه على عدي الذي تتبعه الطائفة العدوية ونحو ذلك، فيثني على الصالحين إذا ثبت صلاحهم وسلامة اعتقادهم وأما الأتباع فيذمون، وذم المتبوع بفعل التابع هذا نوع وخصلة من خصال أهل الجاهلية.

(**المسألة الأخيرة**): من مسائل الجاهلية التي نعرضها في هذه الليلة هي أنهم يعتقدون في مخاريق السحرة وينكرون كرامات الأولياء، أنها واعتقاد أن تلك المخاريق أنها من كرامات الصالحين، يقول (العشرون اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهما أنها من كرامات الصالحين ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام).

سليمان عليه السلام سُخِّرت له الجن والطير وسخرت له الريح، وسخرت له أشياء كثيرة، السحرة فعلوا بعض الأشياء، فأهل الجاهلية ظنوا أن مخاريق السحرة من جنس كرامات الأولياء، فنُسب فعل السحرة إلى سليمان عليه السلام، نُسب فعل أهل الخوارق والشعوذة إلى الأنبياء، بل جعلوها من الكرامات؛ يعني جعلوا أولئك السحرة وأولئك المشعوذين وأشباههم جعلوهم من الصالحين؛ من الأولياء الذين تعطى لهم الكرامة:

ولنبين هذا نقول إن المخاريق والخوارق على ثلاثة أقسام:

خوارق أعطاها الله جل وعلا للأنبياء.

وخوارق أعطاها الله جل وعلا للأولياء.

وخوارق جرت على يد الفسقة والكفار ومن خرج عن طريق الأنبياء.

فالأولى ألا وهي المخاريق التي جرت على يد الأنبياء هذه هي التي تسمى آيات وبراهين وبينات ومعجزات للأنبياء.

والثانية هي التي تسمى كرامات الأولياء.

والثالثة هي التي تسمى أحوال شيطانية وشعوذة ودجل وسحر.

ولهذا أهل السنة والجماعة يؤمنون بكرامات الأولياء، كما قالوا في عقائدهم: ونؤمن بكرامات الأولياء. فأولئك ينسبون مخاريق السحرة.

والكرامة هي: أمر خارق للعادة في علم أو تأثير طرأ على يدي ولي.

أمر خارق للعادة -هذا أولا-، في علم أو تأثير هذا بيان النوع، جرى على يدي ولي.

والولي عند أهل السنة والجماعة في الاصطلاح هو: كل مؤمن تقي ليس بنبي.

فإذن ما يجري من الخوارق على الذي من ليس بمؤمن تقي ظاهرا لمتابعته للسنة والتزامه؛ تحليله الحلال وتحريمه الحرام والمحافظة على الواجبات والانتهاء عن المحرمات، ما جرى على أيدي هؤلاء يعني من كان مؤمنا تقيا سميناه كرامة، وأما من لم يكن على هذا الوصف، قد يكون في حقه كرامة وقد يكون حالا شيطانية، وأما إذا كان على ضد ذلك ممن كان من أهل المعاصي والبدع والفسوق والشركيات ونحو ذلك فهذا لاشك أن ما يحصل له أنه من قبيل المخاريق والأحوال الشيطانية؛ لأن الكرامة نعمة يعطيها الله جل وعلا أولياءه؛ يعني المؤمنين المتقين، وأما السحرة والمشعوذين وأشباههم فإنّ ما يجري على أيديهم من الخوارق إنما هو من الشياطين.

هذه الأمة من أجل مشابهتها لمن سلف جرى على يدي كثير من المنتسبين من هذه الأمة بعض المخاريق الكثيرة؛ من مثل المشي على الماء، دخول النار، من مثل الطيران في الهواء، من مثل سماع الأصوات البعيدة، من مثل إحياء بعض الميتين من الحيوانات ونحوها، ونحو ذلك، فيجري على يدي أولئك المشعوذين أو أولئك الفسقة يجري على أيديهم بعض المخاريق، فانغر بهم الجهال فجعلوا مخاريق

السحرة كرامات، وجعلوا أولئك السحرة وأولئك المشعوذون جعلوهم أولياء، وهذه الشعبة من جنس ما كان عند أهل الجاهلية، حيث جعلت طائفة فيهم السحرة والمردة من الشياطين من أتباع سليمان عليه السلام؛ لأنهم فعلوا السحر وكان السحر عندهم من جنس ما يفعله سليمان عليه السلام.

لهذا اشتد نكير السلف على من ظهر منه ذلك.

فقال من قال منهم: إذا رأيت الرجل يسير على الماء أو يطير في الهواء فلا يغرنك حتى تزنه بالكتاب والسنة.

لأن ذلك قد يكون من فعل الشياطين، الشياطين قد تحمل الرجل المشعوذ - ساحر أو نحوه- وتجعله يمشي على الماء أو تجعله يطير في الهواء، ونحو ذلك. كما يجري بطائفة ممن نُقلت الأخبار عنهم.

كذلك قد يجعلون الرجل يدخل في النار ولا يضره ذلك.

وقد يجعلون الرجل أو المرأة تمشي على الجمر ولا يضرها ذلك.

قد يجعلونه يدخل في حلقه آلة حادة سيفًا أو سكينًا أو نحو ذلك ولا يضره ذلك.

هذا لا يغرنّ من رآه، لم؟ لأننا نجزم بأن تلك المخاريق قد تكون أحوالا شيطانية، وقد تكون من الله جل وعلا - يعني كرامة- والضابط يعني الفرق بين هذا. وهذا، الفرق كما قال: حتى تزنه بالكتاب والسنة، فإذا كان الرجل متبعًا وليس بمبتدع مستقيم صاحب تحليل الحلال وأداء الواجبات وتحريم المحرمات ونحو ذلك، فهذا ما جرى على يديه من كرامات الأولياء، سواء أكان من جهة الكشف والعلم أو من جهة القدرة والتأثير، وأما إذا كان الرجل ليس على ذلك فاسق، فاجر، مشعوذ، مشرك، مبتدع، ونحو ذلك، فهذا ما يجري على يديه نعلم جزما أنه من الخوارق.

طائفة اليوم من أصحاب الطرق يجعلون من علامات الكرامات وصحة الطريقة التي ينتسبون إليها، الدخول في النار كما يفعله الرفاعية من المتصوفة، من دلائل صحة طريقة أحمد الرفاعي عندهم أن أتباعه يدخلون في النار ويمشون فيها ولا تحرق

شيئا منه ولا تضره، منهم من يكون صالحا فيكون ذلك كرامة له، ومنهم - وهم الأكثرون-، من يكون ذلك من جهة الشياطين؛ يعني تكون النار من فعل الشيطان ليس نارًا على الحقيقة ويدخل هذا ويعبر بسرعة ولا يضره ذلك بمساعدة الشيطان له في ذلك.

والذين يعرفون أحوال الصوفية والغلاة يعرفون هذه المسألة بوضوح، وأن من هذه الأمة من جعلوا من هو مشعوذ، فاسق، فاجر، مبتدع، مشرك، جعلوه في مقام الأولياء، يجعل في مصاف عباد الله الصالحين، الدليل هو جريان تلك المخاريق على أيديهم، وتلك المخاريق ليست بدليل؛ لأنها قد تكون أحوالا شيطانية، إذا كانت، بل هي أحوال شيطانية إذا كانت لأصحاب البدع، والفسوق، والفجور(١).

---

(١) [الأسئلة]

١ - قول من قال: إن طريقة أهل السنة والجماعة ومعتقدهم، ما الفرق بينه وبين من يقول: نحن على طريقة السلف، حيث إنه في هذا الزمان كلٌّ يقول نحن على مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يقولون على طريقة السلف، ما حكم القول الأول والثاني؟

أهل السنة والجماعة لفظ من الألفاظ الشرعية التي هي من جنس لفظ الإسلام، والأصل أنه لا يجوز الخروج عن دعوى الإسلام والتسمية بغيره؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا﴾ [الحج:٧٨]، وفي هذا تسمية متبعي النبي عليه الصلاة والسلام التي سماهم الله جل وعلا بها أنهم المسلمون، مما سمى الله جل وعلا به أهل الإيمان أنهم مؤمنون، كذلك جاءت تسميتهم في بعض نصوص السنة أنهم أهل الجماعة «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي**» فمن كان على ذلك فهو من أهل السنة، كذلك جاء في حديث الافتراق المشهور قوله عليه الصلاة والسلام: «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**»، فسمي أهل الفرقة الناجية أهل سنة وجماعة وهم السلف الصالح، التسمية بأهل السنة والجماعة تسمية شرعية، كذلك التسمية بالسلف وأتباع السلف كذلك تسمية شرعية لأنها هي معنى السنة والجماعة.

توسّع الناس في الانتساب إلى السنة والجماعة أكثر، بل توسعوا دون الانتساب إلى السلف، فصار كثير من الطوائف ينتسبون إلى السنة والجماعة، فالأشاعرة يقولون: نحن أهل السنة والجماعة، والماتريدية يقولون: نحن أهل السنة والجماعة، وهذا غلط منهم؛ لأن الجماعة هي ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام فسّر الفرقة الناجية بأنها الجماعة، وفي رواية أخرى قال: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وهذه أحاديث مشهورة وإن كانت في بعض أسانيدها ضعف.

إذن هذا غلط منهم في الانتساب كون يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة هذا غلط؛ لأنهم ليسوا من =

= أهل الجماعة هم من أهل الفرقة؛ لأنهم فارقوا طريق الجماعة الأولى في مسائل الصفات، بل في أعظم من ذلك، ألا وهو تفسير التوحيد في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله خالفوا فيها تفسير الصحابة وفي مسائل الصفات في القدر وفي الإيمان وفي مسائل كثيرة إذن فانتسابهم خطأ، لهذا كان أئمة أهل السنة والجماعة كثيرا ما ينتسبون إلى الأثر وإلى الحديث وإلى السلف؛ لأنهم يخرجون بذلك عن الدائرة الأوسع التي أدخل بعض أهل البدع أنفسهم فيها.

فإذن راية أهل السنة والجماعة بالأصل رفْعها راية صحيحة لأن الجماعة حق لكن الماتريدية والأشاعرة يرضون براية أهل السنة والجماعة، لكنهم إذا قلت لهم على طريقة السلف خالفوا، لهذا نقول في الأصل أن أهل السنة والجماعة هم السلف، لكن إذا كان ثَم التباس في الانتساب نقول الانتساب إلى السلف أخص من الانتساب إلى السنة والجماعة، فإنه قد يكون الرجل ينتسب إلى السنة والجماعة وإذا أردته أن ينتسب إلى السلف لم ينتسب.

لهذا كان الانتساب إلى السلف أدق لأجل إخراجه لبعض المنتسبين خطأ إلى السنة والجماعة، فمن أطلق لفظ أهل السنة والجماعة يريد بها المعنى الصحيح وهو أنهم هم المتبعون للسلف كان إطلاقه صحيحا وكلامه صوابا، أما إذا أطلقها ويريد بذلك أنه ليس المطلوب أن يكون على منهج السلف وإنما على منهج أهل السنة والجماعة الذي يشمل الطوائف التي تنتسب إلى ذلك، قلنا: إن ذلك خطأ.

فهذا هو تفصيل المقام في هذين اللفظين، وبعض الناس يخطِّئ من ينتسب إلى السلف ويقول: إن السلف هم أهل السنة والجماعة مطلقا، وبعضهم يخطّئ من يقول: إنّ السلف وأهل السنة والجماعة كلها واحد، والصواب هو التفصيل فإنها بمعنى واحد في الأصل، ولكنها من جهة التفصيل اختلفت، والله أعلم.

٢- هل يحصل للفاسق كرامة، وكيف؟

قد يحصل له كرامة بقدر ما عنده من الإيمان، لكن لا يجزم بأنها كرامة، والكرامات لا يعتقد فيها عند أهل السنة والجماعة، وإنما هي نعمة لمن حصلت له يجب عليه أن يشكر الله جل وعلا عليها، لا يعتقد فيمن حصلت له؛ لأنه قد تحصل؛ من بعض ممن ليس بمسدد الإيمان، تحصل له كرامة على قدر إيمانه، ولهذا يقول أهل السنة: إن كرامات الأولياء لا تبلغ مبلغ معجزات الأنبياء، مع أنها من جنسها في كونها خارق للعادة، لكن معجزات الأنبياء أعظم؛ لأن إيمانهم أعظم؛ ولأن الحاجة لمعجزاتهم أعظم. أما كرامات الأولياء الصالحين المسددين فهي أقل مرتبة، كذلك لمن حصلت له لمن ليس بمؤمن مسدد فاسق يعمل بعض المعاصي، قد تحصل له لكن لا يجزم بأنها كرامة لكن هو إذا علم ذلك من نفسه فإنه يشكر الله جل وعلا عليها ويستقيم على الطريق.

نقول: الإيمان والتقوى يتفاضلان، لهذا كل من عنده بعض الإيمان وبعض التقوى فإن عنده بعض الوَلاية، الولي ليس هو المؤمن الكامل المتقي الكامل، بل كل مؤمن تقي له نصيب من الوَلاية من ولاية الله له بقدر ما عنده من الإيمان والتقوى. =

= ٣- يقول: هل من يحذّر من التقليد والتمذهب لما آل إليه الأمر من التعصب، هل المحذر يقع في مشابهة أهل الجاهلية؟

الله أعلم، هل يقع في المتبعة أم لا، لكن الذي يحذر منه أهل العلم يحذرون من التعصب، ومن التقليد الذي فيه ظهور الحجة ومخالفة ذلك، أما جنس التقليد والتمذهب فلا ينكر، وأما التعصب لذلك بمعنى تقديم قول إمام على ما ظهر من نصوص الكتاب والسنة هذا هو الذي يذم وهو الذي جاء كلام أهل العلم كثيرا في إبطاله.

٤- يقول: ما صحة قول القائل أساس الإسلام: أربعة: عقيدة وشريعة ومنهاج وأخلاق، وهو قول منتشر جدًّا ويستدل له بقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]؟

التقاسيم التي تقسم فيها الأشياء هذه ينظر فيها المقسم إلى جهات، فينبغي للمنتخب لقوله أن ينظر إلى الجهة التي لأجلها قسّم، لأن التقسيمات باعتبارات، تارة يقسم من جهة ما واعية شيئا ما، ويقسم الآخر من جهة أخرى، ولهذا أصحاب التقاسيم ينبغي لمن ينظر في تقاسيمهم أن ينظر إليها من جهة ما هو الاعتبار الذي رعاه في ذلك التقسيم، فإنا نقسم مثلًا الشرك إلى أكبر وأصغر باعتبار، ونقسم الشرك باعتبار آخر إلى ظاهر جلي، ونقسم الشرك باعتبار ثالث إلى أكبر وأصغر وخفي، وكل من هذه التقسيمات قال به طائفة من أهل العلم، فكل التقسيمات صحيحة، لكن ما الذي رعاه صاحب التقسيم الأول؟ ما الذي رعاه صاحب التقسيم الثاني؟ ما الذي رعاه صاحب التقسيم الثالث؟ هذا الذي يجب على الناظر أن يرعاه؛ لأنه إذا فهم ذلك فهم وجه التقسيم.

لهذا نقول: إن من قسم هذا التقسيم عقيدة وشريعة ومنهاج وأخلاق، هذا ينظر في الأمر الذي رعاه.

فإن كان التقسيم تقسيم فني يعني من جهة أنه جعل العقيدة بمعنى ما يعتقد. والمنهاج ما ينهج؛ ما يصار عليه مسائل السلوك، مسائل الأمر والنهي، الدعوة ونحو ذلك. الشريعة بمعنى الأحكام. والأخلاق بمعنى السلوك، فهذا تقسيم صحيح.

وإن أراد بالتقسيم أن المنهاج لا يمكن أن يدخل في العقيدة، أو العقيدة لا تدخل في المنهاج، أو الأخلاق لا تدخل في الشريعة، والأخلاق لا تدخل في العقيدة فهذا غلط؛ لأن العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة تشمل المنهاج، تشمل الاعتقاد، تشمل المنهاج يعني أبواب الأمر والنهي والطاعة والإمامة والاعتقاد في الخلافات ونحو ذلك، وتشمل الأخلاق، والعقيدة، شيخ الإسلام في الواسطية ذكر فيها هذه الثلاثة أشياء، ذكر فيها أولا الاعتقاد وذكر المنهاج بعده، وذكر الأخلاق، مثل ما قال: وأهل السنة والجماعة يأمرون بمكارم الأخلاق ومعاليها وينهون عن قبيح الأخلاق وسفسافها، إذا كان كذلك فهذا القول بهذا الاعتبار الثاني يكون خطأ إذا أراد إخراج الأخلاق من العقيدة، أو المنهاج من العقيدة هذا غلط.

كذلك تقسيم الشريعة والعقيدة، أهل السنة سموا كتب الاعتقاد سموها شريعة مثل ما فعل الآجري، =

= سمى كتابه في الاعتقاد الشريعة، فإذن هذه الألفاظ هي مترادفة من جهة ما، وبعضها يدل على بعض، لكن قد يفصل إذا كان التقسيم يريد الإيضاح، أما إذا كان يريد أن كل لفظ يخالف الآخر فهذا لاشك أنه خطأ.

٥- هذا يقول: ما هي الأدلة التي تقوم عليها تكوين الجماعات الخاصة، ثم إذا قامت جماعة تركز على تقسيم معين في الأمة فهل ينطبق عليها اسم الجماعة الخاصة ؟ وهل يصح أن نقول إن الجماعات يكمل بعضها بعضا؟

أولًا: في الدولة الإسلامية لا يجوز أن تقوم جماعة سرية، كأصل عند أهل السنة، لا يجوز أن تقوم جماعة سرية لها أهداف خاصة سرية؛ لأن هذا فيه افتئات على الإمام.

من جهة أخرى فإن أهل السنة والجماعة يُقرون بالجماعة بمعنى التجمع؛ التجمع للدعوة، للخير، للأمر والنهي، وللهدى والصلاح، تجمعًا مشروعًا يكون فيه تطاوع وليس فيه طاعة، ويكون فيه ائتلاف ولا يكون فيه أمر ونهي، يكون فيه نظام وليس فيه تنظيم، وهذه هي أصول دعوة كل من تجمّع من أهل السنة والجماعة في قديم الزمان وفي الحديث.

شيخ الإسلام ابن تيمية يتكلم عن الجماعة في كثير من المواضع ويعني بها التجمع المشروع، ألا وهو ما كان أصحابه بينهم يتطاوعون، وهذا هو الذي جاء في النص لأن النبي ﷺ لما أرسل معاذا وصاحبه إلى اليمن فقال له: «**تطاوعا ولا تختلفا**» فكان هذا أصلًا لكل من اجتمعوا على الدعوة أن يكون بينهم تطاوع، أما الطاعة بمعنى أن يكون التابع مطيعا لمن فوقع طاعة المأمور للأمير فهذا لا يجوز في دولة الإسلام، لأن هذه طاعة خاصة لم تأتِ النصوص بها، وإنما جاء في النصوص بالطاعة في السفر لأجل الحاجة إلى ذلك، أما في الحضر والإقامة فإذا كان ولي الأمر الشرعي قائمًا موجودًا مسلمًا والبيعة له منعقدة فلا يجوز أن تكون طاعة مستقلة في الحضر دون طاعته، لكن يكون هناك تطاوع كذلك من جهة التنظيم يعني بعض الجماعات تتجمع على تنظيم، وهؤلاء كما رأيت في بعض مؤلفاتهم يستدلون بمقالات شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم، هم لم يفهموا فإن شيخ الإسلام رحمه الله ذكر نظاما وما يعنى به النظام ولم يذكر التنظيم لأن التنظيم هذا حادث، التنظيم بمعنى تكوين رأس للحزب يطاع ومن تحته تبلغ لهم الأشياء كما يحصل من طاعة الإمام هذا لا شك أنه لا يجوز ولا يدل عليه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ولا على غيره.

إذن تحقيق القول في هذه المسألة وهي تكوين الجماعة الخاصة أنه يجوز أن تكوّن الجماعة بمعنى التجمع على الخير والهدى اثنين، ثلاثة، أربعة، عشرة، نتواصى ونتآخى، نقرأ، ننصح، نذهب إلى فلان ندعوا ونحو ذلك، لكن بيننا تطاوع وليس بيننا طاعة، بيننا نظام وليس عندنا تنظيم، وهذه هي أصول الدعوة الناجحة، وما عداها فهي دعوات تشابه دعوات الخارجين عن مسمىٰ الإسلام.

[........سؤال غير واضح عن الدول غير الإسلامية...... فأجاب الشيخ].

محل اجتهاد إذا كانت غير إسلامية يجوز أن يكون ذلك لكن ليس على شكل حزبي، يجوز أن يقوم=

المتن

(الرابعة والعشرون): ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبرا وأنفة فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام:٥٢] الآيات.

(الخامسة والعشرون): الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١].

(السادسة والعشرون): تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

(السابعة والعشرون): تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩]الآية.

(الثامنة والعشرون): أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم كقوله: ﴿قَالُوٓاْ

= تجمع فيه أمر ونهي ونحو ذلك فيما بينهم، ولكن ليس على شكل حزبي كالمعروف عند الأحزاب الشيوعية ونحوها.

على كل حال في دولة غير دولة الإسلام محل اجتهاد لأنه يختلف على حسب الدولة والوضع فيها، فهي محل اجتهاد لا يطلق القول فيها.

٦- يقول: يقدح بعض طلبة العلم ببعض الجماعات للنظر إلى أخطاء أتباعها لا بالنظر إلى مناهجها فهل هذا من الإنصاف؟

الجواب: أن هذا من جنس فعل أهل الجاهلية إذا كان يقدح في جماعة ما أو بفئة ما بفعل بعض الأتباع دون النظر في المنهج، دون النظر فيما هم عليه، هذا من جنس فعل أهل الجاهلية لكن لا شك أن هذا مذموم والواجب النظر في الأصل والمنهاج، في المناهج فإذا كان صوابا كان من اتبع تلك المناهج وخالف فيها يكون هو المخطئ وإن كانت تلك خطأ كان التابع والمتبوع على غير هدى.

٧- هذا آخر سؤال، يقول: هناك من يقول أن المخاريق أربعة أقسام :

المعجزة للأنبياء.

والكرامة للأولياء.

والأحوال الشيطانية للسحرة والمشعوذين.

والرابعة الفراسة للأذكياء؟

الجواب: أما الفِراسة عند أهل السنة والجماعة من جنس الكرامات، كرامات الأولياء فهي داخلة تحتها، لهذا يذكرون أبواب الفِراسة الإيمانية وأنواع الفراسة الثلاثة يذكرونها تحت أبواب كرامات الأولياء، فهي عندهم ليست قسما رابعًا وإنما هي من أقسام الكرامات.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم الانتفاع والهدى والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد.

﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة:٩١].

الشَّرْح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا وعينا دامعة.

اللهم اهدنا فيما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم اجعلنا ممن آمن حق الإيمان واتقى حق التقى وصدق حق التصديق.

اللهم اجعلنا من الذين يتعلمون العلم ابتغاء وجهك ويطلبون به ما عندك إنك ولي ذلك.

اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين فيما تقلبنا وأينما توجهنا.

أما بعد:

فهذه المسائل من مسائل الجاهلية؛ يعني الخصال التي كان عليها أهل الجاهلية من المسائل المهمة لكثرة الواقعين في ذلك في هذا الزمان ومن قبله، فذكر المسألة الرابعة والعشرين قال: (المسألة الرابعة والعشرون -يعني من خصال أهل الجاهلية ومن مسائلهم- ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبرا وأنفة فأنزل الله جل وعلا قوله: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢]) وهذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية كانت قائمة في الكبار فيهم من ذوي الجاه، وذوي المال، وذوي الشرف، وذوي الرئاسة، من كبار جاهلي العرب، ومن كبار الجاهلية في الأمم الأخرى من اليهود والنصارى وغيرهم.

فإن المرء إذا كان مقدمًا مرفوعًا إما لأجل جاهه، أو لأجل علمه، أو لأجل عقله في فئته فإنه يدخل إليه الشيطان من هذه الجهة وينفخ فيه حتى يجعله متكبرا على الحق -والعياذ بالله-.

وذكر قول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، وهذه الآية ذكر المفسرون في سبب نزولها عدة روايات مجملها أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: اجعل لنا مجلسًا تخصُّنا به، لا نجلس مع هؤلاء الأعبد. يعنون: خبابًا وبلالًا وصهيبًا، وذُكر في بعض الروايات وسلمان، ولكن هذا ليس بجيد لأن هذه الآية مكية، مجلسا تخصنا به، اجعل لنا مجلسا تخصنا به، فمالَ رسول الله ﷺ إلى ذلك بقلبه وهمّ بذلك، فأنزل الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، وقوله هنا: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ يعني ما همَّ به عليه الصلاة والسلام، وإلّا فهو لم يقع منه طردٌ لهم، وإنما همّ بأن يخص أولئك من بين المؤمنين الذين هم ليسوا كأولئك في الشرف والجاه والرفعة، وكان ذلك من رسول الله عليه الصلاة والسلام طمعا في إسلام أولئك، وأنّ أولئك كبار القدْر، كبار الجاه، ذوو نفوذ وذوو أمر مطاع، فطمع رسول الله ﷺ في هدايتهم، فقبل شرطهم بأن يخصهم ويستنكف ويطرد أولئك النفر المؤمنين الذين ليسوا كأولئك في الجاه والرفعة والرئاسة ونحو ذلك، فأنزل الله جل وعلا هذه الآية.

وهذا الذي ذُكر في سبب النزول، ظاهر منه استدلال الشيخ رحمه الله تعالى، من أنّ أولئك المشركين كانوا يرغبون في استماع الحق ولكن منعهم من الحضور إلى مجلس رسول الله ﷺ التكبر عن أن يشركوا أولئك النفر المؤمنين الذين كانوا إما فقراء وإما موالي، عبيد، أو نحو ذلك، فكرهوا أن يشاركوهم في مجالسهم، وكرهوا أن يحضروا عند رسول الله ﷺ ويكون فيه أولئك حتى إنه ذُكر أن بعضهم قال: اجعل لنا مجلسا تعرف به العرب فضلنا. فهذا يدل على ما في داخل صدورهم من التكبر والأنفة، والحق إنما يكون مع الذين يميلون له، لا يكون مع المتكبرين، ولهذا أولئك لا ينفع فيهم مثل هذا، قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال:٢٣] يعني أهل الكتاب، لو شاء الله جل وعلا لأسمعهم ولو أسمعهم الحق والهدى كما يَسمعه من ينتفع به، ﴿لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لأنهم

يعلمون الحق، ولكنهم ينسلخون عنه تكبرا وأنفة، وهذا الذي منع كثيرا من الجاهليين من كبار قريش من الدخول في الإسلام، تعرفون كلمة أبي جهل المشهورة في ذلك، حيث قال: حتى تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فقالوا فتصدقوا وتصدقنا، ونحروا ونحرنا، وبذلوا وبذلنا حتى إذا كنا كفرسي رهان قالوا: منا رسول يأتيه الوحي من السماء وليس منكم أحد، لا والله لا نؤمن به أبدا. هذا يدل على أن أولئك تركوا قبول الحق، ومنعهم الدخول في الحق سبق الضعفاء، منعهم من ذلك أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام أقبل على أولئك النفر تكبرا منهم وأنفة.

كذلك اليهود، اليهود كان فيهم ذلك وكانوا يخفون الحق، ويقولون: كيف نتّبع هذا النبي الأمي فنخسر مالنا ونخسر جاهنا ونخسر ما يبذله لنا ذوو الأموال، وهذا سيأتي إن شاء الله تعالى في بيان سبب تبديلهم الكتب وتبديلهم المنزَّل عليهم.

هذه الخصلة كما رأيتم، هذه سببها ما يقع في النفوس من التكبر، وهذا دخل ووجد في هذه الأمة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»، وُجد في هذه الأمة من المنتسبين إلى الإسلام ومن المتمسكين بالإسلام، فكثير منهم منعه من قبول الحق التكبر والأنفة أنْ كل أولئك الذين سبقوا إليه هم الذين سبقوا وهم الذين تقدموا في الحق ويكون ذلك الكبار تابعين، يكون أولئك الكبار لاحقين، والكبار وذوو الجاه وذوو السمعة وذوو الرئاسة دائما يحبون أن يكونوا هم الذين يتقدمون الناس، هم الذين يسبقون ولو كان سبقهم في غير الحق وفي غير الهدى، فإنّ همهم لما جعل الله جل وعلا في قلوبهم من الضلال ومن ترك الهدى لو كان ذلك في غير الصواب سلكوه، وهذا ظاهر في كثير من أئمة البدع في الإسلام، فإنهم لم يرضخوا للحق لأنهم يعتقدون أنهم ذوو شرف ذوو رفعة، لما أوتوه من عقول، لما أوتوه من فهم، فكيف يميلون للحق مع أن الذين اتبعوه هم الذين يسمونهم أهل الظاهر ويسمونهم حشوية، ويسمونهم بأسماء متنوعة تؤول جميعا وتجتمع جميعا في أنهم ليسوا بذوي نباهة ولا بذوي عقول.

فإذن أولئك الذين كانوا من الكبار في الإسلام من أهل البدع كان كثير منهم يعلم الحق ولكنه يصعب عليه أن يتركَه لأجل ما لَه من المنزلة والرفعة، يصعب عليه أن يتركه لذوي عقول ضعيفة عنده، وهذا يجر إلى أنه لا يُقدّم، ولا يكون مرفوعا، ولا يكون مبجلا، ولا يكون متبوعا، وهذا تراه في كثير ممن ابتلي باتباع الناس لهم إذ لم يكن معهم إنصاف، ولم يكن معهم تقوى وخير من الله جل وعلا، فإنه يصدهم الأتباع، يصدهم كثرة من يعظمهم، يصدهم كثرة من يتبعهم على أن يقبلوا الحق، فإن النفس إذا وجدت من يتبعها، إذا وجدت من يعظمها، ثم كان السبيل في قبول الحق والرضوخ له أن يُترك تعظيمه أن يُترك رفعه فإنه يصعب جدًّا من النفوس أن تقبل ذلك، وهذا كَثُر في الذين ركبوا هواهم في هذه الأمة في أصناف شتى كثيرة، أينما توجهت وجدت ذلك.

فإذن كل من لم يقبل الحق لأجل التكبر والأنفة فإن لهم نصيب في مشابهة الجاهليين في ذلك، وهذا يدل على أن ترك قبول الحق لأجل سبق الضعفاء أو لأجل تقدمهم أو لأجل أنهم أخص لصاحب الدعوة فإن هذا –والعياذ بالله– من الكبائر، بل قد يكون مخرجا من الملة إذا كان فيه عدم قبول أصل الدين، مثل ما يحصل من كبار علماء المشركين في هذه الأزمان المتأخرة.

ومن الأمثلة في ذلك التي ذكرها بعض من لهم صدارة ولهم رفعة من الذين يسمّون بعلماء هذا الوقت ممن يكونون معظمين من وُجد، ممن هم معظمين للشركيات معظمين للأضرحة والموتى ونحو ذلك، حيث جرى بيني وبينه حديث ومناقشة حول أصل الإسلام والتوحيد والشرك، بل هو من كبار علماء بلده، فكان مما قال في بيان حقيقة الأمر، أنه قال: هذا سبيل من سبل الرّزق فلا تقطعه عمن يأتي إليه، ثم قال ما نصه –هو توفي الآن– نعم الذي تقول حق، ولكن التكفير صعب، كون مبتدعة نعم، ولكن كما قال اترك الناس تعيش.

وهذا لأنه معظم في طائفته، صعب أن يترك ويسحب منه كل ما اكتسبه في حياته

الطويلة، هذا صعب على النفوس خاصة في أنفس كبار السن، يعني من دخل في الكهولة ونحو ذلك، فيصعب عليه نفسيًّا هذا.

إذا تبين لك ذلك، فإذن نستفيد من هذا أن هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية كثيرة تأملها تجدها في هذه الأمة، في الأغنياء، في ذوي الترف، في الرؤساء، في الملوك، في الأمراء، في نحو ذلك، هذه موجودة فيهم إلا ما شاء الله جل وعلا، فإنهم تراهم يتنقّصون الحق لأجل من اتبعه ويرفضون الدخول فيه لأجل حال من دخل فيه.

أيضًا ننبه إلى أن على أهل الدعوة، على الدعاة، على أهل العلم أن يعتنوا بالصفوة الذين أقبلوا على الله جل وعلا، وأن يتركوا الالتفات إلى ذوي الشرف وذوي الرفعة إلا إذا كان أولئك يقطنون مع غيرهم ويقبلون مع غيرهم، أما أن يقبل على أولئك ويترك الذين يريدون وجه الله جل وعلا، فإنّ هذا من الذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام قال جل وعلا في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢]، نبّه أنهم أهل الإخلاص أهل طمع فيما عند الله جل وعلا لا يريدون إلا وجه الله جل وعلا، وهذا فيه تنبيه إلى أن أولئك الذين همّ رسول الله ﷺ أن يطرد هؤلاء من أجلهم أنهم لا يريدون وجه الله جل وعلا، أنهم لهم مقاصد أخر في ذلك، قال جل وعلا: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام:٥٢]، وهذا فيه النهي الشديد عن ذلك، وكذلك قال جل وعلا في سورة الكهفك ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف:٢٨]، قال المفسرون في قوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ يعني تريد التزيّن في دخول أولئك ولمجالسة أولئك.

وهذه خصلة نفسية تدخل في قلوب كثيرين، فعلى الدعاة أن يكون همهم إيصال الحق، وإذا كان هناك في إيصال الحق فيه شيء من ترك ما أمرنا الله جل وعلا به رعايةً لخواطر بعض ذوي الشرف وذوي الجاه ونحو ذلك، فلا يقبل الداعية، لا يقبل

طالب العلم، لا يقبل العالم بذلك، إلا إذا كان ثَم مصلحة راجحة، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل في المدينة مع رؤساء الوفود، هذا له حال آخر، أما أن يُشترط على صاحب الدعوة أو العالم أن لا يجلس مع أولئك، مع هؤلاء، وأن يكون لهم مجلس مع الخاصة من ذوي الشرف، فهذا هو الذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

المسألة التي تليها أنهم يستدلون على بطلان ما جاء به النبي يعني على بطلان الحق، يستدلون على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١]، هذه المسألة مسألة استدلال والمسألة الأولى مسألة طلب، ففي الأولى طلب ذلك وفي الثانية يستدلون على بطلان الحق.

الأولى يريدون سماع الحق ولكنهم طلبوا أن لا يكون معهم أولئك الضعفاء، أولئك الأعبد، أولئك الذين ليسوا من ذوي الجاه ومن ذوي الشرف ومن ذوي الرفعة؛ لأنهم يلحقهم نقص، ويلحقهم شيء من التعيير إذا جلسوا في مجلس فيه أولئك الأعبد والجميع على حد سواء.

قال رحمه الله تعالى في هذه المسألة -أعني المسألة الخامسة والعشرون-: الاستدلال على بطلانه - يعني على بطلان الحق - بسبق الضعفاء، يستدلون على بطلانه بسبق الضعفاء كما قال جل وعلا في سورة الأحقاف: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[الأحقاف:١١]، قوله هنا: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني عن الذين آمنوا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اللام هنا بمعنى (عن) يعني وقال الذين كفروا عن الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه، قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف:١١]، فهم استدلوا على بطلان ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام بسبق الضعفاء.

وهذه المسألة غير المسألة التي مرت معنا أنهم يستدلون على بطلانه؛ لأنه إنما أخذه الذين ليس لهم عقول، وليس لهم حظ لما سبق من المسائل، حيث استدل على

ذلك بقوله تعالى في سورة هود يقول: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧]، أولئك دخلوا من غير تدبر ومن غير فهم، هنا يستدلون على البطلان بسبق هؤلاء، فهؤلاء كونهم سبقوا وهم أراذلنا وهم من ليسوا بذوي فهم، كونهم سبقوا، هذا دليل على أنه ليس بحق، لأنه لو كان حقا لأخذه ذوو العقول وأخذه ذوو الشرف وأخذه ذوو الفهم من الملأ من الكبار.

هذه المسألة واضحة المعنى، وهي شبيهة بالمسألة التي سلفت من قبل لكن هذه في الاستدلال على البطلان بالسّبق وتلك ليست استدلالا بالسبق وإنما استدلال بحال الضعفاء.

قال: (السادسة والعشرون تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون):

هذه الخصلة التي هي تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه هي في اليهود في بني إسرائيل، وهذا التحريف للكتاب هو أنهم وجدوا صفة النبي ﷺ في التوراة، صفة واضحة جلية فلما رأوا النبي ﷺ عرفوا أنه هو المدعو، وأنه هو نبي الأميين، ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩]، وكان من صفة النبي ﷺ أنه ربعة أكحل العينين جعد الشعر، فسأل اليهودَ المشركون في مكة ما تجدون في صفة النبي ﷺ، النبي الأمي الذي يخرج؟ قالوا: نجد صفته في كتابنا أنه طويل أزرق العينين سائل الشعر. أو نحو ذلك، فوصفوه بغير الوصف الذي جاء في التوراة، فحرفوا وهذا معنى قوله: إنهم حرفوا كتاب الله من بعد ما عقلوه[1]، يعني من بعد ما عرفوه، من بعد ما فهموه، كما قال جل وعلا في الآية الأخرى في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:١٤٦]، يعرفون النبي ﷺ ويعرفون أن ما أنزل إليه حق كما يعرفون أبناءهم لا يلتبس عليهم ذلك، ولكنهم كتموا الحق ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾، وهذا

---

(١) الآية هي ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:٧٥].

ظاهر في معنى تحريفهم لكتاب الله.

هذه الخصلة في اليهود تبعها أنواع من التحريف وسبقها أنواع من التحريف، أما من يبق فإنهم حرّفوا كتاب الله جل وعلا؛ يعني الذي أنزل عليهم، حرفوا تارة بحذف بعض ما جاء فيه، فإن تحريف التوراة والإنجيل لأهل العلم فيها مذاهب:

منهم من يرى أن التحريف في المعنى دون اللفظ، وأنهم ما حرّفوا التوراة بمعنى أزالوا الألفاظ وتركوا بعضا ومحوا بعضا، وإنما حرفوها من جهة المعنى والتفسير، وإلى هذا المعنى [يرمي] شيخ الإسلام ابن تيمية في سلف له من أهل العلم، يقول: إن التحريف إنما هو تحريف المعنى، أما التوراة فإنهم لم يغيروا ألفاظها كما يستدل على ذلك بقصة اليهوديين الذين زنيا، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كتاب الله الرجم**» وراموا أن يغير حتى أتى عبد الله بن سلام فأخبر النبي ﷺ أنها في التوراة، فأتوا بالتوراة فوضعوا أصابعهم على هذا الموضع، فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: مُرْهُ فليرفع يده فإن الآية تحته. فرفع يده فوجدها كما أخبر به عبد الله بن سلام.

هذا نوع من التحريف ليس تحريفا في اللفظ، ولكنه كتم للحق تحريف في المعنى وهذا من فعل الأحبار، لهذا كان شيخ الإسلام يرى أن التحريف كان في المعنى.

* **وقال آخرون من أهل العلم**: إن التحريف كان في الألفاظ بزيادة ونقصان وزادوا أشياء وتركوا أشياء وحذفوا أشياء.

* **وقال آخرون**: -وهو القول الصحيح فيما يظهر-: إن التحريف الذي حصل في التوراة يجمع الأمرين، منه ما هو تحريف للألفاظ ومنه ما هو تحريف للمعنى، زادوا في التوراة أشياء من أقوال أهل العلم فيه من أقوال أحبارهم، وزادوا فيها أشياء هي من قبيل التأصيل حتى جعلت من كلام الله، جعلوا فيها قصصا طوالا، جعلوا فيها أخبارًا هي ليست من أصل التوراة ولكن زادوها؛ زادها علماؤهم حتى جعلت من التوراة، ومنه ما هو تحريف بالمعنى الذي حصل من كتب المتقدمة، نوع التحريف، تحريف بالمعنى أي: تحريف في المعنى بأن يفسر الكلام الذي جاء على غير ما يعلمون

تفسيره كما قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[البقرة:١٤٦]، ومنه ما هو تحريف في اللفظ يُزيدون وينقصون، يحذفون، يضعون أشياء زائدة.

وهذا يجمع القولين السابقين وهو الظاهر وهو الصواب؛ لأن التحريف بمعنى الحذف واضح موجود، ففي التوراة أشياء وفي الإنجيل أشياء لا يمكن أن تُنسب على أنها منزلة من عند الله جل وعلا، فيها أشياء شركية فيها أشياء فيها الخنى والزنى والعياذ بالله، فيها أشياء لا يصح ولا يجوز أن تنسب لله جل وعلا، كذلك فيها أشياء من كلام علمائهم واضحة، حيث فيها مثلا في التوراة قال موسى وقال فلان، بل فيها نسبة أقوال لمن بعد موسى عليه السلام، وكذلك في الإنجيل، وهذا ظاهر لأنه زِيد فيها ونقص، كذلك تحريف المعنى لأنهم فسروها بغير تفسيرها.

هذا الذي حصل لأولئك من جهة تحريف المعنى وتحريف اللفظ لم يحصل لهذه الأمة في الجهتين وذلك لأن القرآن محفوظ قال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩]، الذكر هو القرآن حفظه الله جل وعلا أن يزاد فيه أو ينقص، حفظه الله جل وعلا من التحريف والتبديل لأنه لا دين بعد دين الإسلام، ولا رسول بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ولما كان القرآن محفوظا لم يتطرق إليه تحريف في لفظه، وإنما كان التحريف في تأويله، التحريف في معناه، وهذا هو الذي شابه فيه هذه الأمة اليهود، فإنهم يعلمون أنه من الحق كذا وكذا مما جاء في القرآن وجاءت به السنة، ولكنهم يحرفون ذلك ويصرفونه عن معانيه اللائقة به، وعما دل عليه إلى أقوال أخرى تنصر مذاهبهم، وهذا هو الكثير في هذه الأمة، وكل أهل الأهواء وأهل البدع وأهل الخرافة وأهل الشعوذة يجدون في القرآن ما يستدلون به محرِّفين لمعناه متبعين لما تشابه منه، هذا القدْر شابهوا به اليهود ومن شابههم من أهل الملل.

مثال ذلك ما يكثر عند مؤولة الصفات من نفي ظواهر الآيات التي اشتملت على صفات الله جل وعلا، ويحرفون المعنى إلى معنى آخر مخترع من عند أنفسهم.

مثاله عند أول آية في القرآن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تجد أنّ القوم يفسرون ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بما يخرج اشتمالهما على الرحمة، ويقولون: إن الرحمة هنا ليست في حق الله جل وعلا حقيقة، وإنما يراد بالرحمة هنا مجاز عن الإلهام، مجاز عن الإحسان، وهذا من أنواع التحريف؛ تحريف المعنى، كذلك يأتون إلى مثل قوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في آيات، ويقولون: إن استوى بمعنى استولى فيزيدون فيه.

ولهذا قال بعض أهل العلم ما أشبه (لام) الجهمي بـ (نون) اليهودي، فإن اليهود قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة أو قالوا حبة في شعرة، والجهمي قيل له قولوا استوى فقال استولى.

ويشابههم من قال بقولهم من أهل العلم: من حاول أن يضلل عن معنى الظاهر الذي جاء به نصوص الصفات في القرآن ويصرف ذلك إلى معانٍ أخر، من مثل ما جاء في تفسير الاستواء عند ابن العربي المالكي في كتابه «عارضة الأحوذي» حيث قال: إن الاستواء يأتي عند العرب على خمسة عشر معنى. فساقها، وقال: فنقول للمثبت: أي هذه المعاني المراد؟ وهذا غلط، وهو من التحريف؛ تحريف المعنى – والعياذ بالله-؛ لأن استوى في لغة العرب لا تكون إلا بمعنى واحد[1] وهو بمعنى علا وارتفع ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[المؤمنون:٢٨]، يعني علوتم عليه وارتفعتم عليه.

وهذا كثير أيضًا في أبواب القدر وأبواب الإيمان ونحو ذلك. فالمعتزلة مثلا استدلوا بقول الله جل وعلا ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، على أن العبد هو الذي يفعل المعصية وأن الله جل وعلا لا يخلق فعله هذا ويعرضون عن قوله جل وعلا ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨]، ونحو ذلك.

كذلك في أبواب الإيمان بالغيب حرفوا النصوص، ففي القرآن إثبات الميزان، وفي القرآن إثبات الصراط، وفي القرآن إثبات الصحف؛ أن هناك صحفًا تتطاير ومنهم من يأخذ صحيفته بيمينه ومنهم من يأخذ بشماله، القوم الذين لا يؤمنون بالغيبيات من العقلانيين من المعتزلة ومن شابههم لا يؤمنون بذلك ويحرفونه عن معناه.

---

(١) سيأتي تفصيل قيم من الشيخ حفظه الله حول هذا الموضوع في السؤال الخامس ص ١١٨) ولمزيد من التفصيل والفائدة يراجع كلام العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – في شرحه على الواسطية.

كذلك المشركون الذين يؤيدون الشرك والخرافة، فإنهم يأتون إلى دلائل التوحيد التي في القرآن ويحرفونها عن معناها، ويأتون مثلا إلى الآيات التي فيها أنّ المشركين يدعون غير الله جل وعلا ويجعلونها دعوة الأصنام لا غير، ويخصون شرك المشركين لأنهم متبركون في عبادة الأصنام، ويخرجون من ذلك عبادة الأوثان أو عبادة الصالحين، ونحو ذلك مما جاء موضحا في القرآن.

وهذا طفحت به كتبهم واستدلوا من ذلك بدلائل من القرآن ونحو ذلك، يحرفون المعاني، ولهذا يقول أهل السنة: أهل السنة يكتبون ما لهم وما عليهم، وأما أهل البدعة فإنما يكتبون ما لهم. يأتون بآية فيكتبونها، يحرفون معناها ويجعلونها لهم، فأما أهل السنة إذا كانت الآية لهم، الحديث لهم استدلوا به وإذا كانت عليهم يعني أنها تُشْكل على ما يستدلون له، فإنهم يكتبونها ويذهبون إلى طلب دفع ذلك الإشكال، إلى طلب رفع تلك الشبهة التي ضربت بتلك الآيات فإن الله جل وعلا جعل كتابه فيه اشتباه إلا على الراسخين من أهل العلم، حتى يتميز أولئك الصفوة الذين هم الراسخون في العلم، فيكتبون مالهم ويكتبون ما عليهم ما يستدل الخصم به عليهم إنصافا منهم، فلا يدخلون في الأدلة التي عليهم يدخلون فيها بتحريف وصرف لها عن معانيها لكي يوافق ما عندهم، بل يأخذون بما دلت عليه ويجيبون عن ذلك بأنهم إنما يرومون الحق، فكل من صرف الدلائل عن ظاهرها وحملها على شيء لا تعرفه العرب من لغاتها فإن ذلك يدخل في مشابهة اليهود الذين حرّفوا الكتاب من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

نقف عند هذا، المسألة السابعة والعشرون تحتاج إلى شيء من التفصيل تصنيف الكتب الباطلة.

وبهذا القدْر كفاية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد(١).

(١) [الأسئلة]

١- (العاشرة) الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم كقولهم بادي الرأي، وهذه المسألة الخامسة والعشرون سببها قد يشتبه، لماذا يستدلون على البطلان بسبق الضعفاء؟ =

= لأن الضعفاء عندهم قليل فهمهم، قليل حظهم، فتلك المسألة وهي العاشرة أن سبب عدم قناعتهم بأن الضعفاء آمنوا به لأن الضعفاء عندهم قليلو الفهم، قليلو الحجة، وعديمو الحظ، المسألة الثامنة هي في أنّ الضعفاء اتبعوا، المسألة الثامنة هي في مجرد الاتباع، المسألة العاشرة في عقول الضعفاء، المسألة هذه الخامسة والعشرون بالسبق ثلاث صفات؛ تلك في الاتباع وهذه في فهمهم وعقولهم وهذه في سبقهم فكل واحدة فيها صفة من الصفات - وليتأمل - الشيخ رحمه الله المصنف ما كتب هذه المسائل من قبيل التصور النظري، هو كتبها من الواجهة، أو كما يقال من الميدان؛ لأنه واجه هؤلاء جميعا، فكان يكتب المسألة بعد أن يرى مشابهة هذه الأمة بأهل الجاهلية فيهم، فيراها أمامه فيكتبها، ولهذا ترى أن هذه المسائل بعضها -يعني لو كان هناك مثلا نظر على طريقة المحدثين بأن المسائل متشابهة تكون بعضها تلو بعض- لكانت هذه المسائل الثامنة والعاشرة والخامسة والعشرون متقاربة واحدة وراء الأخرى، لكن الشيخ رحمه الله تعالى في هذه الرسالة الظاهر من حَاله من ترتيب الكتاب، أنه يكتبها من واقع المواجهة إذا وجد حالة كتبها من واقع المواجهة وهذا ظاهر إذا تأملته وجدته ظاهرا في حال ترك الشيخ.....

٢- إذا دخل جني في شخص ثم أسلم وتاب وشهد على أن الذي أدخله هو الساحر فلان، هل تقبل شهادته من القاضي؟

الجواب: لا، لأن الجن شهادتهم ضعيفة عند أهل العلم لا تقبل، هذا معروف في كتب المصطلح، يعقدون له فصلا بأن روايتهم ضعيفة؛ لأنه عند أهل العلم أسانيد فيها جن، وأشهرهم من يقال له شمهروش الجني، فهذا حدث بأحاديث فيها أنه سمعها من النبي ﷺ ، فأخذها منه من أخذها من أهل العلم فيكون في بعضها بين العالم وبين النبي ﷺ الذي عاش في القرن الثاني بينه وبينه ثلاثة يكون مثلا اثنين والجني يقول سمعت من النبي ﷺ ، وتعلم أن الجن أعمارهم غير أعمار بني آدم، فرواية الجن عند أهل العلم ضعيفة كذلك.

شهادتهم ضعيفة لا تقبل، لم؟

لأن الشهادة والرواية تحتاج إلى إثبات العدالة، وعدالة الجني لا يمكن أن يثبتها إنسي.

٣- أين ذكر شيخ الإسلام أنّ التحريف في الكتب وقع في المعنى دون اللفظ؟

هذا في كتابه المشهور «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» من أراد هذه الأقوال بشيء من التفصيل فهي موجودة في إغاثة اللهفان لابن القيم، فقد ذكر فصلا طويلا في التحريف وما وقع، والأقوال في ذلك للبخاري أو شيخ الإسلام وقول عدد من أهل العلم.

٤- فيه بعض طلبة العلم يترفع عن مخالطة العوام، ويقول: لا أخالط إلا من فيه خير، هل هذا من التكبر والأنفة؟

يخالط العوام الذين فيهم خير، أما العوام الذين ليس فيهم خير لا يخالطهم، العامي قد يكون في عقيدته =

= وفي استسلامه لله أحسن من بعض المنتسبين، وهذا ظاهر قد يكون عليه بعض مظاهر التقصير أو مظاهر المخالفات لكنه في حقيقة الأمر هو أقوى يقينا وإيمانا -يعني في مسائل إيمان القلوب- من غيره فمخالطة العوام لأجل دعوتهم والتأثير فيهم ونحو ذلك مطلوبة، لكن مثل ما قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»، يحرص المرء على أنه إنما يخالط من ينفعه أو يؤثر عليه.

٥- قال: إذا كان معنى كلمة استوى غير معداة بأي حرف معناها علا فكيف يفهم قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩] الآية وقول الإمام للمصلين استووا وغير ذلك. نرجو البيان حفظكم الله؟

الجواب: أن مادة استوى غير مادة سوّى، سوّى هذه مادة واستوى مادة أخرى، فسواه بمعنى أصلحه وعدله، يقول الإمام استووا يعني أصلحوا صفوفكم وعدلوها، بأن لا يكون أحد باديًا صدره متقدمًا، متأخرًا، ونحو ذلكن كذلك قال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ جعلته مستوى لخلقه، بخلاف قوله تعالى في سورة القصص﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص:١٤]، هذا ﴿ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ بمعنى كمل خلقه واشتد يعني علا خلقه وارتفع على جنس الخلق ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ فإذا كان جنس خلقه يعني خلق موسى على حال فبلغ أرفع الحال وأعلا الحال.

أما ما ذكر في التسوية في قوله تعالى: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ هذه مادة أخرى بمعنى الإصلاح والتهيئة.

هنا تعرف استوى أصل معناها علا وارتفع، فإذا كانت معداة تقول استوى فلان يعني علا وارتفع، بدون على كذا وإلى كذا، فإذا كان عديت استوى بحرف الجر إلى فيكون استوى ضمن معنى قصد كما في قوله جل وعلا: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩]، نعرف أن استوى بمعنى علا وارتفع لا تتعدى بحرف (إلى). فإذا تعدت بحرف (إلى) يكون فعل استوى ضُمِّن معنى قصد وعمد؛ لأنك تقول قصد إلى الشيء وعمد إلى الشيء.

والتضمن باب مهم في فهم اللغة وذلك أن التضمن فيه إثبات للمعنى الأول وزيادة المعنى المضمن فقوله تعالى هنا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني علا وارتفع وعمد وقصد إلى السماء فسواهن، فيكون معنى الاستواء بالتعدية بـ(إلى) فيه المعنى الأصلي وهو العلو والارتفاع، وفيه المعنى الذي أفادته تعدية الفعل بحرف (إلى) وهو معنى القصد والعمد.

وهذا إذا ذهبت إلى بعض المفسرين ممن يفسرون بتفسير السلف لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقول عمد وقصد، لا يعني هنا أنه أول إنما هو فسره بما تضمنه؛ لأجل ظهور المعنى الأصلي، وهذا ما يفسره بعض أهل العلم بأنه تفسير -يسميه بعضهم- تفسير باللازم أو بالتضمن، وهذا باب شريف لفهم اللغة والقرآن.

إذا عديت بـ(على) صار مع معنى ارتفع وعلا معنى زائد وهو استقر؛ يعني تقول: استقر على الشيء. =

= فيكون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون:٢٨]، يعني ارتفعت وعلوت واستقررت، فصار فيه هنا زيادة معنى أفاده تعدية الفعل بحرف (على)، وهذا هو الذي ذُكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قال بعضهم: علا وارتفع، قال بعض السلف: واستقر أيضًا؛ لأن هذا هو بادر اللغة.

٦- ما رأيكم وما تنصحون به فيما حدث من تغيير في مناهج التوحيد لمناهج التعليم الابتدائية، مثل نواقض الإسلام والشرك الأصغر وما يتعلق باليهود والنصارى وبعض الفرق الضالة الشيعة والصوفية وغيرها؟

هذا التغير في المناهج فيما يتعلق بالتوحيد هذا جاء فيما أفهم من نحو عشرين سنة تقريبا بدأ هذا التغيير، وسببه أن بعض المنتسبين إلى الدعوة والراغبين في دعوة الشباب أو التأثير على النشء أنهم قالوا: إن هذه الكتب أي كتب التوحيد مثل العقيدة العامة، ومثل نواقض الإسلام، ومثل ثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد ونحوها، أما هذه لا تصلح لهذا الجيل الجديد لأنه حدثت أشياء وتغيرت أمور، ونحاول أن ندخل عليها تجديدا في تغيير بعض المناهج فأول ما نزعوا الواسطية نحن درسنا في المتوسط والثانوي العقيدة الواسطية بشرحها، كذلك كتاب التوحيد بشرحه كان موجودا فغُير بكتاب التوحيد لمحمد قطب وبعض المؤلفات للمعاصرين، وهذه كانت فكرة من بعض الإسلاميين هذا في أصلها، هم الذين فتحوا هذا الباب في المسائل ممن تأثروا ببعض المدارس الدعوية في البلاد.

وهذا لا شك أنه سبب فجوة كبيرة وجعل مدخلا لتغيير مناهج العقيدة والتوحيد والدين، مثل ما مرّ من أربع سنوات تقريبا، بلّغنا أحد الإخوان بأنه قد عُمِّم على بعض المدارس المتوسطة أنه لا يُفصَّل في موضوع الربا وإنما يدرس تعريفه وأما تفصيل أنواعه وما يتعلق به فإن هذا لا يفصل للطلاب، لا شك أن هذه المسألة منكرة، لأنّ فهم هذا جزء من الدين موجود في المنهج فما الذي وراء مثل هذا، فمن باب الذكر والخبر، اتصلت ببعض المسؤولين في وزارة المعارف على هذا الأمر فكان جوابهم أن هذا اجتهاد خاص من لجنة تطوير المناهج، اجتهاد خاص منهم، قال لأنّ الطلاب في المتوسط بالتجربة في السنين التي مضت قبل ذلك القرار قال لا يفهمون هذا المعنى، ما يتصورون ربا الفضل وربا النسيئة وكل قرض جر نفعا، صعب تصورهم له بالتجربة في السنين الماضية وقدم بعض الاعتراضات من بعض الأساتذة الطلاب ما فهموا مثل هذا، فيقررون في المناهج أن هذا صعب عليهم، يقول فأصدرنا هذا التوجيه العام بعدم تدريس هذا فظننا أول ما ظننا أن المسألة أرفع منكم، فإذا كان أهل العلم يرون أن هذا يُلغى، وفعلا في ذلك الحين ألغي ذلك القرار.

المقصود من هذا بعض التغييرات الموجودة في المناهج التي لها تاريخ، ومنه ما سببه بعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية كما يقال وهذا ظاهر -كما ترون الآن- بدأ تصحيح في بعض المناهج التعليمية، ومنه ما سببه لجنة تطوير المناهج في وزارة المناهج، ومنه ما سببه جهات أخرى، فبعض الذين =

= يحملون هذه الأمور يجعلون السبب واحدا وهذا غير واقع.
وإنما بالتأمل وبالمعرفة القريبة اتّضح لي أنها أسباب ثلاث هي التي ذكرت.
منها: ما هو سببه الأول وهو بعض الإسلاميين.
ومنه ما هو سببه لجنة تطوير المناهج تأتي باقتراحات وبإنشاءات تأتي بهذا وتحذف هذا.
ومنه ما له أسباب أخر.
توحيد السبب ليس من قبيل معرفة الواقع تمامًا.
٧- إذا كان لي سلطة في بعض معاملة العمال الأجانب أفلا أتسبب في تشهيرهم؟ ما فهمت لكن نذكر جملًا في هذا.
هو أنّ الكفار الموجودين في دار الإسلام على قسمين:
منهم من يظهر العداوة للمسلمين، إما بكلمة وإما بفعل أو نحو ذلك، فهذا يجب أن يسعى في تشهيره وذلك أنه ناقض أصلًا من أصول، ناقض أصلًا وشرطًا من شرائط السماح له بالدخول وأيضا لأنه وهو قبل كل شيء لأنه نابذ للإسلام وأظهر العداوة، فهذا يجب أن نظهر له العداوة وأن نسعى في إبعاده عن ديار المسلمين، حتى لا يوقع الشر وحتى لا يظهر في بلاد المسلمين غير رفعة كلمة الله جل وعلا.
الصنف الآخر هم الذين لا يقاتلون في الدين لا يظهرون العداوة وإنما هم همهم مصلحتهم، فهؤلاء يعاملون بالعدل، الأصل في هؤلاء أن يعاملوا بالعدل والقسط، كما قال جل وعلا: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨] فمن لم يعادنا في الدين ولم يُظهر لنا هذه العداوة ويتبين منه ذلك، فهؤلاء يعاملون بالعدل وهو الأصل فيهم كما قال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النحل: ٩٠]، ومنهم من يعامل بالبر كما في هذه الآية ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ يحسن إليهم يساعدون، لهذا أجاز الفقهاء الصدقة للكافر، الصدقة المطلقة تجوز للكافر؛ يعني الذين لم يبارزونا في العداوة، والزكاة تجوز للمؤلَّف للكافر الذي يتألف في الإسلام ونحو ذلك، فمعاملتهم، معاملة هؤلاء الذين لم يظهروا العداوة لا يجوز أن يعتدى عليهم ولا أن يبغى عليهم، ولا أن يظلموا، ولا أن يؤخذ شيئا من حقوقهم، ولا أن يسعى المسلم ضدهم في أمر لا يستحقونه وإنما يعاملهم بالعدل فبالعدل قامت الأرض والسموات، الله جل وعلا أمر بالعدل مع الأعداء قال: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨]، فلو كان كافرا إذ لم يكن يظهر لنا عيبا في الدين لم يظهر عداوة، لم يستهزئ، لم يظهر شيئا مما يكون به معاديا للحق وأهله، للإسلام، للنبي ﷺ، للقرآن ونحو ذلك فإنه يعامل بالعدل، وقد يعامل بالحسن والبر فإذا كان في ذلك مصلحة شرعية، كما أجاب النبي ﷺ دعوة اليهودي وأكل من طعامه وكما كان يحسن إلى بعض جيرانه ونحو ذلك مما في ذلك فيه مصلحة للدعوة.
فبهذا يتحرر الأمر، فبعض الناس يغلو في هذا الأصل في الولاء والبراء، وبعضهم يجفو ويقصر عنهن الذي يغلو يحمل كل الكفار على محمل واحد ممن هم في دار الإسلام، وهذا ليس من حكم الله جل =

= وعلا في شيء، وبعضهم يجفو ويقصر حتى يقع في مودّتهم وفي دعوتهم وفي إقرانهم وفي الاستئناس لهم وفي تقريبهم ونحو ذلك، وكلا الطرفين ذميم، ذاك غالٍ وهذا جافٍ مقصر، والصواب هو ما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٨- لا يجوز إدخال مشرك ولا كافر إلى جزيرة العرب. يحرم على أي مؤمن أن يدخله أو يتسبب في إدخاله يعني ليكون مقيمًا بها، أما إذا كان مارًّا غير مقيم يعني ثلاثة أيام يمر لحاجة لغرض، هذا أذن به عمر ا أذن لتجار أهل الذمة في كل مكان ثلاثة أيام، يأتوا إلى المدينة فيقيموا بها ثلاثة أيام ويذهبوا إلى مكان آخر ثلاثة أيام، فلا يقيمون بالجزيرة أما الإقامة في الجزيرة واستدعاؤهم ليعملوا ونحو ذلك فهذا محرم؛ لظهور الدلائل في ذلك.

٩- [...سؤال غير واضح ...]

الجواب: هذا من الجفاء ما فيه شك، هذا من الموالاة المحرمة، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣]، أدخل فيها بعض أهل العلم يعني من السلف أدخلوا فيها بري القلم له، تقريب الدواة – يعني: الحبر له- ونحو ذلك، لأنه ظالم متعدي منابذ، إذا نابذ الدين وأظهر العداوة فلا يجوز مساعدته، بل يجب إظهار العداوة له كما أظهر لنا العداوة، لكن الشيء إذا لم يكن كذلك إذا كان مسالمًا في حالة، فكيف تعامله، تظلمه، تتعدى عليه؟ مثل ما ذكرت لك أن من الناس من يجفو ويوادهم والعياذ بالله ويواليهم مثل ما ذكرت يقربهم ويسكنهم في أفضل المساكن، إذا أتى المسلم ما أكرمه وإذا أتى هذا أكرمه لأجل نظره إليه وليس لأجل مصلحة دنيوية، لكن من أجل هذا مثلًا أمريكي أو هذا بريطاني وهذا كذا ونحو ذلك، وهذا لاشك أنه ضال، مثل ما ذكرت هذه من أنواع الموالاة والموالاة هذه محرمة، الموالاة محرمة، فلا يجوز للمسلم أن يلقي المودة للكفار، قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

١٠- [...سؤال غير واضح ...]

الجواب: لا، العبيد تختلف أحكامهم.

١١- [...سؤال غير واضح والآية المقصودة هي الآية الأولى من سورة الممتحنة...]

الجواب: لا الصواب أنها غير منسوخة. هذا الذي عليه فتوى أهل العلم ممن نعرف وأدركنا والآن المشايخ كالشيخ عبد العزيز بن باز سمعته مرارا يذكر هذا الذي أنا نقلته عنه وهو تلخيص لكلامه، هذا هو المعروف عند العلماء أن الآية هذه ليست بمنسوخة؛ لأننا في حالة غير الحالات تلك، وتعرف أن هذه الآية نزولها متأخر، يعني نزول السورة في أي سنة؟ قبل الفتح؛ فتح مكة، يعني نزولها متأخر؛ لأن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أسرَّ للمشركين بخبر رسول الله ﷺ وحصل منه ما حصل ونزلت تلك الآيات العظيمة ، والله المستعان.

١٢- [...سؤال غير واضح ...] =

= الجواب: هؤلاء الهندوس فيهم بلاء آخر وهو أنهم يظهرون شعار الكفر في ديار المسلمين التي هي لبس العمامة؛ هذه شعار من شعار الكفر، لبسها على هذا النحو كلبس الصليب؛ لأنها شعار من شعار الكفر، وكما أن النصراني لا يجب يعني يأتي واحد راهب لجزيرة العرب أوغيرها يظهر لباس النصارى الخاص بهم مثل لباس الرهبان ونحو ذلك، ما فيه شك أن هذا من المحرمات، وكذلك هؤلاء إذا ذهبت الآن تجدهم والعياذ بالله وهذا من البلاء العام، نسأل الله جل وعلا أن ييسّر التخلص من هؤلاء جميعًا.

٩- [...سؤال غير واضح ...]

الجواب: نحن ذكرنا أنهم يعاملون بالعدل، هذا أصل؛ معاملتهم بالعدل، إذا مرّ المؤمن في الطريق يعني على رجليه ليس في السيارة، هذا له وسط الطريق؛ لأن الدار داره، والإسلام يعلو ولا يعلى عليه، والكفار لهم جنبات في الطريق، «**إذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**» يعني لا تفسحوا لهم، يعني يمشي المسلم في صدر الطريق ويترك لأولئك جنبات الطريق، مثل الآن واحد ذهب إلى المستشفى فيه مثلا طريق طويل في المستشفى، يأتي مسلم مثلا يمشي في جنب الجدار، هذا لا يسوغ، هذا الذي جاء فيه مثل هذا الحديث أنك تمشي في الوسط وإذا أتى مشرك أو كافر نصراني أو نحوه وتحققت أن هذا مشرك أو نصراني فإنك تضطره إلى أضيقه، بمعنى أنك لا تفسح له تمشي وتتركه هو الذي يذهب إلى أضيق الطريق «تضطره إلى أضيقه» يعني أنك تمشي في وسط الطريق وهو يختار الطريق الضيق، لا تفسح له تعامله كالمسلم، لا يجوز ذلك، وهذا ليس مما ينافي العدل، بل هذا من مقتضى العدل؛ لأن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه؛ ولأن المسلم أحق بداره؛ ولأنه في دار الإسلام لا يكرم كافر على مسلم، فإذا جعلت له وسط الطريق وأخذت بنيات الطريق فهذا من نوع إكرام له وهذا ينافي العدل، لكن إذا أنا أخذت وسط الطريق كما قال النبي ﷺ وجعلت أضيق الطريق لذلك المشرك ولذلك الكافر قد امتثلت وأخذت بالعدل.

وإذا قال المشرك: السلام عليكم - كافر يهودي نصراني - وقال النبي ﷺ: «فقولوا وعليك» هذا الحديث أهل العلم لهم فيه نظران:

النظر الأول: أن يأخذوا بأصل العدل، ويقول: إنّ العدل أصل أمر الله جل وعلا به عامة وفي رد التحية خاصة، فقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦]، ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ في المسلم أو الكافر أو لأحدهما إذا كان المسلم فأنت بالخيار تحيي بأحسن منها أو تردها أما إذا كان كافرًا فيقول طائفة من أهل العلم: عليك أن تردها كما هي، ولهذا يذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فقد فصل في هذه المسألة في كتاب «أحكام أهل الذمة» فقال: والكافر إذا قال: السلام عليكم فيجب على المسلم أن يرد عليه بالعدل، فيقول: وعليكم السلام، يقول إن الحديث الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا قال لكم اليهود: السلام عليكم فقولوا: وعليكم**»، قال: له سبب؛ لأن اليهود يقولون: السام عليكم، فما منع بقوله: وعليكم السلام إلا أنّ المؤمن إذا قال:=

المَتْن

(المسألة السابعة والعشرون): تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩] الآية.

(الثامنة والعشرون): أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم كقوله: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١].

(التاسعة والعشرون): أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم، كما نبه الله تعالى عليه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

(الثلاثون): وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق، صار كل حزب بما لديهم فرحين.

* * *

= وعليكم السلام لم يعامل بالعدل، وإنما عامل بالأحسن؛ لأن ذلك يقول: السام - يعني: الموت - وأنت تقول: عليكم السلام، فأنت أكرمته ما عاملته بالعدل، إذا قلت: وعليكم عاملته بالعدل، وهذا هو ما أمر الله به، قال: فإذا تحققت من كافر أنه قال السلام -واضحة- عليكم، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى تبعًا لشيخه شيخ الإسلام- يقول: تقول مجيبًا بمثله: وعليكم السلام، لأن هذا معاملة بالعدل.
والقول الآخر: لأكثر أهل العلم ويقولون - أكثر أهل العلم - ويقولون: إن ظاهر الحديث وإن كانت العلة ظاهرة في السبب لكنه خرج مخرج الأمر العام؛ فيقولوا: وعليكم. تكون العلة وردت لا يكون اقتصار الحكم على هذه العلة.
وهذا هو الصواب، بأنك إذا قابلك النصراني فتقول: وعليكم سواء قال السلام أو قال السام.
ومشايخنا هنا حفظهم الله تعالى ونفعنا بعلومهم:
منهم من يفتي بظاهر الحديث، وهو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله يقول: تقولوا وعليكم.
ومنهم من يفتي بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وهي فتوى فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله.
إذن هذه المسألة لا تشكل على أصل المسألة. ومن رام إلى زيادة تفصيل فليرجع إلى كتاب «أحكام أهل الذمة» لابن القيم وقد أطنب فيها.
نختم بهذا أسأل الله أن ينفعني وإياكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشَّرْح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذه المسائل أولها أنّ مِمَّا فعله أهل الجاهلية أنهم صنفوا الكتب الباطلة ونسبوها إلى الله جل وعلا، وذلك التصنيف للكتب الباطلة كان منهم على قسمين:

الأول: أنهم صنفوا في الكتب المنزلة على الله جل وعلا أشياء وزادوها فيها؛ يعني: جعلوا الكتب التي أنزلها الله جل وعلا، التوراة، والإنجيل جعلوها مزيدة فصنفوا فيها أشياء زادوها ونسبوها إلى ذلك الكتاب المنزل، هذه الأشياء قالوا: هي من التوراة ومن الإنجيل، فيصير هذا النوع داخلًا تحت تحريف الكتب المنزلة من عند الله جل وعلا تحريفًا لفظيًّا، يعني: بالزيادة.

القسم الثاني: أنهم صنفوا كتبًا ليست من الكتب المنزلة ولم يضيفوها إلى الكتب المنزلة، ولكن جعلوها من الله جل وعلا؛ لأنها كالشرح لها أو كالبيان أو أضافها أولئك المصنفون إلى ما أنزل الله - جل وعلا - وما أخبر به رسولُهُ، وهذا حصل في اليهود وفي النصارى.

أما اليهود فكما أخبر الله جل وعلا في قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٧٩]، فاليهود من علمائهم وأحبارهم من أضاف في التوراة أشياء، فالتوراة الموجودة اليوم ليست كلها كلام الله جل وعلا، بل منها ما هو من كلامه مما أوحاه إلى موسى، ومنها وهو الكثير ما هو مِمَّا أضافه علماؤهم وأحبارهم، فنسبوا ذلك إلى الله، هذا نوع وقع فيه اليهود.

وكذلك وقعوا في النوع الثاني: وهو أنهم صنَّفوا شرحًا لنصوص التوراة أو لما جاء به موسى وجعلوا فيه أشياء حللوا فيها حرامًا وحرموا فيها حلالًا وافتروا فيها على الله - جل وعلا - ونسبوا تلك الكتب إلى الله، وهذه موجودة اليوم عندهم بما

يسمونه بالمشنة والجمارة وهي قسما التِلمود، وهذا منسوب إلى الله جل وعلا عندهم؛ لأنه من صنيع علمائهم يقدسون ذلك تقديسهم للتوراة، وهذا لعله من المراد بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة: ٧٩]، فهم افتروا على الله جل وعلا حيث إنهم زادوا في التوراة ما ليس منها وافتروا على الله جل وعلا حيث إنهم جعلوا اجتهاداتهم التي ليس لها أصل في شريعتهم ولا في دينهم ولا في عقيدتهم، جعلوها منسوبة إلى الله جل وعلا، وهذه الخَصْلة عند اليهود والنصارى، لم تكن عند العرب عند مشركي العرب ذلك؛ لأن مشركي العرب أميون ليسوا ممن اعتنوا بالكتابة والقراءة وإنما يسمعون الأخبار، فهذه من الخصال التي وقع فيها جاهليو اليهود والنصارى.

وهذه جاءت ودخلت في هذه الأمة بأوسع المداخل، فالكتب التي صنفت في هذه الأمة، وصنفها أناس من هذه الأمة كثير منها كان من القسم الثاني؛ يعني مما حرف فيه الشرع وحرفت فيه العقيدة ونسب ذلك إلى النبي ﷺ بأنه دينه وأنه عقيدته وأنه ما يجب أن يلتزمه المسلم.

أما القسم الأول: وهو تحريف القرآن فهذا لاشك أنه لم يقع؛ لأن الله - جل وعلا- حفظ هذا القرآن من الزيادة والنقصان، حفظه من أن ينسب إليه شيء وتقرّ ذلك الأمة ويكون هذا بينهم، هذا حفظ القرآن عن أن ينقص منه أو أن يزاد فيه، معلوم أن عند الروافض وبعض الفرق الضالة نسخًا من مصاحف لهم يجعلونها مضاهية للقرآن، إما بنسبتها للقرآن كما يسمي الروافض مصحف فاطمة بذلكِ، ويقولون: إن المصحف الموجود اليوم هو ثلث المصحف، وتقول طائفة منهم: ثلثِ ما أنزل على محمد ﷺ، وآخرون من هذه الأمة أيضًا جعلوا لهم كتابًا يضاهون به القرآن كما عند الدروز وعند النصيرية فلهم كتب يضاهئون بها القرآن وقد وقفت على شيء من تلك الكتب فيها مضاهات للقرآن وتقسيمات وآيات على حد تعبيرهم مسجوعة ونحو ذلك. لكن هذا إنما هو عند بعض تلك الطوائف ليس شائعًا وهو

يصدق عليه أنهم شابهوا فيه اليهود لأنهم فعلوا مثل ما فعل أولئك، لكن هذا ليس البلاء في الأمة كبيرًا به.

وإنما البلاء في الأمة كان كبيرًا بالقسم الثاني وهو تصنيف الكتب الباطلة كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى ونسبة تلك الكتب على الله جل وعلا، فإذا تأملت وجدتَ أنه لما ظهر زمن الابتداع وعلا مناره وقويت شوكته صنفوا كتبًا كثيرة، كان السلف الصالح يأنفون من التصنيف ويبتعدون عن التصنيف قدر الإمكان رغبة في أن يبقى العلم في الصدور، حتى ابتدؤوا في التصنيف بما نقل عن السلف؛ بما نقل عن النبي ﷺ، بما نقل عن الصحابة، بما نقل عن التابعين، وكانوا يقتصرون على ذلك رغبة في إبقاء صلة الأمة بما كان عليه سلفها في كلامهم وفي هديهم وفي دلّهم وسمتهم ونحو ذلك، فكان علماء الأمة يصنفون التصانيف بالأسانيد التي تنقل الأخبار والآثار عن الصحابة أو عن التابعين أو عن تبع التابعين، وكان منهم طائفة يعني من سلف هذه الأمة من كان يكره التصنيف كالإمام أحمد ونحوه، بل إن منهم من دفن كتبه رغبة في بقاء الصلة بما كان عليه الصحابة أقوالهم وهديهم واجتهاداتهم ونحو ذلك.

احتاج الناس إلى التصانيف، احتاج الناس إلى الكتب، فبدأ أهل العلم بالتصنيف بحسب الحاجة لذلك، ومن أوائل من صنف كتبًا مبتدأة، الشافعي رحمه الله تعالى لما صنف كتاب الرسالة فيه حجج وفيه دلائل لأصول السلف وأصول أهل السنة يعني في الاستدلال، كذلك صنف الشافعي كتاب الأم لما ذهب إلى مصر، صنف كتاب الأم في الفقه، ويذكر في كل مسألة استنباطه منها، إما -يعني: استنباطه فيها كيف استنبط ذلك- إما من قرآن أو من سنة أو من قول صاحب ونحو ذلك، هذه من جهة أهل السنة مقرر؛ لأنهم يصنفون تلك الكتب تفسيرًا وشرحًا وبيانًا لكتاب الله جل وعلا وسنة النبي ﷺ وما كان عليه سلف الأمة من أقوال، نقل عنهم من أقوال وما نقل عنهم من أفعال وهدي ونحو ذلك، ولهذا يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كتابه «تيسير العزيز الحميد»: وإنما كتب أهل العلم يُحتاج إليها في بيان معاني الكتاب

والسنة وفي الوصول إلى فهم الكتاب والسنة، وإذا كانت لا توصل إلى ذلك فهي مذمومة. فأهل العلم حينما صنفوا الكتب التي هي ليس فيها يعني أسانيد وآثار إنما يرومون بها فقه الكتاب والسنة وفهم نصوص الكتاب والسنة، وصنف الفقهاء كتبهم وأهل العقائد عقائدهم المختصرة وأخلوها من الأدلة؛ لأن تلك مستنبطة من الكتاب والسنة بحسب - في الفقه - اجتهاد المصنف الذي صنف وفي العقيدة بحسب ما نقل لهم من عقيدة السلف الصالح.

هذا الذي فعله أهل السنة وتتابعوا فيه بتصنيف الكتب هذا محمود ومرغوب فيه لأنه به يُسرت سبل الاستفادة من العلم، وقرب العلم في كل عصر لأهله.

ما الذي فعل أهل الضلال؟ صنفوا الكتب الباطلة، صنفوا الكتب التي يذكرون فيها رأيهم، لا يذكرون فيها الأدلة الشرعية، ولا يذكرون ذلك الرأي مستندًا على أدلة شرعية، فأول ما صنف أولئك سموا بأهل الرأي، ومنها كتب الآن موجودة مثال «**كتاب الوقف**» لهلال بن مسلم الرأي، مطبوع موجود، فإذا تأملته وجدت أنه أسئلة: أرأيت إن كان كذا فالجواب كذا، مسائل في الوقف كلها من باب طرح المسائل بقوله: أرأيت ثم الجواب عليها، وهذا مما اشتد فيه السلف الصالح - يعني: الأئمة - في إنكار تصنيف الكتب على هذا النحو؛ يعني كتب الرأي التي ذُمَّت ما كان على هذا النحو، مثل كتاب هذا الذي ذكرتُ لكم ونحوه من الكتب.

أما كتب الفقه الأخرى فهي إذا كان استنباطها له أصوله وله أدلته فإنها لا تدخل في ذلك الذي نهوا عنه.

أما كتب أهل البدع التي صنفوها فإنها كما ذكرت ثم رجعت إلى الكلام على الفقه كما ذكرتُ أنها صنفت ونسبت إلى القرآن، نسبت إلى السنة، فمنهم من صنف تفاسير جعل فيها التجسيم، يجعل عقيدة التجسيم كتفسير مُقَاتِل، تفسيرًا للقرآن ففسر القرآن ففي كل آيات الصفات جعلها دالةً على التمثيل؛ لأنه يعتقد التجسيم وينسب هذا إلى أنه تفسير للقرآن، هذا من جنس ما شاركت به هذه الأمة وشابهت به اليهود، كذلك

أهل الاعتزال وأهل البدع والضلالات المختلفة من الفرق، المرجئة، القدرية، الجبرية، إلى آخره صنفوا كتبًا، هذه الكتب كلٌّ ينسبها إلى الله جل وعلا؛ يعني: إلى دين الإسلام، يقول هذا هو الذي أمر الله جل وعلا باعتقاده هذا هو الذي أمر الله جل وعلا بالإيمان به، فنسبوها إلى الله جل وعلا بالنسبة الثانية؛ أنهم صنفوا وقالوا: إن هذا هو الدين والعقيدة والشرع، وهذا لاشك أنه باطل، لِمَ؟ لأنهم لم يذكروا من الدلائل عليه من كلام الله جل وعلا كلام النبي ﷺ وكلام الصحابة ما به يُعلم أن فهم ذلك الذي صنف صحيح، فإنهم ذكروا أشياء مخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة، فيكونون إذن قد خالفوا الأوائل ولما خالفوا صنفوا تلك الكتب ونسبوها إلى الشرع نسبوها إلى الإسلام، فكانوا بذلك مصنفين للكتب الباطلة ومشابهين لليهود ناسبين ذلك إلى الله جل وعلا؛ يعني إلى دينه، كل من كان من أهل البدع وأهل الضلال كذلك.

حتى وصل الأمر إلى وقت الشيخ الإمام رحمه الله تعالى، فصنفت الكتب التي فيها إبطال للدين الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، صنفت الكتب في بيان أن الاستغاثة بالأموات والالتجاء إليهم أن هذا أمر مطلوب، ونُسب ذلك إلى سلف هذه الأمة، نسب ذلك إلى الأدلة، نسب ذلك إلى دين الإسلام وقالوا إن هذا هو الحق الذي عليه اعتقاد الفرقة الناجية كما يزعمون، صنفت الكتب الباطلة في البدع وجعلت تلك المصنفات منسوبة إلى ما كان عليه السلف، منسوبة إلى النبي ﷺ، فمثلًا يصنف بعضهم في تحسين بعض البدع ويستدل عليها بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»، فيجعل تلك البدع التي أحدثها أو التي أمر بالالتزام بها منسوبة إلى النبي ﷺ لأنها داخلة في عموم كلامه، وهذا قد شابهوا فيه اليهود؛ لأنهم استدلوا بالمتشابه أو كان هواهم قائمًا فجعلوا الدليل منزلًا على هواهم. وأهل السنة - السلف الصالح - يجعلون الدليل أولًا ثم يستنبطون منه، الدليل أولًا ثم يستنبط منه، أما أن يقدّم الهوى ثم يبحث عن ما

يساعده، أو ما يدل عليه هذا طريقة أهل الأهواء الذين صنفوا تلك الكتب الباطلة.

في مسائل التوسل؛ في بيان أن شرك أهل الجاهلية إنما كان بعبادة الأصنام دون غيرها؛ يعني: من الصالحين، من الموتى، من أهل القبور ونحو ذلك، صنفت مصنفات في ذلك في وقت الشيخ وعارضوا بها الدعوة، ونسبوها إلى النبي ﷺ، نسبوها إلى دين الإسلام، كما سيأتي في المسائل التي بعدها بيان لبعض فروع ما عملوا.

في هذا الزمن أيضا - في هذا القرن - كذلك يأتي جمع من أهل التفكير وأهل الفكر، وينقدح في أذهانهم أفكار وآراء وتوهمات، وينسبونها إلى الله جل وعلا، وينسبونها إلى الدين، ما الحجة فيما قلت؟ ما البرهان على ما ذكرت؟ لا حجة ولا برهان وينسبون ذلك إلى الإسلام، يقولون: هذا هو الإسلام، لابد للعالم أو للمصنف أنه إذا ذكر رأيًا أو فكرًا أن يذكر دليله، أن يذكر ما اعتمد عليه خاصة إذا كانت أفكارًا جديدة ونحو ذلك، أما أن يكون رأيًا مجردًا وتنسبه إلى الإسلام، فهذا ولاشك أنه نوع من تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله جل وعلا.

مثل المصنفات في هذا العصر التي بعضها يتكلم مثلًا عن الله، يقول الله جل جلاله، بعضهم يتكلم عن الحلال والحرام يقول: هذا حلال وهذا حرام، بعضها فيه تَعَالِي أيضا هذا هو الإسلام ونحو ذلك، هذه كلها إذا لم تكن مدللة بالأدلة الشرعية من القرآن أو السنة الصحيحة فإنها تكون من جملة تصنيف الكتب الباطلة التي شابهت فيها هذه الأمة اليهود والنصارى.

إذن هذه المسألة التي ذكرها الشيخ رحمه الله فيها النهي عن الإقدام على تصنيف الكتب بدون مستند مما كان عليه أئمة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بدون مستند من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح؛ لأن التصنيف إنما هو للحاجة، وإذا كان كذلك فكل من صنف على ذلك النحو فقد صنف كتبًا باطلة.

ولهذا كان أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى - يحفظون دين الناس بأن لا يدخلوا

الكتب التي فيها فساد عقدي أو فساد فقهي أو نحو ذلك، أما الآن فتوسع الناس حتى صارت الكتب التي كانت من قبل لا ترى صارت الآن موجودة والناس يقتنونها، ممن مثل تفسير الفخر الرازي الذي قيل فيه: فيه كل شيء إلا التفسير. وقيل فيه: لم يدع لا شاذة ولا فاذة إلا أوردها. هذا التفسير كان ينهى عنه بهذه البلاد لأنه ينسب إلى الله جل وعلا؛ لأنه تفسير لكلام الله جل وعلا، وهو كله في عقائد المتكلمين، بل إن بعضه فيه تنجيم وعناية بأحوال النجوم ونحو ذلك لأنّ الرازي كان يعتني بذلك، كتب المبتدعة على اختلاف أنواعها كان يحمى الناس من ذلك من أن يقتنوها وأن تكون بين أيديهم مثلًا كتاب الفتوحات المكية، وإلى اليوم ممنوع ولكنه أحيانًا يوجد في بعض المكتبات، وذلك لحماية الناس من مثل هذه الكتب المبتدعة.

من أواخر ما صنع في ذلك ما صدر من سماحة الشيخ عبد العزيز حفظه الله من منع تداول كتب الصابوني في التفسير أيضًا، لم؟ لأنها من جنس ما ذكره الشيخ رحمه الله في هذه المسألة لأن تصنيف التفسير ونسبة ذلك إلى كتاب الله جل وعلا هذا شعبة من شعب أهل الجاهلية، تصنيف التفسير ونسبة تلك التفاسير الباطلة إلى كتاب الله جل وعلا هو شعبة من شعب أهل الجاهلية، فلا يكون في التفسير الذي يسوغ تناقله بين الناس ويسوغ قراءته إلا ما فيه حق إلا ما فيه بعد عن طرق أهل البدع والضلال، أما ما كان فيه ذلك يجب أن يُبعد الناس عنه وألا يمكنوا منه لأنه قد يحدث الضلال في أصل الاعتقاد من جرّاء ذلك؛ لأن المتكلم يفسر القرآن فيكون القارئ ظانًّا أن هذا التفسير هو موضحًا لكلام الله جل وعلا، فيعتقد أنه مستدل به يعني في ذلك التفسير مستدل بالقرآن فيه، مستدل بالسنة فيه فيقع الخلط والبلاء وقع ذلك كثيرًا.

المسألة التي تليها وهي: (أنهم لا يَقْبَلُون من الحق إلا الذي مع طائفتهم كقوله: ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١].) هذه قالها اليهود.

(أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم)، قال تعالى: ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني اليهود قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا

لِمَا مَعَهُمْ ﴾[البقرة:٩١]، اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا، كانت هذه حجتهم، وكان ذلك برهانًا، ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ أما ما وراءه فلا نؤمن به، فلما كان أمرهم كذلك، كان مما يحتج به عليهم أنه قد جاء في التوراة وصف النبي عليه الصلاة والسلام، هذا هو الذي أنزل عليهم، لذلك سيأتي في المسألة التي تليها أنهم كانوا لا يعلمون ما تقوله طائفتهم؛ يعني أكثرهم لا يعلم ما في كتبهم، يقولون لا نؤمن إلا بما أنزل علينا ومع ذلك لا يعلمون ما عندهم، فالنبي ﷺ وُصِفَ وصفًا تامًّا في التوراة وفي الإنجيل، فحرفوا ذلك الوصف وقالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا، صفة النبي ﷺ موجودة، فآمنوا بما أنزل عليكم، فلم يؤمنوا بذلك.

كذلك النصارى بُشِّروا، بَشَّرهم عيسى عليه السلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، بشرهم بنبي يأتي اسمه أحمد وهو منصوص على ذلك في إنجيل بَرنابا الموجود المطبوع الآن وهي نسخة نفيسة من الإنجيل، والنصارى لا يقرون بنسبة ذلك الإنجيل إليهم، ويقولون: أناجيلهم أربعة أما إنجيل برنابا هذا فينفون نسبته إلى النصرانية ويقولون: هذا فيه ما فيه إما مختلق وإما غير مقر، إلى آخره وكان قد وجده الشيخ محمد رشيد رضا في أحد المكاتب في إيطاليا بنسخة بلغة أخرى لاتينية، فترجمه إلى العربية وطبعه فيه البشارة بالنبي عليه الصلاة والسلام، لم يؤمنوا بذلك مع أنهم يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾.

هؤلاء شاركهم طوائف من هذه الأمة كثيرة، فتجد أنّ عوام أهل المذاهب الفقهية مثلًا يقولون: لا نؤمن إلا بما جاء في مذهبنا، وهذا كثر في هذه الأمة خاصة في العصور المتأخرة، فتجد أن السائل إذا سأل مفتيًا يقول: أفتني على مذهب الشافعي، أفتني على مذهب الإمام أحمد، أفتني على مذهب الإمام أبي حنيفة، لِمَ؟ قال: لأني على هذا المذهب. وهذا تجدونه كثيرًا في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يأتيه من يسأله، فيقول: أفتنا على مذهب الشافعي، أفتنا على مذهب كذا.

ولأجل أن هذا كثر في الناس كان في وقت الشيخ رحمه الله بعض المفتين يحفظون

كتبًا في المذاهب الأربعة فيأتيهم السائل فيقول: أفتنا على المذهب الشافعي. فيفتيهم، يأتيه آخر فيقول أفتني على مذهب أبي حنيفة فيفتيه، يأتيه ثالث على مذهب مالك فيفتيهم، هكذا، فكان بعض المفتين في وقت الشيخ وقبله يفتون على المذاهب الأربعة ويعدون أن هذا مفخرة، لِمَ؟ لأن كل طائفة لا تؤمن إلا بما عندها أما عند الآخرين يقولون لا نؤمن به، وهذا لاشك أنه باطل؛ لأن الواجب على المفتي أن يكون في فتواه مفتيًا بما يعتقد أنه الحق، بما يعتقد أنه ينجيه بين يدي الله جل وعلا، مثل ما ذكر منصور البهوتي؛ الشيخ منصور رحمه الله تعالى المصنف للروض المربع ولشرح المنتهى ولكشاف القناع ولكتب كثيرة فإنه استفتى في مسألة فأفتى فيها بفتوى فقيل له: إن هذه الفتوى مخالفة لما ذكرته في كتابك كشَّاف القناع، فقال: ذاك ذكرنا فيه المذهب، وأما ما أفتيت به فهذا ما أعتقده. وهذا هو الواجب، التصنيف تبيين المسائل بأدلتها على مذهب معين للتعليم لتصوير المسائل، هذا هو الطريقة العلمية الصحيحة، أما المفتي فإنه يفتي بما يعلم أنه الحق، لا يؤمن بما أنزل إليه فقط ويترك -يعني: بما عنده، بما عليه طائفته- ويترك البقية بل ينظر ويجتهد في الحق.

أهل البدع كذلك تجد أن الخارجي مثلًا؛ الإباضي مثلًا إذا سألته، يقول لك: أنا لا أؤمن إلا بما عليه مشايخنا، طيب أولو كانوا على باطل؟

أهل البدع والخرافات لا بد أن أسأل علماءنا، طيب إذا سألت علماءك شوف الدليل معهم هل معهم حجة أقوى من حجة الآخر أم لا؟ لابد أن تتحرى الحق.

فأصبحت هذه الظاهرة موجودة في المسلمين في أوسع الأبواب، أن كل أهل مذهب إما مذهب فقهي أو عقدي يقولون نؤمن بما عند طائفتنا ولا يتحرون الحق لا يبحثون عنه، فكانوا من جنس أولئك الذين لم يتحروا الحق الذي جاء به النبي ﷺ وإنما قنعوا بما عندهم.

في وقت إمام الدعوة رحمه الله لما قام بالدعوة -يعني سبب ذكر هذه المسألة- واجهه هؤلاء، واجهه فقهاء الشافعية مثلًا رحمهم الله تعالى بأن قالوا: إن متأخري

الشافعية قالوا كذا وكذا -مثلًا من جواز بعض المسائل التي كان ينهى عنها وفي التسمح في بعض البدع التي كان ينهى عنها ونحو ذلك- بعض المسائل يقول: هو إنها حرام يقولون نص علماؤنا على الكراهة ونحو ذلك، فعارضه كل ذي مذهب بما عليه مذهب أصحابه فكان رحمه الله تعالى يناقش كلًّا بأمرين:

الأول: أنه يذكر ما عليه طائفته -كما سيأتي- إن من كلام الشافعية مثلًا، من كلام الحنفية، من كلام المالكية، ما هو فيه بيان الحق للمسألة، لكنهم لا يعلمون بما كانت عليه طائفتهم، لا يعلمون بما يقوله أهل مذهبهم.

الثاني: أن يبين أن المقصود من كلام العلماء إنما هو إفهام الأدلة، فإذا عارض كلام بعض أهل العلم الأدلة فإنه لا يسوغ أن نأخذ بكلامهم ونترك الأدلة الواضحة.

ولهذا ذكر الشيخ في المسألة التي بعدها قال: (التاسعة والعشرون أنهم مع ذلك -يعني: أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما كان عليه طائفتهم- لا يعلمون بما تقوله الطائفة)، هذا الذي حصل فرد عليه طوائف من العلماء وهم لا يعلمون ما عليه أقوال أهل مذهبهم، ولهذا اعتنى علماء الدعوة رحمهم الله تعالى في كتبهم بنقل مذاهب العلماء في مسائل التوحيد، بنقل كلام أهل العلم في مسائل التوحيد؛ لأن المتأخرين مثلًا من الفقهاء الأئمة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو نحوهم كانوا يقبلون كلام علماء عصرهم، علماء المتأخرين منهم، لكن العلماء الأولون من أهل المذهب، لما لا يقبلون كلامهم؟ فكان أئمة الدعوة رحمهم الله والمشايخ ينقلون لهم كلام المتقدمين مثل كلام ابن حجر الهيثمي، ومثل كلام ابن حجر العسقلاني، ومثل كلام النووي، ومثل كلام الذهبي، وهؤلاء كلهم شافعية، مثلًا ينقلون كلام الإمام مالك في المدونة، وكلام أصحابه مثل الطرطوشي ونحوهم، والقرطبي وأمثالهم في بعض مسائل التوحيد ليبين أن مذهب المالكية هو كذا، ولهذا تجد أن كتب علماء هذه الدعوة مشحونة بالنقل عن كتب أولئك، لِمَ؟ لبيان أن أولئك قالوا بمثل ما قاله الشيخ رحمه الله لكن هؤلاء لم يطالعوا أو خفي عليهم، وإنما عقلوا وقبلوا ما عليه متأخروهم،

وهذا من المسائل المهمة التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها؛ لأنه قد يأتي بعضهم وينقل نقولًا عن بعض أئمة أهل المذهب، مثلا يأتي بعضهم يضاد مسائل العقيدة الصحيحة والتوحيد والنهي عن البدع بكلام بعض الشافعية، بكلام بعض المالكية، بكلام بعض الحنفية، بكلام بعض الحنابلة، طالب العلم أول ما يسمع بهذا الاحتجاج يذهب ويبحث في كتب القوم في كتب الحنابلة، في كتب الشافعية، في كتب المالكية إلى آخره، المتقدمة، حتى يثبت لهذا الذي احتج بكلام أهل طائفته أن من أهل طائفته من لم يقل بهذا القول وإذا كان أهل الطائفة المخصوصة هذه قد وقعوا في الاختلاف فإذن الحجة فيمن؟ الحجة في كلام السلف، هذا برهان ضروري يُحتج به أينما ذهبت كن منه على ذكر وبينة.

إذا نقل لك ناقل مثل ما صنف مثلًا محمد علوي المالكي في كتابه الأخير الذي سماه «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد» نقل نقولًا عن بعض أهل العلم في تجويز بعض الأشياء التي هي من قبيل البدع، إذا بحث الباحث وجد أنه كتم نقولًا كثيرة في النهي عن هذه الأمور فهو نقل عن بعض أهل العلم في تحسين هذه البدع، وكتم نقولًا كثيرة، فيها بيان الصواب والحق في هذه المسألة، الشافعية نقل عنهم عندهم قول ثان بيَّنه محققوهم، بيَّنه كبار علمائهم، الحنابلة كذلك، المالكية كذلك، الحنفية كذلك.

فإذن إذا أورد عليك مورد وقال: أنا لا أقبل إلا بكلام أهل مذهبي، فقل أولًا قبولٌ بهذا الكلام وستجد من كلام أئمة أهل مذهبه المعين ما يرد به عليهم؛ لأن الحق واضح، وكل مذهب وكل أتباع إمام عندهم من أهل العلم كثير ممن يقولون في المسائل بما تدل عليه الدلائل من الكتاب والسنة وكلام الأئمة أئمة السلف هذا أولًا.

الثاني: تناقشه هل الواجب أن لا تقبل إلا ما قالته طائفتك، أم الواجب أن تبحث فيما دل عليه الكتاب والسنة، الجواب: الواجب أن نبحث فيما تُعبِّدْنَا به وهو الكتاب والسنة، ونفهم الكتاب والسنة بإفهام العلماء لنا؛ لأن العلماء إنما هم واسطة لفهم الكتاب والسنة؛ لأنهم تخصصوا وبذلوا أعمارهم وليلهم ونهارهم وجهدهم في فهم الأدلة من الكتاب والسنة، فوظيفة أهل العلم ليست استقلالية، إنما هي تبعية بإفهام

الأدلة من الكتاب والسنة، وهذا الذي فعله الشيخ رحمه الله تعالى مع مخالفيه وأثمر ثمرات يانعة.

إذن هذه المسألة التاسعة والعشرون هي أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله عليه بقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١)﴾ [البقرة: ٩١]. متصلة بما قبلها لأن اليهود كانوا يحتجون بشيء وهم لا يعلمون بما عندهم.

كذلك من ورثهم في هذه الأمة وشابههم يحتجون بما عليه الطائفة وهم يجهلون أن من أهل مذهبهم من بخلاف تلك الأقوال.

المسألة الأخيرة التي نختم بها الكلام هي المسألة العجيبة.

(الثلاثون): قال الشيخ رحمه الله (وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين).

الجماعة جماعة أي رسولٍ كانت واحدة، ثم يبدأ التفرق بعد ذلك، أمر الله جل وعلا كل أتباع رسول بأن يجتمعوا على رسولهم، أما في اليهود فظاهر والنصارى فظاهر كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)﴾ [البينة:٤]، قال جل وعلا في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال جل وعلا: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة:٢١٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران:١٠٥]، وغير ذلك من الآيات، والله جل وعلا أمر العباد بالاجتماع، والاجتماع يكون على أساس العلم فكل من أخذ بالعلم الذي ورِثه من الرسول الذي أرسل إليه فإنه يهديه ذلك العلم إلى الاجتماع وترك الاختلاف والتفرق.

هذه المسألة مهمة للغاية؛ لأن الجماعة والاجتماع دائمًا ترحم به الأمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إنّ نتيجة الجماعة والاجتماع هو رضا الله جل وعلا ونصره وتأييده ومغفرته وتوفيقه للمجتمعين، ونتيجة الفرقة والاختلاف غضب الله ومقته وضرب قلوب بعضهم ببعض ولعنته وسخطه، هذا نتيجة الجماعة ونتيجة الفرقة.

كل رسول كانت جماعته الأولى مجتمعة ثم بدأ التفرق وهذا ظاهر في الأمم من قبل، قال جل وعلا في بيان حال الأمم السابقة: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)﴾ [المؤمنون: ٥٣]، لم؟ لأنهم تركوا الاجتماع الذي أمروا به وأخذوا بالتفرق والاختلاف، ما سبب ذلك التفرق والاختلاف الذي حدث بعد الجماعة الأولى؟ هو ما أخبر الله جل وعلا به قال: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال جل وعلا في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله وغيره إن سبب الفرقة اثنان:

الأول: هو ترك العلم وترك حظ مما أمر العباد به.

الثاني: هو البغي.

إذا تركت طائفة العلم الذي أمرت به ونسيت، يعني تركت حظًّا مما ذكرت به حصل التفرق والبعد عن الجماعة الأولى.

الثاني: أن يكون هناك بغي وعدوان من طائفة من هذه الطائفة المفترقة المخالفة عن الجماعة الأولى المجتمعة على الحق والهدى.

بعد ذلك إذا حصل هذان الأمران وهذان السببان وهو ترك العلم ونسيان حظ مما ذُكِّر به العباد، والثاني هو البغي بين العباد يحصل التفرق والاختلاف، وإذا حصل التفرق والاختلاف كان كما أخبر الله جل وعلا بقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ نتيجة التفرق والاختلاف العداوة والبغضاء، وهذا كما قال الشيخ رحمه الله: وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى

الله عنه من الافتراق، صار كل حزب بما لديهم فرحين.

فإذن فَرَحُ كُلِّ حزب بما لديه نعمة أو عذاب؟ هو عذاب؛ لأنهم لم يجعلهم الله جل وعلا فرحين بما هم عليه إلا لما خالفوا وصية الله جل وعلا بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق.

فهذه عقوبة، إذا وجدت الفرق والطوائف كل فرقة فرحة بما عندها - ممن خالفوا وتركوا الجماعة الأولى - تعلم أن هذا من العذاب الذي عذبوا به؛ لأنهم تركوا وصية الله بالاجتماع وأخذوا بالتفرق والاختلاف.

هذا حاصل في هذه الأمة من أول ما ظهرت الخوارج وهم لما خالفوا وصية الله بالاجتماع، وأخذوا بالتفرق والاختلاف ونسوا حظًّا مما ذكروا به وتركوا العلم الذي أنزل عليهم، صاروا فرحين بما عندهم حتى إن الخارجي يكون أشجع الناس؛ يعني أشجع الناس في وقته وأقواهم مدافعة عما هو عليه من الباطل، لِمَ؟ لأنه فَرِحٌ به أشد الفرح، خالفوا الصحابة وقاتلوا الصحابة، وذلك لأنهم فرحون بما هم عليه وأصل ضلالهم كما هو معلوم مسألة تحكيم القرآن يعني الأخذ بظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] فكفروا الصحابة وتركوا العلم الذي كان عند الصحابة واعتزوا بآرائهم فصاروا فرحين بما عندهم.

كذلك المرجئة أول ما ظهرت كان لها رأي ثم بعد ذلك صارت فَرِحَة بما عندها؛ لأنها تركت ما أمر الله به من الاجتماع، وأخذت بالقول الذي ليس عليه الجماعة الأولى.

ولهذا من أراد النجاة فإنما السبيل هو الأخذ بوصية الله بالاجتماع، وهذه ذكرها الشيخ رحمه الله في أول الكلام في المسألة الثانية والثالثة، وهنا يريد أن من عقوبة الافتراق أن يكون المرء فرحًا بما هو عليه من الباطل، هذا من عقوبة الافتراق، فأول ما يخالف يكون عنده تردد ويكون عنده نوع من عدم الثبات على ما هو عليه، حتى يستمرئ المخالفة ويستمرئ التفرق، فيعاقبه الله جل وعلا بفرحه بما عليه حتى يكون

من أهل التفرق والاختلاف والعياذ بالله.

على العموم هذه المسألة كما ذكر الشيخ رحمه الله أنها من عجائب آيات الله؛ لأنها عقوبة لا يشعر بها إلا المتيقظون.

أسأل الله جل وعلا أن يبصرني بالحق والهدى، وأن يعيذنا من مضلات الفتن، وأن يعيذنا من الردى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد[(١)].

---

(١) الأسئلة

١- هذان سؤالان متشابهان يسأل عن الكتب الفكرية الموجودة حاليًا في الأسواق التي أُلفت في العصر الحديث ككتب مالك بن نبي وغيره من المفكرين هل هي من جملة الكتب الباطلة؟

الجواب: أن هذه الكتب الفكرية منها ما فيه حقٌّ ومنها ما خلط حقًّا بباطل فإن كون الكتاب فكريًّا بحتًا لا يدل على أنه باطل، فإن البطلان إنما هو مخالفة الدلائل من الكتاب والسنة لكن إذا كان يشتمل على باطل وينسب هذا إلى الإسلام فإنه يكون من تصنيف الكتب الباطلة فهذه الكتب الفكرية منها ما هو خلط قولًا صوابًا وآخر باطلًا، ومنها ما هو حق، ومنها ما هو باطل كله فالحكم عليها مختلف.

٢- يقول: صنف بعض الدعاة كتبًا وقالوا أقوالًا لم يُسبَقوا إليها هل هذا من تصنيف الكتب الباطلة؟

الجواب: لا ليس كذلك من كَتب كتابًا وصنف وأخطأ في مسألة في ذلك أو يكون له فيها اجتهاد أو نحو ذلك، فهذا لا يعد من تصنيف الكتب الباطلة، وإنما يقال أخطأ في ذلك لكن إذا كان الكتاب كله مشتملًا على البدع والضلالات أو عمدة الكتاب على بدع وضلالات وعلى أقوال مخالفة للأدلة فهذا هو المراد من تصنيف الكتب الباطلة، أما إذا كان صنف المصنف كتابًا وأخطأ في مسألة، مسألتين، ثلاث فهذا لا يعد من تصنيف الكتب الباطلة؛ لأنه قلما كتاب إلا ويشتمل على خطأ، من الكتب المؤلفة، حاشا كلام النبي عليه الصلاة والسلام، وما كان من تفاسير السلف الصالح، بعد ذلك كلها لا بد أن يقع فيها، كما قال الإمام مالك: ما منا إلا رادٌّ ومردود عليه، هذا شأن أهل العلم لا بد أن يكون عند كل واحد منهم غلط وهذا الغلط منه والخطأ إذا بين له العالم يفرح، طالب العلم يفرح أن يقال له: أخطأت في عشر وفي عشرين وفي ثلاثين؛ لأنه مراده الوصول إلى الحق، وإلى الهدى إذا كان مراده الوصول إلى الحق فكونه ينبه على أخطائه هذه نعمة أما أن يكون كل ما يقول أنت مصيب فيه ولو كان مخطئًا فهذا نقمة في حقه الواجب أن يكون العبد يعرف أن أهل العلم منهم من يخطأ ويكون خطؤه أكثر من صوابه، ومنهم من يكون صوابه أكثرمن خطئه، إذا كان خطؤه أكثر من صوابه هذا ينبغي له أن يسكت ولا يتكلم أما إذا كان صوابه أكثر من خطأه، فكما قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى في أول القواعد يقول: فالمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه .

هذا إذا كان في المسائل الاجتهادية أما إذا كان في المسائل العقدية الأصلية ونحو ذلك هذه لا يقبل فيها الخطأ يعني: لا يعذر فيها بذلك. =

= ٣- يقول ما حكم من سب الصحابة رضوان الله عليهم وأخص في ذلك الرافضة بسبهم لأبي بكر وعمر ... إلى آخره؟

الجواب: سب الصحابة فيه تفصيل إذا سب الصحابة جميعًا له أحوال الحال الأولى: أن يسب الصحابة جميعًا، فهذا كفر لأن الله جل وعلا أثنى عليهم فمن سبهم جميعًا يكون مكذبًا لثناء الله جل وعلا عليهم هذا كفر بالإجماع إجماع أهل السنة. الثاني: أن يسب أكثرهم وهذا فيه تفصيل إما أن يكون السب الذي سبه من جهة اعتقاد هذا لا يُكَفَّر به، وإنما يكون بدعة، وإما أن يكون سبه غيظًا، فهذا كفر. يعني: اعتقاد مثل ما اعتقد الخوارج في بعض الصحابة، أن يكون اعتقادًا اعتقده ليس حقدًا وغيظًا عليهم أنهم هم الذين حملوا الإسلام، أنهم هم الذين حملوا القرآن، أنهم هم الذين نشروا، إذا كان اعتقادًا يعتقده لأمر ما يقول أنا أسبهم لأمر كذا وكذا... لأنهم فرطوا في أمر الإسلام لأنهم فعلوا وفعلوا فهذا إذا كان السب لأكثرهم، أو نقول لكثير منهم، فإنه إذا كان على جهة الاعتقاد فإنه يكون بدعة وخيمة ومعصية كبيرة، ولا تصل إلى حد الكفر، أما الثاني وهو سب الغيظ فهو كفر كما قال جل وعلا: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فمن سب ولو صحابيًا واحدًا من جهة التغيظ عليه حنق وغيظ عليه أن حمل هذا الدين ونشره أو نحو ذلك من أنواع الغيظ والحنق فالآية دلت كما استدل بها الإمام مالك رحمه الله تعالى على كفر من سب تغيظًا. الحالة الثالث: هي أن يسب الصحابي لوصف خِلْقِي فهذا معصية، كبيرة من الكبائر مثل يقول فلان الصحابي هذا ما يشبع، هذا أكال للأموال، هذا فيه كذا، هذا كبيرة من الكبائر ولا يصل إلى حد الكفر مثل ما وقع بعضهم في معاوية، ووقع بعضهم بأنه كان فيه كذا وكذا مما يقولون، وبعضهم في حسان بن ثابت، وصف ببعض الصفات الخلقية التي فيه فمن وصفه بذلك فهو من جملة المشاركين للمبتدعة وسبه على هذا النحو معصية وكبيرة من الكبائرة، وهكذا الحكم في سب أمهات المؤمنين، هكذا الحكم، إلا أن يكون سبهم في عفافهن فمن سب أمًّا من أمهات المؤمنين في عفافها فهو كافر بالله جل وعلا، قذف عائشة، قذف حفصة، قذف غيرهما من أمهات المؤمنين، فهذا كفر لأن الله جل وعلا قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ شرط الإيمان في هذا فمن قذف واحدة من أمهات المؤمنين في عفافها فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل أما إذا سبها سب من جهة أخرى ليس من جهة العفاف هن مثل الصحابة في الأحكام.

[كلام من السائل غير مفهوم]

هذا السب تغيظ سب غيظ، فنقول من سب ولو صحابيًا واحدًا غيظًا فهو كافر.

[كلام من السائل غير مفهوم]

الغيظ أمر قلبي لهذا النبي عليه الصلاة والسلام ترك هؤلاء لأنهم منافقون أمرهم خفي، الله جل وعلا أخبر عنهم بذلك لأن سبهم لهم من جنس التغيظ.

[كلام من السائل غير مفهوم] =

= تنكر عليه، هذا منكر، منكر عظيم، كفر، إذا كنت تعرفه باسمه، وبعمله، ونحو ذلك بلغ الجهات المسؤولة عنه، تبلغ الهيئة، تبلغ الإمارة، أو نحو ذلك، ما يجوز لك السكوت لا بد أن تنكر عليه بحسب استطاعتك استطعت باليد فذاك، وإن لم تستطع فباللسان، وإن لم تستطع فبالقلب، لكن إن تكن تخشى من الإنكار باليد إنه يترتب على ذلك مفسدة أكبرنحو تجمع الطائفة عليك أو نحو ذلك، أو مكيدتهم لأهل السنة، هنا تنتقل إلى اللسان، ثم تبلغ من ينكر باليد.

٤- كتب الصابوني هل تحرق، وكذلك المصاحف المتقطعة ماذا يفعل بها؟

الجواب: أما الصابوني فيه كلام للشيخ عبد العزيز بن باز فيها، وأما المصاحف المتقطعة فإنها لا بد من العناية بها في كثير من المساجد الحقيقة حتى من الشباب يأتي ويرى مصاحف متقطعة وأوراقًا وما تأخذه يعني الحمية لكتاب الله أن يعتني بذلك، الأوراق المتقطعة من المصحف أو المصاحف التي لا يستفاد منها لكون أوراقها أصبحت قديمة أو نحو ذلك فهذا يجب أن تدفن في مكان طاهر، إن كان في المسجد فيه جزء رمل أو نحو ذلك، فيدفن فيه فذلك أكمل لأنها بقعة طاهرة لا تأتيها النجاسات، فإن لم يتيسر تحرق، أو تدفن في مكان بعيد طاهر، أما أن ندخل المساجد ونرى فيها هذه المصاحف على ذلك النحو ولا نأخذها ولا تأخذنا الحمية، لكتاب الله لذلك فإن هذا من الأمور التي يفرط فيها الكثيرون والواجب علينا التناصح في هذا الأمر وربنا جل وعلا يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾، ويقول جل وعلا: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾. والقرآن من حرمات الله ومن شعائر الله فتعظيمه بما يليق به واجب فرض.

٥- قال هل مما ينهى عن قراءته من التفاسير تفسير سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن نرجو منكم التفصيل عن هذا الكتاب ولكم من الله جزيل الأجر؟

الجواب: أما تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب فهو من التفاسير التي اشتملت على مواضع كثيرة فيها بيان لبعض الآيات بيان حسن فيها أسلوب أدبي فيه شيء من التلميح مما يُفهم المرء دلالة الآيات عمومًا وصلتها بالواقع، وهذا مما يدركه القارئ له من أول ما يقرأ ولهذا اعتنى بها كثيرون في هذا العصر من هذه الجهة حيث إنه في بعض الآيات يعبر عن التفسير بتعبيرات صحيحة، وبعبارة أدبية مناسبة، وأيضًا اشتمل كتابه على كثير من البدع والضلالات، فكتاب سيد قطب «في ظلال القرآن» ما فيه من التحريفات أكثر من كتب الصابوني ومن أمثلة ذلك أنه يؤول الاستواء ومن أمثلته أنه يشعر في سورة الإخلاص بأن عنده ميلًا إلى بعض مذاهب المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، أو نحو ذلك يعني: يفهم منه لا نقول إنه ظاهر بين لكن يفهم منه، ومن ضمن ذلك أنه يقول إن بحث زيادة الإيمان ونقصانه أنه من البحوث الكلامية التي لا ندخل فيها قالها في سورة الأنفال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ في الحاشية، من أمثلة ذلك أنه يفسر الرب بالإله والإله بالرب أي: أن توحيد الربوبية عنده هو توحيد وتوحيد الألوهية هو توحيد الربوبية عكس في فهم هذا فالرب عنده هو المستحق =

= للعبادة والإله عنده هو الخالق الرازق وهذا لا شك أنه يتبعه أشياء من مسائل الاعتقاد ينحرف بها من يلتزمها عن جادة أقوال السلف، من ضمن ذلك أنه في مسائل طاعة المشركين لا يفهم تفصيل أهل العلم فيها، فيفهم من ظاهر كلامه ما يكون موافقًا فيه لبعض الغلاة، في مسائل الطاعة طاعة المشركين، أو طاعة الأحبار والرهبان، من أمثلة ذلك ما ذكره في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ فذكر فيها أشياء منها مما أدخله فيها كما أذكر: مسألة لبس المرأة الأزياء والموديلات التي تصدرها شركات الأزياء في باريس على حد تعبيره فيقول: أولئك الذين يشرعون للنساء عامة ألبسة تلبس في الصباح كذا وفي المساء كذا وفي السهرة كذا وفي العمل كذا إلخ يقول سيد قطب: إن هذه الفئة يعني مصممي الأزياء إنهم آلهة، لأنهم أحلوا الحرام فأطيعوا وحرموا الحلال فأطيعوا، فيقول المرأة المسلمة التي تطيعهم في ذلك قد اتخذتهم آلهة لأنها أطاعتهم في تحليل الحرام، وفي تحريم الحلال، وهذا لا شك أنه كلام باطل؛ لأن المرأة إذا لبست الملابس المحرمة التي جاءت من عند أولئك المصممين لا يعني أنها اعتقدت أنها حلال فمسألة التكفير في اعتقادي أن هذا الذي حرمه الله جل وعلا حلال، أما إذا أطاعوهم مع عدم اعتقاد أن هذا حلال، مثلًا امرأة تلبس ملابس أبرزت صدرها ورجليها عند الرجال الأجانب متابعة للمصممين هذا إذا كانت تعتقد أن هذا الفعل حرام ونحو ذلك، وغلبت عليه ضعف إيمانها ليس بهذا بكفر، ولم تؤله أولئك، فهو في هذا المسألة جعل الطاعة مكفرة وقد أخذ بقوله بعض الجماعات التي غلت في مسألة الحكم بما أنزل الله وفي مسالة الطاعة طاعة المشرعين المصممين المنظمين إلخ، أيضًا من المسائل التي اشتمل عليها كتاب «في ظلال القرآن» أنه لا يظهر فيه اعتناء بما اعتنى فيه السلف من آيات الصفات وإثبات ما أثبته أهل السنة، يعني: يشبه أن يكون فكريًّا غير مركز على مسألة معينة يعني على توجه معين هو أراد منه أن يكون كتابًا دعويًّا كما يزعم يناسب الوقت لكنه اشتمل على أشياء مما ذكرت وغيرها، أيضا من الأشياء التي تفرد بها أنه ذكر في سورة يوسف أن أولئك الذين يسألون عن أحكام الإسلام وهم في مجتمع جاهلي هؤلاء يقدحون في الإسلام، والذين يجيبونهم من العلماء هؤلاء يشاركونهم في القدح، هذا معنى كلامه لما قال: لأن أحكام الإسلام والفقه الإسلامي ما أتى إلا لينزل على واقع مسلم، أما هذه المجتمعات الجاهلية على حد تعبيره فإنها لا تقبل أحكام الله حتى يجتهد لها العالم في بيان الأحكام، وهذا لا شك أنه صورة من صور المخالفة للمنهج الحق في هذا؛ لأن أحكام الإسلام تبين في الدار التي فيها المسلمون ولو لم يكن فيها إلا مسلم واحد إذا سأل عن دينه بُين له، وتكلم في بيان الإسلام، وبيان أحكامه ولو كان في دار جاهلية، وتعميمه عن بلاد المسلمين دور جاهلية هذا لا شك فيه أن فيه تعدي، جميعًا على حد تعبيره، أيضًا من المسائل التي تفرد بها أنه قسم الفقه إلى قسمين في سورة يوسف أيضًا قسم الفقه إلى قسمين: القسم الأول: فقه الأوراق، والقسم الثاني فقه الواقع، فقه الواقع وفقه الحركة أيضًا، يقصد بفقه الأوراق الفقه الموجود بين أيدينا من فقه علماء الإسلام، ويقصد بفقه الواقع يعني الواقع الذي =

المتن

(الحادية والثلاثون): وهي من عجائب الله أيضًا معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا دينهم وفِئَتَهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتاهم بدين موسى عليه السلام، واتبعوا كُتُب السحر، وهي من دين آل فرعون.

(الثانية والثلاثون): كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

* * *

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا وعملًا صالحًا ودعاءً مقبولًا وقلبًا خاشعًا اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا على السنة يا أرحم الراحمين

= تعيشه الحركة وما حول الحركة ونحو ذلك يعني ما حول الجماعة العاملة، والتنظيم العامل، يقول: إن مهمتنا الآن العناية بفقه الحركة فقه الواقع، أما فقه الأوراق فهذا لم ينشأ إلا في مجتمع المدينة لأنه لا بد فيه من مجتمع يطبقه فإذا لم نوجد هذا المجتمع الذي يطبقه فإننا نحتاج إلى العناية به كما تتوجه الدراسات ونحو ذلك يعني العناية الكبيرة به فالعناية الكبرى تنصب على فقه الواقع لأنه تحتاج إليه الأمة ونحو ذلك له آراء كثيرة مخالفة إذا تأملت هذا الذي ذكر فطالب العلم الذي يحرص على العلم النافع إنما يطالع كتب السلف الصالح، يطالع الكتب التي تفيده العلم المنقى الصافي أما الكتب المشتملة على باطل، المشتملة على تحريفات، المشتملة على آراء شخصية ليس عليها أدلة ظاهرة من القرآن والسنة، لا يوافق علماء أهل السنة والجماعة عليها فإن قراءة طالب العلم خاصة المبتدئ فيها فإنها قد توقع في قلبه شبهة، والحريص على دينه لا يوقع ولا يسعى في أن يوقع نفسه وقلبه في شبهٍ. أسأل الله جل وعلا أن يبصرني وإياكم بالحق وأن يدلنا عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أما بعد:

هذا الكتاب هو كتاب مسائل الجاهلية لإمام هذه الدعوة التي انتشرت في هذه البلاد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعنوان هذه المسائل وهذا الكتاب المسائل - مسائل الجاهلية - التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ويعني بأهل الجاهلية ما يشمل الكتابيين من اليهود والنصارى والأميين يعني: الذين فشت فيهم الأمية وهي عدم القراءة والكتابة وهم مشركو العرب وقد سبق أن شرحت المسائل الثلاثون التي قبل هذه المسائل التي سمعتم في مجالس السنة الماضية ورغب أن تتم في هذه الدروس الشهرية ونقدم بمقدمة وهي أن هذه المسائل مسائل مهمة وذلك لأن النبي ﷺ خالف فيها أهل الجاهلية فكان هديه مخالفًا لهدي أهل الجاهلية كان هديه وطريقته وسنته مخالفة ومباينة لما كان عليه أهل الجاهلية وما كان عليه هو الدين الذي يجب الأخذ به وما كان عليه أهل الجاهلية هو الذي يجب أن يرد ويرفض وقد بين عليه الصلاة والسلام أن هذه الأمة تدخل فيها سنن أهل الجاهلية وتدخل فيها طرائق أهل الجاهلية وذلك في قوله فيما ثبت في الصحيحين: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: «**نعم**» وفي لفظ: قالوا: يا رسول الله فارس والروم؟، قال: «**فمن الناس إلا أولئك**» واليهود والنصارى عندهم أنواع من الجاهليات، وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في هذه المسائل، مسائل كثيرة خالف فيها رسول الله ﷺ اليهود والنصارى، وأعم منه حديث ابن عباس الذي رواه البخاري في الصحيح ورواه غيره أن النبي ﷺ قال: «**إن أبغض الرجال إلى الله ثلاثة** - وذكر منهم - **ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**» فالذي يبتغ في الإسلام سنة الجاهلية بأن يدخل في أهل الإسلام سننًا وأمورًا مما كانت عليه أهل الجاهلية مجانبًا بذلك الهدي الكامل والدين الذي ليس فيه نقص الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام فإن هذا من أبغض الرجال إلى الله، «**أبغض الرجال إلى الله ثلاثة** - وذكر منهم - **ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**» فمن أدخل في الإسلام برأيه أو بهواه أو بكيده شيئًا من سنن الجاهلية

ونشرها في المسلمين، فهو أبغض الرجال أو من أبغض الرجال عند الله عز وجل وهذا لا شك يفيد التحذير الشديد من هذا الأمر وأن على ولي الأمر أن يكون حريصًا أشد الحرص على سد باب دخول سنن الجاهلية في المسلمين سواء بعلمه أو إذا رأى من يدخل ذلك في المسلمين فإنه ينهى عن ذلك أو رأى من يعمل بتلك الأمور فإنه ينهى عن ذلك هذه المقدمة وقد وضحت في مقدمة الكتاب حينما شرحنا ذلك ولكن بيانها في هذا المقام مهم حتى يلحظ طالب العلم أهمية تلك المسائل، ويلحظ علو قدرها وسمو مكانتها المسألة الحادية والثلاثون: ذكر فيها أن أهل الجاهلية كرهوا الدين أو أنكروا الدين الذي هم أحرى به وقبلوا دين الذين يعادونهم وهم أهل الشرك والكفر ويعني بذلك أهل الكتاب ويخص منهم اليهود، ونصه يقول: المسألة الحادية والثلاثون: وهي من عجائب الله أيضًا يعني: من عجائب آيات الله التي عاقب بها أولئك الذين لم يستجيبوا لما جاء به رسولهم بل تنكبوا وأعرضوا عن بعض الحق الذي جاء به رسولهم والذي يعرض عن الحق بعد معرفته فإنه يعاقب كما قال جل وعلا: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١] ومثلها قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة: ١٤] فكانت الفرقة فيهم عقابًا على ما تركوا ونسوا بما ذكرت من أمر الله جل وعلا قال هنا: معاداتهم الدين المسألة الحادية والثلاثون معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهي من دين آل فرعون، هذه المسألة في اليهود وهي أن اليهود لما جاءهم النبي عليه الصلاة والسلام بالدين الذي جاء به موسى لأن كل الأنبياء يأتون بدين واحد وهو الإسلام، يعني: الإسلام العام تختلف الشرائع لكن الدين العام واحد وهو الإسلام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهل الشرك هذا الإسلام جاء به موسى لليهود وأخذوه وتبعوا موسى

عليه ولما جاء النبي ﷺ يدعوهم إلى ما دعاهم إليه موسى نبذوا ذلك وعادوا هذا الدين، الذي هو دين الإسلام الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الذي جاء به موسى عليه السلام، وهو الذي جاء به عيسى وهو الذي جاء به إبراهيم وهو الذي جاء به نوح كل المرسلين أتوا بهذا الدين كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران: ٨٥] لما أتاهم النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ما جاءهم به موسى من التوحيد ونبذ الشرك والإقرار لله بالوحدانية عادوا هذا الدين غاية العداوة عادوا النبي ﷺ وعادوا دين الإسلام غاية العداوة ومعلوم مكر اليهود بالنبي عليه الصلاة والسلام وتظاهرهم مع المشركين في ذلك وقد قال جل وعلا في وصف حالهم: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢] اجتمع المشركون مع اليهود في بغض وعداوة دين الإسلام وبغض المؤمنين هذا عجب إذ أنهم منتسبون إلى موسى عليه السلام ومع ذلك عادوا النبي الذي هو أخٌ لموسى جاء بمثل ما جاء به موسى ومن العجائب أيضًا أحبوا دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم.

اليهود أحبوا دين فرعون وأحبوا دين أتباع فرعون ومحبتهم لذلك هو أخذهم بالسحر، أخذهم بالسحر فإنهم في زمن النبي ﷺ كانوا يتبعون ما تتلوا الشياطين من كتب السحر ونحو ذلك، مما يخبر به الكهنة وما حرفوا من دين الله كما قال جل وعلا في وصفهم: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] والسحر هو الذي كان عند فرعون ففرعون دينه السحر وكان السحرة حوله وكان إنما يأتمر بأمرهم ويأخذ بما يقولون بل كانوا هم جنده وكانوا هم قوته فاليهود يعلمون أن فرعون وجنده إنما كانوا هم السحرة قوة فرعون ودين فرعون السحر وكذلك جند فرعون هم السحرة وقد بين جل وعلا أن جند فرعون هم السحرة وأتى هو وجنوده ليغلبوا موسى ومن معه فألقى الله جل وعلا القوة على موسى بما آتاه من المعجزة والآية والبرهان

وأضعف أولئك لأنهم كانوا على باطل، اليهود اتبعوا السحر وهو دين أعدائهم دين فرعون الذي أخرجهم من ديارهم وأضر بهم وفتنهم يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم ومع ذلك آل الزمن وآل الأمر بهم حتى أخذوا هذا الدين لما جاء النبي ﷺ يقول: من العجائب من عجائب العقوبات، ومن عجائب الانتكاسات أنهم تركوا الدين الذي جاء به نبيهم وهو دين الإسلام العام التوحيد ونبذ الشرك وإفراد الله جل وعلا بالعبادة وأخذوا بما قاله أعداءهم ودانوا بما دان به أعداءهم وهم فرعون وجند فرعون ولهذا قال الشيخ رحمه الله في تتمة الكلام قال: كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى فإنهم عادوا النبي عليه الصلاة والسلام أشد العداوة، واتبعوا كُتُب السحر، وهي من دين آل فرعون.

وهذا ظاهر هذه المسألة مبينة في الكتاب وفي السنة وفي السيرة بما فعل اليهود وبما آل إليه الأمر وهذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية من الكتابيين دخلت في هذه الأمة بعد حين بعد قرون فمن العجب أن هذه الأمة مع أن أهلها، ومع أن أفراد هذه الأمة، ومع أن المنتسبين إلى العلم من هذه الأمة يعلمون أن النبي ﷺ خالف المشركين وخالف اليهود وخالف النصارى وخالف الأديان التي كانت في زمنه من دين اليونان وهو:الفلسفة والوثنية،وخالف دين أهل المشرق،وأنواع الفلسفات التي في شرق الأرض،وكذلك أنواع الفلسفة التي في الغرب،وكل هذه مبنية على تحكيم العقول وعدم الاستسلام للوحي، علماء هذه الأمة يعلمون هذا، ولكن دخل في هذه الأمة مثل ما دخل على اليهود بل ائتسوا باليهود في هذه الخصلة الجاهلية وهي أنهم أخذوا الدين الذي كان نبيهم وهو محمد ﷺ يخالف أهله ويضلل أهله فصار في هذه الأمة أجناس من الأديان التي خالفها النبي ﷺ،فإذا نظرت إلى أصل الأصول وهو التوحيد توحيد العبادة توحيد الألوهية،وجدت أن النبي ﷺ أتى بالدعوة إلى أن يوحد الله جل وعلا في أنواع العبادة،في ألا يدعى إلا الله جل وعلا دعاء المسألة، في ألا يعبد بأي نوع من أنواع العبادة إلا الله جل وعلا، النبي ﷺ أتى المشركين وهم متفرقون في دينهم يعبدون آلهة مختلفة أتاهم بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا

الله جل وعلا فبين لهم التوحيد توحيد الإلهية وبين لهم أن من خالف ذلك وسلك غير سبيل توحيد الله جل وعلا في العبادة أنه مشرك في هذه الأمة قالوا: إن هذا التوحيد لا يلزم، وإنما الذي يلزم هو توحيد الله جل وعلا بأفعاله يعني:توحيد الربوبية فقالوا: إن العبد يصل إلى الإيمان إذا نظر في الملكوت أو قصد النظر فإذا نظر واستدل بهذا الملكوت على أن الله جل وعلا هو المخترع لهذا الكون وهو المبدع له،وهو الخالق له فثبت له الإيمان، ومن قال بما سبق وهو أن الاستيلاء إنما حصل في توحيد الإلهية فقد عاداه أولئك أشد المعاداة فما أشبه تلك الليلة بما قبلها من الليالي من جنس ما حصل من اليهود فالفلاسفة وعلماء الكلام نبذوا ما جاء به النبي ﷺ من توحيد الإلهية وقالوا: إن التوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية وأن فعل المكلف إذا بلغ يدخل في الإسلام بأن يقصد إلى النظر أو ينظر في ملكوت السموات والأرض فيستدل بذلك على الوحدانية يصير موحدًا شاهدًا أن لا إله إلا الله ومن قال بخلاف هذا القول رموه وعادوه واعتبروه مخالفًا لذلك كذلك في علم توحيد الأسماء والصفات جعلوا الدين الحق الذي التزموه هو دين المشركين، الذين ينكرون أسماء الله جل وعلا المشركون الذين عادوا نبيهم فمشركو الجاهلية كانوا يلحدون في أسماء الله كما قال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ بأن يسموا الله جل وعلا بغير اسمه، أو بأن يحرفوا هذه الأسماء ويعدلون بها عن الحق إلى غيره سلكوا هذا المسلك فنفوا الصفات ونفوا أسماء الله جل وعلا أعني بعض الأسماء وذلك منهم مشابهة لأولئك الذين عادوا نبيهم فالمشركون عادوا النبي ﷺ الذي أتى بتوحيد الأسماء والصفات، الذي أتى ببيان بما يستحق الله جل وعلا من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأتى الفلاسفة وأهل الكلام في هذه الأمة وأخذوا بالإلحاد في أسماء الله، وبتحريف أسماء الله جل وعلا وصفاته، وبتحريف الكلم عن مواضعه، وهو فعل المشركين الذين عادوا نبيهم ﷺ فانظر كيف أنهم عادوا الدين الذي جاء به نبيهم ﷺ، وأحبوا دين أهل الجاهلية، دين المشركين وهو الإلحاد في أسماء الله جل وعلا، وتحريف الكلم عن مواضعه،

دين من عادوا نبيهم، وهذا من جنس فعل وما حصل لليهود كذلك إذا نظرت إلى أهل التعبد في هذه الأمة، التعبد بالرأي من المتصوفة وأشباههم وجدت أنهم أخذوا بأصل الإشراك الذي كان عند فلاسفة الإسكندرية كما هو معلوم، أفلوطين ومن تبعه فهؤلاء أخذوا بإكمال النفس من جهة الفلسفة، وإكمال النفس من جهة الفلسفة بالعقل وبما يظنه السالك لهذا السبيل مصلحًا للنفس، حق أولئك سلكوا هذا السبيل، والنبي ﷺ لما أتى بهذه الرسالة العظيمة بدين الإسلام، وبهذه الشريعة كان منها السبل التي بها إصلاح النفس وهذا فيه مخالفة لما كان عليه أهل الأرض جميعًا من سبل إصلاح النفس، فأتى طائفة في هذه الأمة وهم الذين يُسمون بالمتصوفة وهم درجات فأخذوا بسبل إصلاح النفس التي كانت عند فلاسفة الإسكندرية من أهل الإفراط ونبذوا السنة التي فيها إصلاح النفس التي جاء بها النبي ﷺ بل وأعظم من ذلك وهي من عجائب آيات الله أنه جحدوا من لم يسلك هذا السبيل أنه ليس من أهل الطريقة المحمودة فمن لم يسلك سبيل التصوف عندهم أنه لم يصحح نفسه، بل لاموه وعابوه، وهذا من جنس أفعال أولئك فهم أحبوا دين المشركين من الفلاسفة الإفراطيين، وعادوا دين محمد ﷺ عادوا السنة تجد أن المتصوفة يرمون بالكلام على أهل السنة يعني: الذين يجعلون صلاح النفس بالالتزام بالزهد المشروع، بإصلاح النفس المشروع، الذي جاء في الكتاب والسنة، وكذلك طائفة أخرى في هذه الأمة دخلت عليهم هذه الخصلة الجاهلية، وهي بل وهم المقلدة الذين لا يعرفون من الدين إلا ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم وهم يعلمون أن نبيهم ﷺ قال للمشركين مبلغًا لهم قول الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [سبإ: ٣٧]، وكذلك أخبر الله جل وعلا في سورة الزخرف أن المشركين يرقبون الحق الذي جاءت به الرسل ويقولون: إن الحق هو مع آباءنا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣] وفي الآية الأخرى: ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾ إنا وجدنا آباءنا على أمة يعني: على دين وملة وإنا على آثارهم مقتدون، فهذه جاء النبي ﷺ بإبطالها وببيان أنها من الباطل الذي يجب صده، ويجب وصد أبوابه، ومع ذلك أتى في هذه

الأمة من العجائب، أن أولئك المقلدة إذا أُتوا بالحق إذا أُتوا بالسنة إذا أُتوا بمنصوص القرآن قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وقد نَظَّرَ لهم الشوكاني في كتابه فتح القدير في التفسير عند هذه الآية بكلام متين نَظَّرَ مشابهة المقلدة في هذه الأمة بالمشركين وهذا من العجب، ومن العجب الذي يزيد على ما سبق أنهم جعلوا من وافق النبي ﷺ في إنكار الاقتداء بالآباء والأجداد على غير بينة وبرهان، جعلوا ذلك باطلًا وجعلوا ما عليه هو الحق، والذي اعتقدوه وهو أن يتابعوا الآباء والأجداد دون بينة ولا برهان، هو دين المشركين الذين عادوا نبيهم ﷺ فترى أن المقلدة الذين يأخذون بما عليه أسلافهم دون دليل ولا برهان، تراهم يعادون من تبع السنة، بل يشددون عليه النكير كما حصل للمقلدة مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فإنهم زعموا أنه يدعي النبوة، أو يدعي الاجتهاد حتى قال قائلهم - وهو الصاوي - : إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر والضلال والعياذ بالله، وقال: إن باب الاجتهاد أغلق وليس ثم إلا الأخذ عن العلماء السالفين وعن الآباء والأجداد دون النظر إلى ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وهذا بعينه هو مثل ما قاله أهل الجاهلية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ يعني: على دين وملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والله جل وعلا قال لهم: ﴿۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤] وفي القراءة الأخرى: ﴿قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ فمن العجب أن هؤلاء المقلدة عادوا الدين الذي جاء به النبي ﷺ وهو ألا يؤخذ دينٌ إلا ببينة وبرهان، وأحبوا دين المشركين وهو متابعة الآباء والأجداد دون بينة ولا برهان، هذا من مظاهر دخول هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية في هذه الأمة، وهكذا في أصناف شتى، وإذا نظرت إلى هذا الزمن في عصرنا هذا وجدت أيضًا العجب العجاب فإن دين الكتابيين المحرف أعني: اليهود أنهم يأخذون بالربا، قال جل وعلا في وصفهم: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ فاليهود معروفون بأنهم هم سادة أهل الربا والنبي ﷺ أتى بمعاداة أولئك وأن ما هم عليه في هذه المسألة وغيرها أن ذلك مما هو محاربة لله جل وعلا ولرسوله قال جل وعلا في المرابين: ﴿فَأْذَنُواْ

بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦] أتى في هذا الزمن أناس يجعلون الأخذ بالربا أنه أخذ الربا والتعامل به ونحو ذلك يجعلون ذلك من الأمور الجائزة كما يفتي به بعض ضلال المنتسبين إلى العلم أو يجعلون أنواع الربا مما هو ضرورة في هذا العصر وأن الأمة محتاجة إلى ذلك، ونحو ذلك، ويحبون في هذه المسألة اليهود؛ لأنهم أهل المال ويحبون المصارف والبنوك التي تنتشر في العالم التي عمادها على اقتصاد اليهود، وعلى ما يصيره اليهود، والنبي ﷺ عادى اليهود وأبطل هذا الأمر، وأتى في هذه الأمة من يعكس ذلك فيجعل مسائل الربا من المسائل التي يجب الأخذ بها أو أنه لا اقتصاد بدونها، ولا فلاح ولا مال في الأمة إلا بها ويكرهون من يفتي أو يحرم الربا، يكرهون من ينكر الربا بأنواعه، فهم يحبون من عادى نبيهم ﷺ يعني: أهل المال الربوي وهم معادون للنبي ﷺ ويكرهون الذي يقول بما جاء به النبي ﷺ معاداة لأهل الربا، وكذلك في أمور كثيرة إذا نظرت مثل أمور النساء، وأمور الفساد بأنواعه، فكل من أحب خصلة من خصال أهل الجاهلية من اليهود والنصارى وكره شيئًا مما جاء به النبي ﷺ في هذه المسائل فهو مشابه لأهل الجاهلية أعني: اليهود الذين أخذوا بالسحر وهو دين آل فرعون الذين هم آباؤهم وكرهوا الإسلام مع أنه دين نبيهم ﷺ والمسائل التنظيرية لهذا كبيرة.

(الثانية والثلاثون): كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يَهْوَوْنَهُ؛ أي مع من لا يحبونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

اليهود والنصارى بمقابلة كل واحدة بالأخرى مع النصارى بعض حق ، ومع اليهود بعض حق، فمن الحق الذي مع النصارى الإقرار بنبوة عيسى عليه السلام، واليهود يعادون عيسى عليه السلام ولا يحبونه، فاليهود قالت: ليست النصارى على شيء، أنكرت جميع ما عليه النصارى، مع أن النصارى معهم بعض حقٍّ ، والنصارى أيضًا أنكرت بعض الحق الذي عند اليهود، في بعض التشريعات وقالت النصارى:

ليست اليهود على شيء ما السبب؟ السبب أن اليهود لا تحب النصارى، والنصارى لا تحب اليهود، فهم رفضوا بعض حق مع النصارى؛ لأنهم لا يحبونهم، وقالوا هذه الكلمة العامة التي أخبر الله جل وعلا بها عن قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: ليسوا على شيء من الخير والاهتداء أبدًا، وكذلك قال النصارى: ﴿لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي شيء من الهدى أبدا والسبب عدم المحبة عدم محبة هؤلاء لهؤلاء وهذا من جراء الكبر له أسبابه منه الكبر، والكبر بطر الحق رفض الحق ومن أسبابه الهوى في النفس، ومن أسبابه عدم محبة الحق، ومن أسبابه حب الدنيا وحب زينتها وحب زخرفها وحب الرئاسة فيها، وهذه الخصلة لا شك أنها صارت في المسلمين كل مثيل وذلك لأن مبعثها هذه الأمور، وهذه الأمور تأتي على البشر وقلَّ من يتخلص منها، فالكبر عارض يعرض على كل أحد وقد دخل في طوائف المسلمين كثيرًا، الكبر برفض الحق إذا جاء به من لا يحبه، كذلك الإعجاب بما عند الطائفة، كذلك حب الدنيا وحب زينتها والترفع فيها وزخرف الدنيا والرئاسة فيها كل هذا كان في هذه الأمة، فإذا نظرت إلى الطوائف المختلفة في هذه الأمة فتجد أن الطائفة أو أن المذهب أو أن الفئة الواحدة لا تقبل الحق الذي مع الفئة الأخرى فإذا نظرت مثلًا إلى المعتزلة مثلًا والأشاعرة، المعتزلة تضلل الأشاعرة، والأشاعرة تضلل المعتزلة مطلقًا، مع أن مع المعتزلة في بعض المسائل حقًّا، ومع أن الأشاعرة في بعض المسائل معها حق. مثال ذلك مثلًا مسألة رؤية الله جل وعلا بالأبصار يوم القيامة ينفيها المعتزلة ويقولون: إنه ليس ثم رؤية إلا إلى جهة، ولهذا ننفي الرؤية ويأتي الأشاعرة ويقولون: ممكن أن تكون الرؤية إلى غير جهة، ولذلك يثبتون رؤية إلى غير جهة، ويقولون يُرى في غير جهة وهل يرى بالأبصار عندهم؟ لا، يرى بإدراك يجعله الله جل وعلا في القلوب، قاعدة المعتزلة: أنه لا تمكن الرؤية إلا إلى جهة هذه صحيحة وهي قوية عقلية صحيحة، والأشاعرة رفضوا ذلك، الأشاعرة قالوا: ما دام أنه في القرآن إثبات الرؤية فلا بد أن تكون الرؤية بالأبصار فمعهم حق، وهؤلاء معهم حق، فهؤلاء

ضللوا هؤلاء مطلقًا، وهؤلاء ضللوا هؤلاء مطلقا، وأهل السنة وسط دائمًا بين هؤلاء وهؤلاء، ففي هذه المسألة أثبتوا رؤية بالأبصار إلى جهة، فمع المعتزلةِ بعض صواب، ومع الأشاعرة بعض صواب، والصواب من هذا وهذا وزيادة وهذا طبعًا لا يعني أن أهل السنة جمعوا هؤلاء لكن المعتزلة عندهم بعض صواب من عند أهل السنة، وعند الأشاعرة بعض صواب من عند أهل السنة لكنهم جميعًا ليسوا على الصواب، الأشاعرة تضلل المعتزلة، والمعتزلة تضلل الأشاعرة، وهكذا تجد أن الخوارج يضللون غيرهم، المرجئة تضلل الخوارج، الخوارج أخذوا بنصوص الوعيد، والمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وهؤلاء معهم بعض حق، وهؤلاء معهم بعض حق، وأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، وهكذا تجد أن التضليل دخل في الأمة في المذاهب المختلفة في الفرق على أشده مع أن هؤلاء كل فرقة معها بعض حق لم تصل إلى الحق كله بل ضلوا في بعض المسائل، تجد أنه في باب الصفات مثلًا الأشاعرة أثبتوا بعض الصفات، فهم فيما أثبتوه من الصفات السبع المشهورة هم مصيبون، لكنهم مبتدعة ضلال فيما نفوه، وهكذا فإن المتأمل يجد أن الفِرَقَ هذه تجد عند الفرقة بعض حق، فإذًا يكون تحصيل الكلام أن من خصال أهل الجاهلية أنهم ينكرون بعض الحق الذي يكون مع غيرهم إذا كان لا يحبونه، وهذا ولا شك دخل في هذه الأمة بالفعل، تجد أن المذاهب - الفقهية المتبوعة المعروفة مذاهب-، مذهب الحنفية والمالكية والشافعية والمالكية والظاهرية، ونحو ذلك، تجد أن مذهب الحنابلة مثلا عند المتعصبين ينكرون في مسائل كبيرة الحق الذي مع الشافعية، والشافعية تنكر الحق الذي مع الحنابلة ، لِمَ لأن هذه طائفة عندهم، وهذه طائفة فهم لا يهوون هذه الطائفة، لذلك لا يأخذون بما عندها من الحق، وتجد أن المحققين من أهل السنة الذين هدفهم الحق لا يتعصبون لمذهب مطلقًا، فإذا كان الحق مع الحنابلة أخذوا به، إذا كان الحق مع الشافعية أخذوا به، ولم يتعصبوا لطائفة ويذموا الطائفة الأخرى مطلقًا لذلك لا نقول: إن الحق والصواب مع الحنابلة دائمًا أو مع الشافعية

دائمًا أو مع المالكية دائمًا أو مع الظاهرية دائمًا أو مع الحنفية دائمًا، بل قد يكون مع هؤلاء وقد يكون مع هؤلاء بعض المسائل؛ لأن العمدة في الاستدلال، وهذا ولا شك كثير وتأثر الأمة بهذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية كثير وهذا سببه التعصب المذموم والحب الذي يعمي ويصم، والواجب على أهل الإيمان في هذه الأمة أن يتحروا الحق أينما وجدوه وألا يتعصبوا لطائفتهم ضد الطائفة الأخرى دون معرفة فإنه ربما مع الطائفة الأخرى حقٌّ لو تأملوه لوجدوه صوابًا ومع إحدى الطائفتين المتضادتين حق ليس مع الطائفة الأخرى وهكذا، فالواجب أن يوطِّن المرء المؤمن وخاصة طالب العلم نفسه على أن يكون سامعًا للبرهان والدليل والحق حتى يأخذ به على فهم أهل العلم الأثريين للمسائل المختلف فيها لا على ترجيح طالب العلم؛ لأن كل طالب العلم قد لا يكون وصل إلى مرتبة الاجتهاد في المسائل كذلك في المجتمعات في الأمور الاجتماعية تجد أن مثلًا في هذا المجتمع تجد أن هناك بعض الخصال يحمد أهل هذا المجتمع، المجتمع عليها وربما لم تكن ليست على وصف الشرع، وتجد أنهم يعيبون بعض المجتمعات الأخرى من المجتمعات الإسلامية في فعل ما، مع أنه ربما يكون أقرب إلى الصواب وهكذا، في المجتمعات والفئات وهذا يسبب الفرقة ويسبب التنافر ونحو ذلك، فهذه المسألة مهمة وهي أن من خصال أهل الجاهلية أنهم يردون الحق ويرقبون إذا جاء به من لا يَهْوَونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ذم اليهود النصارى أبلغ ذمٍّ بقولهم: لستم على شيء، وذم اليهود النصارى أبلغ ذم بقولهم: لستم على شيء، وهذا لا شك من الاعتداء فيما بينهم وهم في الواقع ليسوا على شيء كما أخبر الله جل وعلا في آية المائدة؛ لأنهم لم يحكموا الكتاب لا لأجل هوى اليهود والنصارى قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أخبر الله جل وعلا أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا، وهذا غير اتهام اليهود للنصارى بأنهم ليسوا على شيء، والنصارى لليهود بأنهم ليسوا على شيء.

إذا تأملت من فروع هذا الواقع المعاصر في يومنا هذا، إذا تأملت الواقع باختلاف الجماعات الإسلامية والمنتسبين إلى الدعوة، وجدت أن هذه الخصلة تأثر بها طوائف كثيرة من هذه الجماعات عند من لم يوطِّن نفسه على قَبول الحق، فترى أن جماعات موسومة بأنها الجماعة الفلانية، وأخرى موسومة بأنها الجماعة الفلانية، ترى أن هذه تذم تلك مطلقًا، والثانية تذم الأولى مطلقًا، مع أنه قد يكون عند الأولى حقٌّ، بل عندها حقٌّ، وعند الثانية بعض حقٍّ، ولكن لأجل أن هذه لا تهوى هذه، وهذه لا تهوى هذه تجد أن الطعن يأتي مطلقًا، والواجب على المؤمن أن يكون موطِّنًا نفسه على قبول الحق ولا يرمي ولا يطلق لسانه ما لا يعلم صحته شرعًا، يذم بإطلاق أو يمدح بإطلاق إذا كان مع من يحب ويهوى مدح، وإذا كان مع من لا يحب ولا يهوى ذم بإطلاق وهذا لا شك من آثار تلك الخصلة نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية.

ولهذا تجد أن المحققين من علمائنا، والمدققين لا تجد أنه يذم بإطلاق أو يمدح بإطلاق، وهذه من المسائل المهمة التي يجب توطين النفس عليها وهي من فروع شرط التعصب الذي لم يؤذن به شرعًا، أما التعصب للحق الذي جاء في الكتاب والسنة وحمايته والذب عنه هذا واجب لكن إذا كان على غير ذلك فإنه مذموم.

نسأل الله جل وعلا العافية والسلامة.

المتن

(الثالثة والثلاثون) إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الشرح

تتمة للكلام السابق في المسألة الثانية والثلاثين قد يكون أيضًا جحد الحق والكفر بالحق ورد الحق بين الأفراد، وهذا ينسب أهله في مقام الجدال والمناظرات، لأنه يأتي اثنان ويتناقشان فيأتي واحد يدلي بكلامٍ فيه صواب وفيه غلط، ويأتي الآخر بكلام فيه صواب وفيه غلط، فهذا يتعصب لكلامه مع أنه يحوي صوابًا وغلطًا ويرد

على الآخر مع علم هذا المناظر أو هذا المتكلم، أن ذاك معه حقٌّ فيما قال، وهو يعلم من نفسه في قرارة نفسه أنه حق لكن لا يريد أن يسلم له كذلك الردود التي تحصل بين العلماء وبين بعض طلاب العلم في المسائل الفقهية ونحو ذلك، فإنه يأتي يتعصب لما عنده مع أنه يعلم في قرارة نفسه مع ذاك الراد، مع ذاك المعترض حق فيما قال أو بعض حق فيما قال فتجد أنه لا يوطن نفسه على قَبول ذاك وهذا باب واسع، وتفاصيله في الأفراد تكثر.

المسألة الثالثة والثلاثون: إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

لعل الشيخ - رحمه الله تعالى - يريد أن الحج حج المشاعر في الوقوف بمنى ومزدلفة وعرفة أن هذا كان من الحج الذي يعلمه أهلُ مكة يعلمون أن الحج يكون حج من مشاعر الحج الوقوف بمنى ومزدلفة وعرفة، ولكن أهل مكة من قريش كانت تسمي نفسها الحمس يعني: المتحمسين لدينهم، فأنكروا الوقوف بعرفة وجعلوا الدين أنهم يقفون في مزدلفة وصاروا بعد حين ينكرون على من يذهب إلى عرفات ثم يرجع ويسمون أنفسهم الحمس يعني المتحمسين لدينهم، ومن المعروف أن مناسك الحج التي كان عليها إبراهيم عليه السلام هي الوقوف بهذه المشاعر وهي التي كانت في العرب، وكان العرب يفعلون ذلك، وأهل الجاهلية قريش أنكروا هذا الدين، أنكروا الدين يعني: بعض الدين الذي ينتسبون إليه هم ينتسبون إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنكروا من دينه الوقوف بعرفة وقالوا: إننا الحمس المتحمسون لدينهم فلا نفيض من مزدلفة إلى عرفة بل نقف في مزدلفة، ونهوا طوائف من العرب حتى قبل كلامهم كثير من العرب فصار الوقوف بعرفة عند الأقلين، وهذه كما قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾. بعد أن ذكر بناء الكعبة وما يجب من اتباع ملة إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾. يعني أن أولئك المشركين أهل الجاهلية قد سفهوا أنفسهم وأضلوها واتبعوا السفه ولم يتبعوا الحزم والحق، وهذا يعلمون أنه من دينهم ولكنهم أنكروه وخالفوه، وهذا لا

شك أنه - أعني هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية - دخلت في هذه الأمة في كثير من الصور لا تحصى فما من طائفة من طوائف المبتدعة في هذه الأمة إلا وقد أنكروا بعض الدين الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء الذين يجعلون كما ذكرت لكم تفسير التوحيد - توحيد الإلهية - بتوحيد الربوبية أو لا يخالفون ما جاء به النبي ﷺ بل ينكرون أنه من الدين جاء الأول واجب الشهادة لله بالتوحيد وللنبي ﷺ بالرسالة خالفوا ذلك وأنكروه وجعلوا أول واجب النظر أو قصد النظر، كذلك في تفاريع أبواب الصفات، القدر، الإيمان ونحو ذلك، كل فرقة ضالة أنكرت بعض ما جاء به النبي ﷺ، المتصوفة بفرقهم كذلك، بسلوكياتهم أنكروا بعض ما جاء به النبي ﷺ فمنهم من ترك الجمعة والجماعات، وقد جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام، وأكثر ما جاء في أمور العبادات العملية الصلاة والجهاد، وهم أنكروا الجماعة وأخذوا بالعبادة على انفراد في زواياهم المعروفة، كذلك العلماء الذين أَصَّلُوا أصولًا مما في أصول الفقه أو في أصول التوحيد أَصَّلُوا أصولًا باطلة، هؤلاء أنكروا شيئًا مما جاء به النبي ﷺ شيئًا من الدين الذي ينتسبون إليه، وكل هذه الطوائف يصح أن نقول عنها بأن التفريع هو مثل التفريع في المسألة الأولى في الأصناف الخمسة أو الستة كل هذه يصح أن نقول: إن هؤلاء تركوا بعض الدين الذي جاء به نبيهم، ونقول لهم: ومن يرغب عن ملة محمد ﷺ إلا من سفه نفسه، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه خوطب بها أهل الجاهلية الذين أنكروا بعض الدين الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام، كذلك من أنكر بعض الدين الذي جاء به نبينا ﷺ فإنه قد سفه نفسه أبلغ التسفيه وأسمى المخالفة، فيقال له: ومن يرغب عن ملة محمد ﷺ إلا من سفه نفسه.

في هذا العصر بخصوصه عظمت المخالفات مع العلم، العلم بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، بالسنة كثير في هذا العصر عند المنتسبين للإيمان والعلم، ولكن تجد أن الدوافع والصوارف التي تصرفهم عن الالتزام بما جاء به النبي ﷺ كثيرة كثيرة، وهكذا إذا جئت في مجال الدعوة وجدت أنه كثير، فمثلًا في مجال الدعوة دعوة النبي ﷺ واضحة بينة قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل: «**إنك تأتي قومًا**

أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله» كما في كتاب التوحيد من صحيح البخاري أو كما في الرواية المشهورة: «**إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**» فهذا أول ما يُدعى إليه الناس بوصية النبي ﷺ هو هذا، هو التوحيد فخولف هذا وجعل أول ما يدعى إليه الناس أشياء أخرى بعضهم يجعل أول ما يدعى إليه الناس إلى الاهتمام بالشيخ الفلاني قبل أن يدعوه إلى التوحيد، إلى أن فلانًا من المشايخ كما عند الصوفية ونحوهم أنه أذكى وأنفع واتباعه أعظم من فلان أو تركوا الدعوة إلى ما جعل النبي ﷺ الدعوة إليه أول واجب إلى أمور أخرى أمور سياسية أو إلى أمور سلوكية كما عند بعض الفئات ونحو ذلك، ودعوة النبي ﷺ واضحة بأنه يُدعى أولًا إلى التوحيد، ترك بعض هذا الحق ورغب عن سنة النبي ﷺ فيه، بل أبلغ من ذلك أنه أنكر ورد بل وكفر به في بعض الأحيان، فكم من عالم قال: إن من أصول الدعوة أن يدعى إلى توحيد الله جل وعلا أولًا وأنكر ذلك عند أصحاب تلك الطوائف وقيل: لا المصالح والمفاسد يجب أن ترعى وتجميع الناس مثلًا يجب أن يرعى ونحو ذلك فالدعوة إلى التوحيد تكون متأخرة لا متقدمة، وهذه مخالفة لهدي النبي ﷺ في الدعوة وصى بها معاذًا فإذا كان معاذ قائد المؤمنين في اليمن وقائد الدعوة في اليمن فهذه دعوته في اليمن كانت ابتداء التوحيد: «**فإن هم أجابوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**» المسلمون اليوم تخلفوا عن إسلامهم الشرك فإذا وجد الشرك في بلد فأعظم ما ينهى عنه الشرك، كذلك الذين يدعون إلى الزهد مع أن النبي ﷺ في مكة ما دعا الناس إلى الزهد بل هناك أنواع من المحرمات ما حرمت إلا في المدينة بل دعاهم إلى أن تعمر القلوب بمحبة الله وتعظيمه بالتوحيد، ومع ظهور هذه الحجة وطريقة النبي ﷺ في الدعوة كفر بها من كفر وتركها من ترك، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه.

هذه بعض الصور التي حضرت في هذا المقام ونكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد[1].

---

(١) **(الأسئلة)** =

المتن

(الرابعة والثلاثون): إن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١] ثم بين الصواب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية [البقرة: ١١٢].

(الخامسة والثلاثون): التَّعَبُّدُ بكشف العورات؛ كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

(السادسة والثلاثون): التَّعَبُّدُ بتحريم الحلال كما تعبدوا بالشرك.

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد قال إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام: الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

= س: يقول من هو الصاوي الذي رد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ وما هي مقولته على الشيخ؟

الجواب: الصاوي هذا أحد المالكية في زمن الشيخ أو بعده بقليل أو قريب منه، وله كتاب حاكي وهو من الفقهاء المالكية له كتاب حاكي على الجلالين موجودة اسمه حاشية الصاوي على الجلالين له كلام سيئ في مواضع ومنها عند قوله تعالى في سورة محمد: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ تكلم في هذا الموضع عن الاجتهاد وإغلاق باب الاجتهاد ومن يأخذون بظواهر النصوص ونحو ذلك الصاوي هذا مالكي وكتابه حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.

ورد عليه الشيخ في وقته ردودًا كثيرة، أما الآن رد عليه الشيخ الشنقيطي في كتابه «أضواء البيان» عند هذه الآية طول عند هذه الآية ما يقرب من مائتي صفحة في هذا الموضع، وأيضا رد عليه الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي من علماء قطر في كتاب رد اسمه مسجوع لكن تتمته في الرد على من قال إن الأخذ بظواهر النصوص الكتاب والسنة من أصل الضلال والكفران.

نسأل الله جل وعلا العافية والسلامة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تعالى في مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ من الكتابيين والأميين قال: (المسألة الرابعة والثلاثون): إن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١] ثم بين الصواب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية [البقرة: ١١٢].

كل فرقة من الفرق التي تتعبد الله جل وعلا تدعي أنها هي التي على الحق، وأن غيرها على الباطل، وأن الجنة لها، وأن النار لغيرها، قد بين ذلك جل وعلا في قوله: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية في سورة البقرة.

وبين أن أولئك يقولون: إن النار إن مستهم فإنما ستمسهم مدة قليلة. قال جل وعلا: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠] وقال جل وعلا في آية آل عمران: ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] فهم يزعمون أنهم ناجون، وأنهم هم أهل الجنة، اليهود يزعمون أنهم أهل الجنة، والنصارى يزعمون أنهم أهل الجنة، ومن عداهم على ضلال، وهذا معنى قول الشيخ أن كل فرقةٍ تدعي أنها الناجية؛ حتى مشركو العرب يزعمون أنهم أهل القرب من الله جل وعلا، وأنهم إنما اتخذوا الآلهة للازدلاف إلى الله جل وعلا كما قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] وبين أنهم يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام، وهذه كلها دعاوٍ، وهذه كلها أمانٍ، والحق ليس بالادعاء، إنما الحق بموافقة أمر الله جل وعلا، ولهذا قال من قال من السلف: ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب. النصارى ادعوا محبتهم لله جل وعلا وأن معنى محبتهم لله أن الله جل وعلا يحبهم فقال جل وعلا في سورة آل عمران - وهي التي نزل صدرها لمناسبة مجيء وفد نصارى نجران - للنبي ﷺ قال جل وعلا في بيان حالهم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ٣١] إن كنتم تحبون الله فاتبعوني فهم يزعمون أنهم يحبون الله وبالتالي فإن الله

يحبهم، كما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وهـذه كلهـا دعـاوٍ جـاء النبـي ﷺ لإبطـال الدعاوي التي ليس عليها برهان، وأمر الله جل وعلا نبيه أن يخاطـب أولئـك أجمعـين بقوله: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾، هاتوا البرهان على أنكـم في الجنـة ، ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ يعنـي: قالـت اليهـود لـن يدخل الجنة إلا اليهود، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا النصارى. قال سبحانه: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يعني أنها أمانٍ وأمنيات ليس عليها برهان واضح وليس لهم عليها دليل ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ يعني إن كنتم صادقين في هذه المقالة فهاتوا البرهـان، والبرهـان إنمـا يكـون مـن الله جـل وعلا، لأنه هو الذي عنده الوزن القسط كمـا قـال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ وهو الذي جل وعلا جعل فرقة واحدة مـن فـرق اليهـود الإحـدى والسبعين فرقة على الحق، وكلها على الباطل، وهو الذي جعل فرقة من فرق النصارى على الحق، وكلها على الباطل، وهم الذين تمسكوا بما كان عليه موسى دون تحريف، والذين تمسكوا بما كان عليه عيسى عليه السـلام دون تحريـف، وقـال: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾، البرهان إنما يكون البرهان الموافق عليه البرهان الـذي يقـرره الله جـل وعلا، ثم بين الصواب كما قال الشيخ بين البرهان، بـين برهـان أحقيـة تلـك الفـرق بالنجاة من عدم أحقيتها بالنجاة بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعنـي: أنه لن ينجو من الفـرق أصـحاب الـدعاوي، إنمـا ينجـو مـن أسـلم ﴿بَلَىٰ﴾ يعنـي: سيدخل الجنة ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ من أسـلم وجهـه لله بالتوحيـد، إسلام الوجه لله معناه: أنه يتوجه بوجهه وذاته وقلبـه إلى الله جـل وعـلا قـصدًا وإرادة وطلبًا فهو متوجه إلى الله وحده ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ خَلُصَ قلبه ووجهـه في توجهـه من غير الله جل وعلا، وخَلُص لله وحده فهو إنما يعبد الله وحده قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني: أنه في عمله محسن مصيب قد تابع هذا الرسول كما قال الله تعـالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إذًا ليست المـسألة أيهـا اليهـود، وليـست المسألة أيها النصارى بالدعاوي أنكـم سـتدخلون الجنـة؛ بـل إنمـا الـدعوى تكـون

صحيحة إذا كان ثَمَّ برهان عليها، فهاتوا برهانكم، والبرهان أنه لن يدخل الجنة إلا من أسلم وجهه لله وهو محسن، وهذا برهان من الله جل وعلا، فهل اليهود قد أقاموا هذا البرهان؟ لا فإنهم قالوا: عزير ابن الله، وهل النصارى أقامت هذا البرهان؟ لا لم تسلم وجهها لله وإنما ألَّهت المسيح عليه السلام، وذلك كما في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فهم اتخذوا عيسى واتخذوا أمه عليهما السلام، اتخذوهما آلهة من دون الله، وهذه كلها مُنَاقِضَة لقوله في هذا البرهان: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ فتقرر أن أهل الجاهلية من خِصَالهم أنهم يتمنون أن يكونوا هم الناجين، ويدعون أنهم أهل النجاة، وأنهم أهل الخُلُوص من النار، وأنهم أهل الجنة، كما ادعاه اليهود، وكما ادعته النصارى، وكما ادعى ذلك مشركو العرب، فكل من ادعى دعوى إنما هي من الأماني من هذه الأمة ليس له عليها برهان من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ بزعمه أنه ناجٍ ومن عداه غير ناجٍ فإنه قد شابه أولئك ولهذا الخلوص من مشابهة أهل الجاهلية في ذلك ألا يدعي المرء دعوى بالنجاة إلا بعد أن يُحَكِّم هذا البرهان الذي ذكره الله في قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ يعني: بالتوحيد ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله بمتابعة النبي ﷺ فهذا برهان النجاة من أخلص قلبه وأخلص وجهه لله واتبع سنة النبي ﷺ فهذا هو الناجي ومن عداه، فإنه متوعد بغير النجاة، ولهذا قال جل وعلا في آيات تعليل الخلق الموت والحياة قال مثلًا في سورة تبارك: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [تبارك: ٢] فالناس مخلوقون للابتلاء بحسن العمل، وقد جاء تفسيره عن الفضيل بن عياض وعن غيره: أن إحسان العمل بأن يكون خالصًا صوابًا، وقال غيره: إن إحسان العمل بمتابعة السنة، وهذا كله صحيح، فإن العمل لا يقبله الله حتى يكون خالصًا، وحتى يكون وَفْقَ السنة، وأما إذا كان ليس بخَالصٍ كان مُشْرَكًا فيه إما برياء، وإما بسمعة، أو بقصد لغير الله فهذا باطل مردود على صاحبه كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»، وجاء في السنة عن النبي ﷺ قال: «**من عمل عملًا**

ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» رواه مسلم وغيره، وفي الرواية المتفق عليه: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، يعني: أن البرهان المذكور الذي هو بُرهان النجاة الذي وُعد أصحابه بالنجاة هو ما جمع فيه صاحبه الاعتقاد الصحيح والاتباع، وهذا هو في الحقيقة هو مدلول الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن مدلول شهادة أن لا إله إلا الله أن يخلص المرء بقلبه وتوجهه لله وحده دونما سواه، ومدلول الشهادة بأن محمدًا رسول الله أن يُحَكَّم رسول الله ﷺ وأن يطاع وأن لا يعبد الله بما شرع.

إذا نظرت إلى هذا التقرير وتأملت ما دخل في هذه الأمة من مشابهة أهل الجاهلية وجدت أن هذه الأمة وقد افترقت على ثلاث وسبعين فرقة أنها كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «**كلها في النار إلا واحدة**» من هي؟ قال: «**هي الجماعة**»، وقال: «**هي ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وقال في رواية ثالثة: «**هي ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، وهذا يحدد أن الفرقة الناجية يعني: الموعُودة بأنها ناجية من عذاب الله من حيث هي فرقة لا من حيث خصوص كل فرد من أفرادها فإنها هي مَنْ كان على مِثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

أما غيرهم فهم من الفرق الضالة الاثنتين وسبعين فهم متوعدون بعدم النجاة متوعدون بالنار كلها في النار إلا واحدة، فإذا صارت الدعاوي التي تقوم بين هذه الفرق إنما هي مشابهة لدعاوى اليهود والنصارى، الخوارج تقربوا إلى الله جل وعلا بقتل الصحابة، وبقتال الصحابة وهم يدعون أنهم بذلك يتقربون إلى الله، وأنهم هم الناجون، وأن الصحابة الذين قاتلوهم أنهم في النار.

وكانوا – أعني: الصحابة - كانوا يَحْقِر أحدهم عمله مع عمل الرجل من الخوارج، ومع ذلك فإنهم كاذبون في دعواهم بل أخبر النبي ﷺ أن الخوارج «**كلاب أهل النار**» مع عظم دعاويهم وتقربهم إلى الله تعالى، مثل ما حصل من اليهود، مثل ما حصل من النصارى فإنهم يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم من أهل الجنة، وأنهم ليسوا من أهل النار ومع ذلك الدعوى كاذبة، وكذلك الفرق جميعًا المرجئة ترى أنها

هي على الصواب وأن غيرها على باطل، كذلك المعتزلة ترى أنها هي الفرقة الناجية ومن عداها فإنه من أهل النار، ويحكمون على الناس بالنار يوم القيامة، وأما في الدنيا فيقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، أعني: المنتسبين إلى القبلة عندهم، وكل فرقة تدعي أنها الناجية، فهل العبرة بهذه الدعوى أم العبرة بالاقتداء؟ هذه مسألة عظيمة لاشك لأن كل متعبد لله من جميع الفرق والفئات والطوائف كُلٌّ يريد وصلًا بالله جل وعلا، كُلٌّ يريد وصلًا بالجنة، كُلٌّ يريد أن يكون من أهل الجنة لكن هل ادعاؤهم ذلك على صواب أم على خطأ؟ لا بد من برهان، والله عز وجل أقام البرهان في كتابه بقوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني: من كان من أهل التوحيد وأهل الاقتداء، وهذه قاعدة عظيمة تريح قلب المؤمن في خضم الخلافات والإشكالات بين الفرق وبين الطوائف، هو في نفسه إذا علم طريقه وأنه تحرى ما كان عليه النبي ﷺ وأخلص في قصده وترك المتشابهات التي ربما يكون مع الوقوع فيها الوقوع في الحرام فإنه بذلك يطمئن على دينه، والله جل وعلا بين أن الفرقة الناجية هم الجماعة وهم من كان على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا شك أن هذه مسألة عظيمة جدًّا، إذا نظرت كل الفئات التي قامت الصوفية يدعون أنهم أقرب إلى الله جل وعلا، أو أنهم هم أهل محبة الله وهل هم مصيبون في دعواهم؟ لا؛ لأن تحكيم السنة عليهم يدل على أنهم يبتدعون في دين الله، إذا نظرت أهل الكلام ونحوهم فإنهم يدعون أنهم منزَّهون لله وأنهم بهذا التنزيه لله بنفي الصفات أنهم يتقربون بذلك إلى الله وينزهون الله عما لا يليق به، وهم كاذبون في دعواهم ولو ادعوا ذلك فليست المسألة بالدعوى بل هي بالبرهان، والبرهان التوحيد والاتباع وخذ هذا في جميع ما ظهر في هذه الأمة من الفرق والفئات فكما قال شيخنا: إن كل فرقة من فرق أهل الجاهلية تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ وبين الصواب بقوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فيا له من بيان ما أوضحه!! ويا لها من مسألة ما أعظمها!! ويا لها من قضية ذات خطر وذات شأن عظيم، فطوبى لمن أخذ بها بحزم وجدٍّ فإن المسألة

عظيمة، المسألة ليست بالأهواء والأقوال، إنما هي بالاتباع ولو خالف المرء من خالف لكن المسألة هي بمسألة الاتباع، الدين الواضح البين الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، من الذي يوصل إلى هذا البرهان هم أهل العلم الحق؛ لأنهم هم الذين يعرفون هذا البرهان والدليل وكيف يحكمونه، ولهذا نقول: إن الشيخ رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة: قد بين هذا بيانًا واضحًا وإذا تأملت وجدت أن البلوى بهذا عامة فكل أحد يدَّعي أنه مصيب وأن غيره مخطئ، أنه ناجٍ وغيره ليس بناج بل هو كذا وكذا، وهذه كلها دعاو و البرهان هو الحكم، والله المستعان.

(الخامسة والثلاثون): التَّعَبُّدُ بكشف العورات؛ كقوله: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾.

اليهود والنصارى لا أعلم أنهم كانوا يتعبدون بكشف العورات، وإنما الذي كان يتعبد بكشف العورات هم مشركو العرب من أهل مكة فكانوا يجبرون العرب الذين يحجون ألا يدخلوا الحرم بثيابهم التي لبسوها في الحل، فيخلعون ثيابهم التي لبسوها في الحل عند أول الحرم ويعطيهم أهل مكة ثياب خاصة بالحرم، فربما ضاقت الثياب، يعني: عجزت ولم تكف عدد الذين يقدمون من الحل، فبقي بعض العرب، بعض القادمين إلى مكة إما بحجاج أو غير ذلك بقوا عراة، فيطوفون بالبيت في الحج عراة، كما قالت شاعرتهم:

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

إلى آخره.

فهم يقولون: لا يطاف بالبيت بثياب الحل وهذا تَعَبُّدٌ منهم حتى ولو آل الأمر أن تطوف المرأة عارية، أو أن يطوف الرجل عاريًا، فتعبدوا لله بكشفهم للعورات هذا تقرير حالهم، وهم الذين نزل فيهم قول الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ ﴾ قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ولهذا أمر في الآية بعدها بقوله: ﴿۞يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ وأجمع العلماء في التفسير على أن

الزينة في هذه الآية هي ستر العورة، وأولئك تَعبدوا بكشف العورات فأمر الله - جل وعلا - بأن تُستر العورات وأن أولئك كانوا على فاحشة فقال: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ وهذا يدخل في جنس الفواحش والموبقات، وهي الفعلات العظيمات المخالفات لما أمر الله جل وعلا به، كانوا يتعبدون ويتقربون إلى الله جل وعلا بفعل تلك الفواحش التي منها كشف العورات. هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية. العجب أنها سرت في هذه الأمة عند الصوفية أكثر ما يكون، وهو أنهم تعبدوا الله جل وعلا بالفواحش، تعبدوا الله جل وعلا بالموبقات، تعبدو الله جل وعلا بكشف العورات، فتجد أن طائفةً منهم ربما كشف عورته لمريديه، وربما نام والعياذ بالله مع مريده يزعمون أن في هذا تربية له وإصلاحًا له، ومنهم من تكشف له المرأة عورتها ثقة به، والقصص في هذا تطول لكن هذه ليست خاصة بالزمن، من قرون ولكنها موجودة إلى اليوم. كان أحد المريدين لأحد الأشياخ - لأحد أشياخ الصوفية في المدينة النبوية-، كان أحد المريدين لأحد الأشياخ قد بالغ وعظم ذلك الشيخ الذي يريده، يعني: الذي هو مريد له تلميذ له، مربٍّ له، حتى تزوج ذلك الفتى قال: فأمره شيخه أن يسافر إلى مكانٍ، فيقول هو - كما حدثتني بعض طلبة العلم في المدينة- وقد ترك الصوفية بهذه المناسبة - فيقول: لما أمرني بذلك سكت بعض الشيء فتغافلت مدة من الزمن يعني ساعات في يوم، ثم دخلت على الشيخ فإذا هو قد استدعى زوجتي وهو معها في حال سيء، فيقول: فأخذتني الغيرة وتكلمت عليه فقال: يا فلان أتشك فيَّ؟ إنما هذا لإصلاحها، يعني: أنه يفعل هذه الفاحشة يتعبد الله يقول: أنا أصلحها، وهذا كثير، ولهذا تجد عندهم - والعياذ بالله - من مخالطة المردان، ومن مخالطة النساء، ومن قبول ربط النساء والتعبد بذلك الشيء الكثير.

وإذا نظرت إلى موالدهم الموالد التي تقام في العالم الإسلامي من قديم فتجد أن رقص النساء والاختلاط وحصول الموبقات في المواسم التي يزعمون أنها مواسم عبادات، من ذلك الشيء الكثير ومن رأى كتاب «المدخل» لابن الحاج وإنكاره

عليهم وجد من ذلك شيئًا مما يشيب له الشعر.

ولهذا أكثر من تأثر بأهل الجاهلية وسرت فيه هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية في هذه الأمة أصحاب الطرق الصوفية الذين تعبدوا الله عز وجل بالفواحش تعبدوا بكشف العورة تعبدوا الله - والعياذ بالله - بمخالطة النساء، بمخالطة المردان، تعبدوا الله جل وعلا بأنواع من الموبقات، نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية.

وهذا قد يأتي على بعض النصوص ولو لم يكن من الصوفية يأتي على بعض النصوص أنه يتساهل في بعض وسائل الموبقات، أو في بعض الموبقات زعمًا منه أن في ذلك إصلاحًا وهذا كله من التأثر بتلبيس الشيطان على النصوص.

والواجب على المؤمن أن يكون قويًّا مع نفسه وألا يكون مهملًا فوسائل الفواحش كلها محرمة وسائل الفواحش كلها محرمة، والأعظم ربما أن يُتعبد بذلك كما أفتى بعض مشايخ بعض الأمصار في هذا الزمن أنه يجوز للرجل أن يرى النساء في الأجهزة المختلفة، في وسائل الإعلام المختلفة المسموعة، المطبوعة، أو المرئية يعني: المجلات أو التلفزيون أو الأفلام أو نحو ذلك يقول: إذا كان قصده التعجب من خلقة الله جل وعلا فهو يؤجر بذلك وهذا لا تعجبون، فقد سرى في هذه الأمة وأفتى به من أفتى وقد اطلعت على هذه الفتاوى وهي موجودة مدونة، وهذا لا شك أنه يتمثل في ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» فليس ثم من خصلة عند أهل الجاهلية إلا وقد دخلت على هذه الأمة حتى الأشياء التي ينفر منها ذو الفطرة السلمية، ينفر منها المؤمن تجد أنها قد دخلت مثل هذا الكلام المؤسف، نسأل الله جل وعلا للجميع الهداية والسلامة.

(السادسة والثلاثون): التعبد بتحريم الحلال كما تعبد بالشرك.

التعبد بتحريم الحلال كما تعبد الله جل وعلا بتحريم الشرك.

اليهود والنصارى حرموا على أنفسهم أشياء قد أحلها الله جل وعلا لهم، وكان تحريمهم لذلك ابتداعًا ابتدعوه كما قال جل وعلا: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا

عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ تعبدوا الله جل وعلا بتحريم أنواع من الحلال، وتعبدوا الله جل وعلا بتحليل أيضًا أنواع من الحرام، وعاقبهم الله جل وعلا بتحريم أنواع من الطيبات عليهم؛ لأنهم فعلوا ذلك كما قال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وعاقبهم الله جل وعلا على تلك الأفعال التي هي تحريم الحلال عليهم بأن حرم عليهم أشياء إما تحريم كوني، أو تحريم شرعي أما التحريم الشرعي فقد جاء عيسى عليه السلام ليحل لهم بعض ما حُرِّم عليهم كما جاء في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ [آل عمران: ٥٠] فاليهود والنصارى وكذلك مشركو العرب حرموا على أنفسهم أنواعًا من الحلال والطيبات، وهذا التحريم ليس لأنه لا يوافقهم، ولكن يتقربون بذلك إلى الله جل وعلا، ولهذا قال الشيخ هنا: التعبد بتحريم الحلال فإنه يحرم الحلال، ويعتقد أنه يتقرب إلى الله بتحريم ذلك، ومن حلل حرامًا ومن حرم حلالًا كان كمن أحل حرامًا، والجميع كفرٌ فليس لأحد أن يحرم ما أحله الله جل وعلا إذا كان الدليل على إباحته واضحًا، وليس لأحد أن يحل ما حرم الله إذا كان دليل تحريمه واضحًا، فمن أحل حرامًا مجمعًا على تحريمه فهو كافر، ومن حرم حلالًا مجمعًا على تحليله فهو كافر.

وهذا قد سرى، جاء في هذه الأمة ولا شك في أنحاء شتى، وأكثرهم الذين تأثروا بالنصارى وأصل ذلك أن النصارى كانت لهم أديرة، وكانت هذه الأديرة في الشام وفي العراق، وكانوا في أديرتهم يحرمون على أنفسهم أنواعًا من الطيبات؛ لأنها لا تناسب الخُلَّص من عباد الله كما يزعمون فدخلهم بعض المتنسكة من المسلمين وأخذوا يختلطون بهم وذلك لا لأجل التأثر بهم، ولكن لأجل أن هذه الأديرة قائمة خارج البلد يعني: خارج بغداد، خارج الكوفة، خارج دمشق ونحو ذلك وهي أديرة منعزلة فيتعبد النصراني بعبادته، ويتعبد المسلم بعبادته خاليًا.

حتى تأثر طائفة من المنتسبين إلى الإسلام يعني: طائفة من المسلمين ممن خالطوا النصارى تأثروا بهم في تلك الأديرة كما أوضح ذلك مفصلًا - أو بجلاء-

الشابشتي في كتابه «الزيارات» المقصود أنهم أوضحوا أنهم تأثروا بهم ودخل التأثر بهم، في أنهم حرموا على أنفسهم حلالًا أحله الله جل وعلا فمنهم من حرم على نفسه، فمنهم من حرم مطلقًا يعني: على نفسه مطلقًا، متعبدًا بذلك لا لأجل عدم مناسبته له متعبدًا بهذا القيد، حرم أنواعًا من الطيبات فحرموا على أنفسهم ما أباح الله من اللباس اللين وأخذوا يلبسون اللباس الخشن، حرموا ما أحل الله جل وعلا لهم من شرب الماء البارد وقالوا: هذا من النعيم، فشربوا الماء الذي ربما لا يشرب من الكدورة، ونحو ذلك، حرموا على أنفسهم أنواع من المآكل، حرموا على أنفسهم الزواج فلم يتزوج كثير من المتصوفة انقطاعًا وخلوًّا بالله جل وعلا، يتعبدون بذلك ولا شك أن هذا كله من التأثر بأولئك.

التعبد بتحريم الحلال هذا كان من خصال أهل الجاهلية وصار في هذه الأمة وأكثر من يوصف بهم المتصوفة والشيخ رحمه الله يركز كثيرًا على خصال أهل الجاهلية التي يراها قد سرت في ما حوله في حياة المسلمين، يركز على ذلك، وكأنه تأمل حياتهم - حياة المسلمين في وقته - واستخرج من الأدلة ما يبين حكم تلك الأحوال ثم جمع هذه الرسالة رسالة مسائل الجاهلية؛ لأنها تجمع النهي عن هذا كله تجمع النهي عن كل التصرفات التي كان أولئك عليها، ولو تأمل المتأملون لوجدوا أن مشابهة المسلم لأهل الجاهلية أنه عارٌ عليه، كيف وقد خالف نبيه عليه الصلاة والسلام أهل الجاهلية، كيف يشابه أهل الجاهلية وهو يعلم أن النبي ﷺ قد خالف أهل الجاهلية فلا شك أن هذا فيه تناقض ظاهر[1].

---

(١) (الأسئلة)

١- يسأل يقول: ما رأيكم في كتاب «شرح متن الورقات» للإمام جلال الدين المحلي الشافعي المتوفى سنة أربع وستين وثمانمائة تحقيق وتعليق .. إلى آخره ؟

الجواب: هذا الشرح أولًا شرح متن الورقات للمحلي هذا مما اعتمده العلماء في شرح الورقات وذلك لأسباب:

منها: أنه - أعني المحلي - أصولي.

ومنها: أن هذا الشرح سهل واضح. =

= لكن هذا الشارح أشعري ودخل في شرحه ألفاظ من عبارات الأشاعرة كقوله في بعض المواضع: فيخلق الله عند ذلك وهذا من قول منكرة الأسباب، ونحوه في بعض التعريفات دخل عليه بتعريف الكلام ونحوه، دخلت عليه عقائد الأشاعرة، وهنا تنبيه وهو أن السؤال جاء في أن شرح متن الورقات للإمام جلال الدين المحلي الشافعي، وكلمة الإمام لم يستعملها علمائنا إلا فيمن كان إمامًا يقتدى به في الخير، وهو من حسنت عقيدته وصار ممن يقتدى به في العقيدة.

وأما غيرهم فإنه لا يطلق عليه إمام يطلق عليه العلامة، الشيخ، مثلًا لو قال: للعلامة جلال الدين المحلي، أو للشيخ جلال الدين المحلي، أو للمحقق جلال الدين المحلي، فهذه كلها من العبارات السائغة، أما لفظة الإمام، فإن علمائنا لا يطلقونه على أمثال المبتدعة من أمثال مثلًا الغزالي ما يقال الإمام الغزالي، ولا الرازي الإمام الرازي ولا الإمام العامدي، ولا الإمام ابن عقيل، ولا نحو ذلك ممن كانوا ينشرون المذاهب المبتدعة أو كَثُر ذلك عنهم، العبارات كثيرة: العلامة، الحافظ، الشيخ، ونحو ذلك.

٢- يقول: نرجو أن يكون ابتداء من الدرس القادم أن تبتدئ بالمسألة الأولى فما بعدها؟ لأنها مسائل يحتاجها جميع الناس وخاصة الشباب؟

الجواب: هذه المسائل التي سبقت سبق لي أن تكلمت عليها وهي موجودة مسجلة لكنها لم تنشر فإن تيسر راجعناها في الشريط إن شاء الله ربما تنشر فنكتفي عن إعادتها.

٣- هذان سؤالان من سائل واحد، الورقة واحدة والخط واضح ، هذا أحد الإخوة الحاضرين يقول: بل وأعرف -يعني: يعرف هو- من حوادث وجود الفاحشة عند الصوفية أن الناس يرسلون زوجاتهم إلى بعض الأولياء فتجلس عنده أربعين يومًا، وهو مختلٍ بها -يعني: مدة النفاس ولا لا- وهو ليس معه أحد فتحدث الفواحش والجرائم.

نسأل الله العافية يرون أن هذا تطهير، غلاة الصوفية الغلاة لا يمكن ينسب إليهم وأبرأ إلى الله ما شهدت هذا ولا سمعته، لكن ينسب إليهم فيما يقال ونرجو ألا يكون صحيحًا فإن عندهم عظائم كثيرة لكن ينسب إليهم أن الرجل إذا تزوج فلا يمكن أن يبيت مع امرأته قبل أن يبيت معها شيخه وهذه البيتوتة عندهم ليست بيتوتة وقاع ونكاح، ولكن بيتوتة فيوضات، يفيضها الشيخ على المرأة نسأل الله العافية -.

٤- هل الصحيح والفاسد من الأحكام السبعة على القول الصحيح. إن هذه سبق ذكرها من قبل.

٥- هل صحبة الرسول ﷺ تكون مكفرة لكبائر الذنوب؟

الجواب: لا، صحبة الرسول ﷺ بمجردها لم تذكر في تكفير الذنوب، بل الذي يكفر الذنوب أنواع كما يقول العلماء عشر.

أنواع المكفرات عشرة؛ ثلاثة من العبد، وثلاثة من غيره، وأربعة من الله جل وعلا.

وليس في هذه العشر الصحبة، بل إنه يحصل من بعض الصحابة الكبائر كما حصل من بعدهم شرب الخمر، كما حصل من بعدهم الزنا ونحو ذلك، لكن هذا في أفراد قليل فالصحبة ما تكفر الذنوب . =

= أهل بدر بخصوصهم شهودهم لبدر كفر الله جل وعلا به عنهم وغفر الله كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال - في حديث علي المعروف قصة حاطب بن أبي بلتعة-: «**إن الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» مع أن كثيرًا من أهل العلم يقول: إن المغفرة هنا لصغائر الذنوب، لأن أهل بدر وفقوا لئلا يعملوا كبيرة لكن هذا فيه نظر، الصحبة بمجردها ليست من المكفرات لكبائر الذنوب، ومما يدل على ذلك أن ورود الناس على حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة إنما يرد عليه من سلم من المحدثات، ويرد عليه ناس يقربون منه ثم يُختلجون كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يرد ناس علي الحوض ثم يُختلجون من دوني فأقول: أي ربِّ أصحابي أصحابي: فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، قال أهل العلم: من أسباب عدم ورود الحوض أن يموت المرء مصرًّا على كبيرة من كبائر الذنوب، وهذا ليس معناه أن يُشهد على معين من الصحابة بأنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب ونحو ذلك، لا، ولكن هذا من حيث التأصيل الصحبة لا تكفر الذنب ، هذا ما أعلم والله أعلم.

النبي ﷺ له شفاعات، أنواع من الشفاعة، ومنها شفاعته في أهل الكبائر من أمته.

٦- يقول ما صحة نسبة هذه الكتب إلى الشيخ الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم . الأول توضيح توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، وإعلام أولي الألباب بطريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الثاني حاشية على متن المقنع؟

الجواب: أما الحاشية على متن المقنع فهذه لم توجد منسوبة إلى الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله وإنما وجدت بخطه وهو من ذوي الخط الجميل جدًّا المعروف وخطه لا يشبهه غيره من الخطوط في زمنه ولا ممن أتى بعد زمنه من أهل نجد، فقالوا: إن هذه الحاشية هو الذي جمعها، استظهارًا لأنها وجدت بخطه وهي مجموعة من الكتب المختلفة ولذلك شاع عند العلماء، علماء الدعوة من قديم أن هذه الحاشية جمعها الشيخ سليمان رحمه الله تعالى لنفسه، ولهذا تجد أن فيها تارة يكتب الحاشية على الكلمة، وتارة يكتب الحاشية في هامش الصفحة، ويُفَرَّق بينهما في المطبوع بقوله: على قوله يعني: على الكلمة على قوله: الزكاة يكتب كلمة تفسير لها أو حاشية أوضابط أو تعريف أو نحو ذلك، وتارة يضع حاشية ويكون تمييزها بقوله: قوله كذا ثم يصف.

أما كتاب «توضيح توحيد الخلاق» فهو ليس من مؤلفات الشيخ سليمان بن عبد الله، ولو كان موضوعًا الاسم عليه في الطبعتين الطبعة القديمة في نحو سنة ١٣١٩ هجرية وفي الطبعة الجديدة التي جددت وذلك لأمور كثيرة، منها: أن في هذا الكتاب نزعة صوفية وذلك حينما فسر بسم الله الرحمن الرحيم دخل فيها في أنواع من إشارات الصوفية يقول: الباء نقطت بواحدة من تحتها إشارة إلى توحيد الله، والسين شرشرت بثلاث -كذا يقول- إشارة إلى إبطال قول المثلثة، والميم إديرت لتواصي التوحيد بالقلب ونحو ذلك من كلام الصوفية وإشاراتهم التي تجدها في مثل كتاب روح المعاني وغيره، ومما يدل أيضًا أن الشيخ سليمان بعيد كل البعد عن معرفة هذه الأشياء وعن إقرارها بالكلام فضلا أن يدونها في كتاب يجيب به عن طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ثم أيضًا في أثنائه أنه قال: =

المتن

(السابعة والثلاثون): التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.

(الثامنة والثلاثون): الإلحاد في الصفات؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فصلت: ٢٢].

(التاسعة والثلاثون): الإلحاد في الأسماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

(الأربعون): التعطيل؛ كقول آل فرعون.

(الحادية والأربعون): نسبة النقائص إليه سبحانه؛ كالولد والحاجة والتعب، مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك.

الشرح

أما بعد: فقال إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام المجاهد المصلح محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من الأميين وأهل الكتاب.

عَدَّدَ مسائل كبيرة، وصلنا منها إلى المسألة السابعة والثلاثين.

قال رحمه الله:

(السابعة والثلاثون): التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.

وهذه الخصلة هي التي ذكرها الله جل وعلا عن أهل الكتاب بقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ والأحبار جمع

= وقد حضر في هذه السنة الإمام عبد العزيز وسأل كذا وكذا، ووقت الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله في وقته لم يكن الشيخ سليمان كبيرًا من أهل التأليف لأنه توفي سنة ١٢١٨ والشيخ سليمان في ذلك الوقت كان ابن نحو من ١٧ عاما ما عرف بالتأليف بعد وهذا من الدلائل ما أدرك الزمن إدراكًا بينًا وهذا من الدلائل على بطلان هذا الكلام.

وهناك أدلة أخرى المقصود أن الكتاب ليس للشيخ سليمان رحمه الله، وفيه كلام أيضًا باطل، التوحيد فيه كلام لا يوافق كلام أئمة الدعوة رحمهم الله.

نكتفي بهذا القدر وأستودعكم الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حَبر أو جمع حِبر وهم علماء اليهود، والرهبان جمع راهب وهم عُبَّاد النصارى، وأيضًا علماؤهم.

والله جل وعلا بين أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، يعني: مع الله جل وعلا، وقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: مع الله جل وعلا، ويعبر عن ما بمن دون لإفادة أن هذا الذي أُشرِك مع الله جل وعلا في ذلك أنه دون الله جل وعلا حقيقة وحكمًا، وقال هنا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

ووجه هذا الاتخاذ ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم فإن عديًّا أتى النبي عليه الصلاة والسلام وهو يتلو هذه الآية فقال عدي بن حاتم وكان نصرانيًّا فأسلم قال: يا رسول الله ما عبدوهم، قال: «**ألم يحرموا عليهم الحلال، فحرموه**»، قال: بلى، قال: «**ألم يحلوا لهم الحرام، فأحلوه**»، قال: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**». فإذًا يكون معنى قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ معنى الأرباب في هذه الآية أي: المعبودين، وذلك أن الأرباب جمع رب، وقد قال الشيخ رحمه الله تعالى أعني المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب في بعض رسائله قال: إن لفظ الرب والإله تدخل في الألفاظ التي تختلف معانيها مع الجمع والتفريق يعني: إذا اجتمعت تفرقت وإذا تفرقت اجتمعت، يعني: أنه إذا أُطلق لفظ الرب فإنه يراد منه المعبود كما يراد بلفظ الإله ويحدد ذلك السياق.

وإذا أطلق لفظ الإله قد يراد منه معنى الرب وذلك يحدده السياق، وقد يراد منه المعنى الأصلي، ولا شك أن لفظ الإله ولفظ الرب بينهما اختلاط من جهة اللغة وأيضًا بينهما تلازم، فإن الإله لا يصير إلهًا حقًّا حتى يكون ربًّا، والرب يكون ربًّا ويلزم للربوبية به أنه يستحق العبادة، ولهذا كان توحيد الإلهية متضمِّنًا لتوحيد الربوبية، وصار توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، فإذًا قوله هنا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: معبوديها وهذا هو المراد بسؤال القبر حتى يُسأل الميت مَن ربك يعني: مَن معبودك، وسبب هذا أنه يعني: سبب جعل المعنى للربوبية الإلهية في هذا؛ أن الابتلاء لم يقع في معنى الربوبية الذي هو الإقرار لله

جل وعلا بتوحده بأفعاله وإنما وقع الابتلاء في العبادة ولهذا سؤال مَن ربك؟ يعني: من معبودك؟ كما مر معنا مفسرًا في شرح ثلاثة الأصول وكذلك هنا أربابًا يعني: معبودين، وهذا في مثل قوله في آية آل عمران: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٠] فإذًا أهل الكتاب اتخذوا الأحبار والرهبان يعني: اتخذوا اليهود علمائهم، واتخذت النصارى علمائها مطاعين مع الله جل وعلا، يأخذون التشريع والتحليل والتحريم من الله ويأخذونه من علمائهم، وإذا حلل لهم العلماء الحرام أحلوه، وتقربوا إلى الله جل وعلا بالتحليل، اعتقدوا حله، وهذا معنى كونهم تعبدوا لله جل وعلا به، فقال هنا: السابعة والثلاثون: التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا، يعني: أنهم يعتقدون أن ما قالوه من تحريم الحلال أنه هو الصواب ومعنى هذا: أنهم جعلوهم شركاء مع الله، الله جل وعلا حرم شيئًا وهؤلاء أحلوه، فأطاعوا الأحبار والرهبان ولم يطيعوا الله جل وعلا في ذلك فتعبدوا باتخاذهم أربابًا من دون الله جل وعلا.

هذا الوضع الذي كان عند اليهود وعند النصارى كان أيضًا عند مشركي العرب فإن مشركي العرب كانوا يرجعون إلى اليهود والنصارى في كثير من أمورهم فهذه الخصلة كانت عند اليهود والنصارى وكانت عند مشركي العرب بالنظر إلى سؤالهم للأحبار والرهبان، هذه الآية عظيمة وهي قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ ويبين أنهم أرادوا بذلك التعبد ما قاله الله جل وعلا بعد ذلك حيث قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ فدل على أن ما فعلوه عبادة وتعبد وذلك أنهم تلقوا التحليل والتحريم مقرين معتقدين بذلك متقربين به إلى الله.

فهم إذًا ما جعلوا الحرام طاعة للعلماء مع اعتقادهم للعصيان، ولكن فعلوه متعبدين لله جل وعلا بذلك، وهذا - والعياذ بالله-، هو الذي وقع في هذه الأمة في طوائف المقصود أن أهل الكتاب - أن علماء أهل الكتاب - حرموا على أتباعهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، وهذا وجه كون اتخذوهم أربابًا حيث بين النبي ﷺ أن

الربوبية هاهنا هي الطاعة وذلك أيضًا مستلزم للعبادة؛ لأن من أنواع العبادة الطاعة، هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية، والله جل وعلا أراد من هذه الأمة بل كرر ذلك في القرآن وبينه كثيرًا أن يستسلموا لله وللرسول، وألا يقبلوا بحكم غير حكمهما، وأن يتعبد الله جل وعلا بتحليل الحلال الذي أحله، وتحريم الحرام الذي حرمه، وبين صفة المشركين في ذلك بقوله: ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١٤٠] كما وضح في المسألة التي قبلها في تعبد المشركين بتحريم الحلال، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله، بين أن المنافقين أيضًا هذه حالهم، وأنهم يرفضون حكم الله وحكم رسوله، إلى حكم من سواهما كما جاء رجل وأراد أن يتحاكم إلى كعب بن الأشرف ونحو ذلك ولم يرد أن يتحاكم إلى الله جل وعلا وإلى رسوله.

هذا دخل في هذه الأمة في ميادين شتى ما بين مكثر وما بين مقلٍّ، وبوَّب له الشيخ رحمه الله في كتاب التوحيد بقوله: باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.

والمراد بالطاعة أن يطيعهم مصوِّبًا ما فعلوه، أما إذا كانت الطاعة مع اعتقاد البطلان فهذا لا يصير كافرًا؛ لأن الطاعة الظاهرة مع اعتقاد البطلان في القلب فإن هذا فيه تفصيل، لا يكون كفرًا باطراد بل ثَمَّ أحوال له، دخلت طاعة غير الله وطاعة غير رسوله ﷺ في هذه الأمة شيئًا فشيئًا لكن ما وصلت إلى درجة المعارضة لحكم الله ولحكم رسوله، بمثل ما فعله أولئك إلا في الأزمنة المتأخرة، نعم بزغ التقليد فظهر شيئًا فشيئًا لكن ما وصل إلى هذه المسائل العظيمة التي يحرم فيها الحلال الواضح، ويحل فيها الحرام الواضح، كما حصل فيما بعد، أول ما دخل هذا على طائفة من هذه الأمة تبعوا مذاهب طوائف من الفرس الذين يحلون البنات والأخوات والأمهات ونحو ذلك، تبعوهم في هذا وحصل وظهر ذلك وكثر كلام العلماء في هؤلاء فقالوا: إنه لا فرق - نسأل الله العافية - بين الأم والزوجة، لا فرق بين الأخت وبين الزوجة وأحلوا ما حرمه الله، وتعبدوا بذلك، يعني: اعتقدوا أن ما فعلوه أنه هو الصواب.

ودخل في هذا بعد حين طائفة من غلاة المتصوفة كما ذُكر عن بعض رؤسائهم أنه قال: لولا ما فرق بين الأخت والأم لم أجد فرقًا بين الزوجة والأم، والأخت والزوجة، لم أجد فرقًا بيِّنًا بينهما، وهذا تبعه عليه طائفة فصار في غلاة المتصوفة من يتعبدون بذلك وأطيعوا وصار منهم من يُهْدي -نسأل الله جل وعلا العافية- اتباعًا لهذا القول - من يهدي بناته لهؤلاء المشايخ الذين أطيعوا في تحليل الحرام، وفي تحريم الحلال، ثم ظهرت في القرن السابع والثامن الهجريين، ظهرت القوانين التي قدمت إلى الأمة مع مجيء التتار وكتب في ذلك شيخ الإسلام - رحمه الله - ما كتب وكذلك ابن كثير في إلياسة التتار وقانون جنكيز خان ونحو ذلك مما فيه بيان أن عدم تحكيم الشرع أنه من خصال المنافقين، ومن أخذ بتلك القوانين نابذًا الشرع واستبدل شريعة بشريعة فإنه يكون كافرًا؛ لأن الله جل وعلا وصف المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨- ٥٠] ثم بين حال المؤمنين فقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ [النور: ٥١] وهذه حال أهل الإيمان: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، تطور الأمر حتى صار هذا في جهتين من الناس في هذه الأمة؛ الجهة الأولى جهة المحكمين للقوانين مثل ما هو ظاهر في هذا الزمان، والجهة الثانية في الذين يتابعون العلماء في تحريم بعض الحلال أو في تحليل بعض الحرام، ويطيعونهم في ذلك معتقدين أن كلام العلماء صواب، فأما الجهة الأولى وهي جهة القوانين قد كثرت مع الاستعمار في هذه الأمة فهناك بلاد كثيرة استبدلت بها الشريعة - شريعة الإسلام - بشريعة أولئك الكفرة من قانون فرنسي أو قانون بريطاني، أو قانون أمريكي أو نحو ذلك فصار الشرع لا يُحْكَمُ به إلا في مسائل يعني: أن الأصل تحكيم القانون، وأما الشرع فلا يحكم به في تلك الديار إلا في مسائل وهذا استبدال لشريعة بشريعة، وهو كفر أكبر والعياذ بالله هذا نوع.

وصار الناس يعتقدون أن ما تقوله القوانين وأن ما يقوله القانونيون أنه صواب وأن الزمن يفرض هذا وأن الحاجة إليه داعية، فأصبحت شريعة الله جل وعلا في الحكم بها نسيًا منسيًّا بين العالمين إلا فيما يتعلق ببعض الأحوال الشخصية من النكاح والطلاق والوقف والهبة والإرث ونحو ذلك، والحكم بالقانون تحكيم القوانين إذا كان المحكم لها يعتقد أنها أصح وأصوب من الحكم بالشرع فإن هذا كفرٌ بالله جل وعلا من جنس الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وكذلك إذا اعتقد المساواة أن الحكم بالإسلام يساوي الحكم بالقانون، الحكم بالقوانين، أو تحكم بالشريعة أنت مخير، هذا أيضًا كفر أكبر.

الصورة الثالثة: أن يعتقد أن الحكم بالقوانين جائز، وأن الحكم بالإسلام جائز، هذه كلها كفر اعتقاد، كفر أكبر.

وإن اعتقد أنه يجب الحكم بالإسلام والأخذ به في الحكم فرض ولكن تحكيم القوانين هذه إنما يكون بحسب الحاجة إليها فهذا ينظر في حاله فإن كان - يعني: فيه تفصيل - يعتقد أن الإسلام حق وأنه الأوجب، ولكن يقول: نأخذ بالحكم بالقوانين في بعض الأشياء، فهذا فيه تفصيل، فإن كانت هذه الأشياء التي يقولها غالبة على حكم الإسلام بحيث يكون الحكم بالقانون ظاهرًا غالبًا فإنه يكون ذلك كفرًا؛ لأن الغلبة تكون لغير الإسلام، للقوانين إن اعتقد أن الإسلام واجب لكن نحكم بغيره لأننا نحتاج إلى ذلك، وصار حكمه بغير الإسلام غالبًا كثيرًا ظاهرًا فإن هذا أيضًا من تحكيم القوانين الذي هو كفر في حقه.

والحالة الثانية أن يكون تحكيمه للقوانين واعتقاده لوجوب الحكم بالإسلام أنه ليس بالظاهر الغالب ولكن إما تأوّل في الحكم ببعض المستجدات بالقانون لضعف إدراكه أن الشرع يحوي هذه الأحكام جميعًا، وإما لأن لديه شبهة في هذا الأمر، وعنده أن الحكم الواجب هو الشرع، ويجب أن يكون الحكم بالشرع غالبًا ظاهرًا، فإن هذا ليس بمكفر الكفر الأكبر بل هو معصية من جنس المعاصي لِمَ؟ لأنه اعتقد أن الحكم بالإسلام هو الواجب، وأن ظهور حكم الإسلام والحكم بالشرع، وبالكتاب والسنة

هذا هو الواجب، ولم يستبدل شريعة بشريعة، وأيضًا هنا يفرق بين مقامين، بين ما إذا أنشئت القوانين إنشاءً - أُصلت أصلًا- وبينما إذا وفدت شيئا فشيئًا فإن وفودها شيئًا فشيئًا هذا يقوي أن ثَمَّت تأويل في المسألة ولهذا يأخذ العلماء بهذا الأصل المهم، وهو أن الذي يعتقد بحكم القوانين هذا يعتقد بوجوبها أو جوازها أو مساواتها بالشرع، أن هذا كافر الكفر الأكبر، وأما إذا قال: إن حكم الشرع هو الواجب والحكم بالإسلام بالكتاب والسنة هذا هو الفرض وقد يؤخذ بغيره إما قولًا أو عملًا لشيء من التأويل أو الشبهة أو للحاجة أو نحو ذلك فإن هذا لا يكون كفرًا إنما إذا كان يأتي شيئًا فشيئًا؛ لأن هذا يقوي جانب التأويل، وهذا هو الذي فصله الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى في رسالة التحكيم القوانين، وكذلك في فتاويه في مواضع كثيرة، من جمعها ظهر له هذا التفصيل، وهو الموافق لقول عامة العلماء.

الجهة الثانية جهة العلماء الذين أفتوا أتباعهم بتحريم الحلال أو بتحليل الحلال فأطاعوهم وهم غلاة المقلدة، الذين يقول لهم علماء مذهبهم، أو يجدوا في كتاب من كتب مذهبه أن الشيء مباح، ويجد في النص الشرعي أنه حرام، قد قامت الحجة عليه وانقطعت معذرته وتقرب إلى الله جل وعلا بهذا الفعل يعني: بأن هذا الذي حرمه الشرع أنه حلال فيكون من جنس من اتخذ العلماء أربابًا من دون الله، وهذا يكثر في غلاة المقلدة - نسأل الله جل وعلا العافية - حتى إن منهم من رفض الحجج الشرعية، بتحريم بعض ما أحلوه أو تحليل بعض ما حرموه بناء على أن الذي قالها عالمٌ كبير وحبر إمام مجتهد في تلك المسألة، إذا ثبت النص وصارت دلالته قطعية ليس لأحد العذر في أن يجعل ما حرمه الشارع حلالًا، لكن هذا بشروط وأعظمها أن تكون دلالته قطعية، وأن يكون ثبوته قطعيًّا أو شبيهًا بالقطعي، ونعني بالقطعي: ثبوته بالقرآن، أو شبيها بالقطعي الأحاديث المتواترة أو التي تلقيت بالقبول، تلقتها الأمة بالقبول فإن هذا من جنس الذين يتخذون العلماء أربابًا من دون الله، إذًا فصار غلاة المقلدين يدخلون في هذا وهؤلاء واجههم الشيخ رحمه الله حينما قام بالدعوة، وجدهم وأعظم ما أحلوا من الحرام الشرك، وأعظم ما حرموه من الواجبات

التوحيد، كما قال الله تعالى عن أشباههم: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥] نسأل الله العافية، قالت لهم علماؤهم: إن هذا التوحيد لا يصلح، لا بد أن تتخذوا وسائط فتعبدوا الله جل وعلا باتخاذ الوسائط قالوا: إن الشرك - ويسمونه التوسل- إنه لا بد منه كيف تصل إلى الله، أنت صاحب معصية ألا تستحي أن ترفع يديك إلى الله وأنت قد كبلت يديك بالمعاصي، وقلبك بالشهوات والشبهات فهل مثلك يفتح له الباب؟! لا بد يجب أن تتوسل إلى الله ببعض الصالحين من عباده ممن لهم المقامات العالية من الأولياء الأموات، فذهبوا إلى قبورهم، فأعلموهم أن الذي حرمه الله وهو الشرك ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١] أنه واجب أو مستحب، فتعبدوا الله بذلك، وكذلك أعلموهم أن التوحيد هذا الذي أمر الله جل وعلا به وأوجبه أنه ليس بواجب بل لك أن تتخذ الوسائط في ذلك، كذلك في مسائل العبادات المختلفة وهذا كثير في المقلدة الغلاة الذين حرموا بعض ما أحله الله جل وعلا، وهذا نسأل الله جل وعلا العافية يكون باعتبار الطائفة، ويكون أيضًا باعتبار الشخص في نفسه من اتخاذ العلماء أو الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، الواجب على المسلم أن يكون متحريًا الحق، حريصًا على الحق، باحثًا عنه، وأنه إذا سأل أهل العلم أو سمع قولًا أو سمع رأيًا فلينظر هل هذا فيه نصوص الكتاب والسنة به، أم لا، فإن كانت المسألة اجتهادية فإنه يأخذ بقول العالم، ويعتقده دينًا، لأنه لا نص فيها، وإن كانت المسألة فيها نصٌّ فيسأل من أهل العلم من عنده علم في فقه النصوص كذلك يجب على المسلم ألا يشرك أولئك في أعمالهم أعني الذين يقبلون الأقوال دون بينة ودون حجة ودون برهان خاصة في المسائل العامة التي يتعرض لها المسلم في حياته، في سلوكه في نفسه، وسلوكه في مجتمعه، وسلوكه في الأمة جميعًا، يجب عليه أن يتبين له، وألا يأخذ بالأقوال والآراء مجردة عن أدلتها لأنه يكون إما واقعًا في التقليد، وإما متعبدًا بما حرمه الله جل وعلا.

(الثامنة والثلاثون): الإلحاد في الصفات؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ

﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢].

الإلحاد في الصفات معناه: أصل الإلحاد: الميل، ميل عن القصد، ميل عن الصراط السوي، ميل عن الاستقامة.

ألحد في كذا يعني: مال، ومنه سمي اللحد في القبر: لحدًا، لأنه مائل عن جهة سمك الحفر يكون مائلًا في جهة فالإلحاد في الصفات أن يعدل فيها عن الحق اللائق بها ويذهب إلى غيره، إما بنفي الصفة، وإما بتأويلها عن معناها الظاهر، وإما بحملها على محامل بعيدة لا صلة لها بالنص، الإلحاد في الصفات وقع فيه المشركون حيث اجتمعوا مرة، اجتمع منهم طائفة كما يروى عند الكعبة فقال قائلون: إن الله جل وعلا لا يسمع كلامنا لأننا نتكلم سرًّا وإذا فعلنا الشيء سرًّا فإنه لا يعلم بذلك ولا يسمع دقيق الكلام ونحو ذلك، فنفوا عن الله جل وعلا بعض صفاته، واعتقدوا فيها الباطل، وهذا معنى الإلحاد. قال جلَّ وعلا مبينًا بعض اعتقاداتهم: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ وهذا الظن هو أنهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم كثيرًا مما كانوا يعملون، كما قال جل وعلا هنا في الآية التي ساقها الشيخ رحمه الله، ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ -يعني اعتقدتم- ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وهو موافق لبعض أقوال الفلاسفة المتقدمين بأن الله - جل وعلا - إنما يعلم الكليات دون الجزئيات ويعلم العمومات دون التفاصيل، أو موافق لبعض أقوال الفرس ونحوهم من أن العلم لا يكون إلا بعد الوقوع، فلا يمكن للشيء أن يعلم إلا بعد أن يكون واقعًا موجودا، فعندهم أن الوجود له مرتبة واحدة، الوجود الفعلي، أما الوجود العلمي قبل أن يوجد فعلًا فليس كذلك هذا إلحاد في الصفات لأنهم سلبوا عن الله جل وعلا صفة من صفاته، أو بعض الصفة، قال: ﴿ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: اعتقدوا أن الله يعلم بعضًا ولا يعلم بعضًا، وهذا أيضًا كان عند اليهود حيث قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] هذا إلحاد في الصفات، ووقع أيضًا عند النصارى حيث جعلوا الله - جل وعلا- ثالث ثلاثة، هذا كله من الميل في الصفات عما يجب لها وهذا الذي حصل كما تعلمون، ورثته هذه الأمة وصار عند المبتدعة في الصفات على أوسع أبوابه، فالجهمية

مثلًا جعلوا الصفات جميعًا منفية، وكذلك الأسماء جميعًا منفية، وأثبتوا له صفة واحدة أتوا بها من عند أنفسهم، وهي صفة الوجود، المعتزلة نفوا كل الصفات، وأثبتوا ثلاث صفات فقط، الأشاعرة أثبتوا سبعًا ونفوا البقية، الماتريدية أثبتوا ثمانية صفات، ونفوا البقية، وهكذا فإذًا نفي الصفات الذي كان عند مشركي العرب، ورثته هذه الأمة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» فكل باطل وضلال صار في هذه الأمة سواء في مسائل العقائد أو في المسائل العملية فإنه موروث عن أهل الجاهلية، ذكرنا أن الإلحاد بمعنى النفي، كنفي مثلًا صفة الاستواء أصلًا، نفي علو الذات أصلا، وقد يكون بمعنى التأويل الباطل الذي لا يدل عليه دليل، بحمل الصفة على غير ظاهرها كتفسيرهم «استوى» بـ«استولى»، أو تفسيرهم «النزول» بـ«نزول رحمته»، أو تفسيرهم الغضب بإرادة الانتقام، ونحو ذلك، وقد يكون بابتداع صفة من جديد، ينفون عن الله صفاته، ويبتدعون صفات جديدة لم يأت بها النص لا في الكتاب ولا في السنة، بل هي من أصلها باطلة، وهذه هي التي يسمونها الصفات السلبية يقولون: من صفات الله أنه لا داخل العالم ولا خارجه، وليس بدم ولا أبعاض ولا أجزاء، وليس له جهة، ليس فوق وليس تحت، وليس عن يمين ولا عن شمال، ولا في الشمال ولا في الشرق ولا في الجنوب ونحو ذلك، هذه يعدونها صفات، صفات سلبية مسلوبة وهي كلها باطلة؛ لأنها لم ترد، فنفوا عن الله جل وعلا الصفات الحقة، وجعلوا له صفات سلبية لم يأت بها دليل هذا الذي فعلوه أعظم الإلحاد ولهذا قال من قال من أهل العلم قال: ليس إلحاد المشركين وإلحاد اليهود والنصارى في الصفات بشيء عند إلحاد متكلمة هذه الأمة؛ لأنهم نفوا الصفات ونسبوا الظاهر إلى التشبيه والنقص وأثبتوا أشياء وصفات من عند أنفسهم بعقولهم، وهذا - والعياذ بالله - ضلالٌ مبينٌ، فوق ضلال أولئك، دخل في هذا أيضًا الفلاسفة الذين نسبوا لهذه الأمة كفلاسفة - يسمونهم فلاسفة الإسلام - مثل الفارابي والكندي وابن سينا وابن ملكا وجماعات من هؤلاء أيضًا جعلوا صفات الله جل وعلا منفية عنه فألحدوا فيها، نسأل الله العافية والسلامة.

(التاسعة والثلاثون): الإلحاد في الأسماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

الإلحاد في الأسماء مأخوذ من قوله جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف: ١٨٠] قوله هنا: يلحدون في أسمائه معناه: يعدلون بأسماء الله جل وعلا عن الحق الثابت فيها إلى غيره من الباطل، والإلحاد هنا في هذه الآية قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ﴾ قال: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ﴾ مع أن أصل الإلحاد يكون إلحادًا بها، ألحد بالاسم يعني: مال بالاسم عن وجهه اللائق، والحق الثابت فيه إلى غيره، وهنا قال: يلحدون في أسمائه، وذلك لسبب مهم وهو أن إلحادهم كان في أسمائه جل وعلا يعني: في معاني الأسماء فإن إلحادهم كان من جهات:

الجهة الأولى: في الألفاظ في الأسماء من حيث هي.

والثانية: في معانيها قال هنا تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ هنا تعمل بها والدعاء هنا – دعاء الله جل وعلا بأسمائه – على قسمين:

دعائه يعني التسمية، ادع فلانًا بكذا يعني: سمه بكذا ، أتاني مولود فدعوته بكذا، يعني سميته بكذا، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ يعني: سموه بها، والمعنى الثاني: ادعوه بها، أي: اسألوه بها، من الدعاء اجعلوا سؤالكم لله جل وعلا متوسلًا فيه بالأسماء، وقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ليس فيها من شيءٌ من جهة المعنى، وهذا هو المأمور به العبد أن يسمي الله جل وعلا بالأسماء أن يدعوه بها، يعني: أن يسميه جل وعلا بأسمائه وتسميته بها تضمن التسمية واعتقاد ما في الاسم من المعنى، من الصفة ، ثم قال: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ﴾ يعني: اتركوا الذين يلحدون يميلون في أسمائه عن ،الحق ولهذا كان ميلهم من جهة تسمية غير الله بأسمائه، وأيضًا ميلهم فيها بإنكار بعضها، ألحد بالاسم مال به، لكن ألحد فيه أعم من كونه مال بالاسم نفسه، وهو يدخل في إنكار بعض الأسماء، ويدخل في إنكار المعاني والصفات التي في

الأسماء، ولهذا قال تعالى في آية سورة الرعد: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠] وهم يكفرون بالرحمن لمَّا قال لهم النبي ﷺ قال للكاتب: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**» قالوا: اكتب باسمك اللهم، وهذه كانت تسمية الجاهلية، فإننا لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، فأنكروا الاسم، ولما سمعوا النبي ﷺ يا ألله، يا رحمن، قالوا: انظروا إلى محمد يقول لنا: لا تسألوا آلهة، إلهين أو آلهة، وهو يفعل إلهين، تسمعونه يقول: يا ألله، يا رحمن، إذًا في القصة الأولى قصة في غزوة الحديبية هم أنكروا الاسم، وهنا جعلوا الاسم دالًّا على أن ثم ذات ثانية، يعني: أنكروا الاسم في الأولى، وفي الثانية استدلوا على الاسم بأنه ليس هو المختص في الأول وهو الله، جعلوا الله غير والرحمن غير، لأنهما اسمان، فلم يجعلوا أن الله جل وعلا له أسماء كثيرة، ولهذا من حيث هو وقع، في هذه الأمة، المعتزلة أصل شبهتهم في إنكار الصفات، قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء، تعدد الآلهة لأنك إذا قلت: الله، الرحمن، السميع، البصير، الرحيم، الحي، القيوم... إلى آخره، كان الله شيء ذات، والرحمن ذات، والرحيم ذات، والسميع ذات، إلى آخره.

فالمعتزلة ألحدوا في الأسماء مثل إلحاد أهل الجاهلية كما ذكرنا، كذلك كل من مال في أسماء الله جل وعلا عن الحق الذي دلت عليه، فيعتبر مائلًا عن ما جعله الله جل وعلا فيها من المعاني، وكذلك ما أثبته الله جل وعلا في كتابه، أو جاءت به السنة من إثبات الأسماء، قال الشيخ هنا: الإلحاد في الأسماء، يعني: الميل بها عن حقائقها اللائقة بها، وإثبات معان أخر أو نفيها أصلًا فلا يجعلون لله جل وعلا الاسم المعين .

قال (الأربعون): التعطيل؛ كقول آل فرعون.

التعطيل درجات:

منه: تعطيل المصنوع عن صانعه، وهذا هو الذي كان عند فرعون، وآل فرعون، قال جل وعلا مخبرًا عن قول فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، ولما بين لهم موسى عليه السلام أن الله جل وعلا في السماء قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨]، فإذًا أنكر أن المخلوقات لها خالق، هذا هو التعطيل، وأصل التعطيل في اللغة، معناه الإخلاء، عطل الشيء عن الشيء يعني: أخلاه تقوله: هذا معطل عن، يعني: مخلى عن كذا، وفلان عاطل، أي: خالٍ. وتقول العرب: جيد عاطل من الحلية إذا كان خاليًا من الحلية، ومنه قول الشاعر:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

يعني: ليس بخال عن الزينة، وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته: إذا هي أظهرته، ولا بمعطل أي: ليس بخال عن الزينة.

فإذًا أصل التعطيل: الإخلاء، تعطيل المصنوعات عن صانعها كقول آل فرعون هذا معناه: أخلوا المخلوقات عن خالق لها.

التعطيل الثاني: أنهم عطلوا الخالق عن ما يستحق من الأسماء والصفات، فلم يثبتوا الأسماء ولا الصفات لله جل وعلا، هذه حال المشركين، وكذلك حال من شابههم من هذه الأمة.

القسم الثالث: تعطيل الأسماء والصفات عن حقائقها ومعانيها اللائقة بالله جل وعلا، كفعل طائفة حيث يقولون: الله، الرحمن، السميع، البصير دلالتها واحدة، ليست دلالة السميع غير دلالة البصير فكلها واحدة، استوى يقولون: لا نعرف معنى استوى، استوى هذا هو معنى نزل، هو معنى غضب، هو معنى رضي، ونحو ذلك.

إذًا عطلوا صفات الله، وعطلوا أسماء الله عن ما تشتمل عليه من المعاني.

الرابع: تعطيل الله جل وعلا عن حقه وهو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر ونهى، هذا تعطيل العبادة.

إذًا الأول تعطيل اعتقاد، وهذا تعطيل عبادة، وهذا كصنيع المشركين فإنهم عطلوا الله جل وعلا عما يستحق، فجعلوا الله لا يستحق العبادة وحده بل لا بد معه من شريك، فهذه صارت في المشركين من هذه الأمة.

أما مسألة الإلحاد بمعنى تعطيل المخلوق عن الخالق فهذه لم تزل طوائف من الأمة تقول بذلك مع أنها كانت في العرب قليلة جدًّا مثل ما قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل:

«وأما تعطيل المخلوق عن الخالق فإنه لم يقل به إلَّا شرذمة قليلون – يعني: من العرب – لا يصح أن تنسب لهم مقالة، أفراد قليل، ولكن ظهر في الأمة من يقول بهذا، تعطيل المخلوق عن الخالق وأولهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم، وأن العالم ليس له خالق يخلقه، وكذلك الذين قالوا بالإلحاد مثل طائفة أو قالوا بوحدة الوجود مثل غلاة المتصوفة، وأما في هذا العصر فإن الذين يقولون بالإلحاد بهذا المعنى أعني: بتعطيل المخلوق عن خالقه، بنفي أن للعالم صانعًا، خالقًا، ربًّا، مدبرًا، سيدًا، متصرفًا، قال كثيرون في هذا الزمن جدًّا، قد يقولونه بألسنتهم، وقد يخفونه في صدورهم، نسأل الله جل وعلا أن يهديهم إلى الإسلام.

يعني الأمثلة الأخرى كلها تكرر علينا إيرادها نكتفي بهذا القدر[1].

---

(١) (الأسئلة)

١ – يقول: «وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» هل قوله: **كلها في النار»** أي: تخليد أو دخول ابتداء؟ مع توضيح «**إلا واحدة**» هل هو نجاة تامة من النار وغير ذلك؟

الجواب: وستفترق أمتي» أمتي هذه الإضافة المراد بها أمة الإجابة، يعني: لا يدخل في هذه الإضافة الافتراق إلا من تبع النبي عليه الصلاة والسلام وصح إسلامه أما الطوائف التي ليست بمسلمة أصلًا كالجهمية فإنها لا تدخل في هذه الفرق.

إذًا قوله: «**ستفترق أمتي**» أي أمة الإجابة «**إلى ثلاث وسبعين فرقة**» والفرقة هي الجماعة التي لها اعتقاد دينيٌّ يخالف اعتقاد السلف الصالح، لأن به حصل الافتراق، مثل الخوارج، المعتزلة، المرجئة، القدرية، وأشباه ذلك، قال: «**كلها في النار إلا واحدة**»، المقصود بقوله: «**كلها في النار**» الوعيد على أنها كفر هي في النار وهذا يعني أنهم متوعدون بذلك، ولا يعني أنهم مخلدون في النار وأيضًا؛ لأنها طوائف لا يعني: أن الفرد الواحد من طائفة من الفرق الثنتين والسبعين التي في النار، أن الفرد الواحد يشهد عليه بالنار، لأن ما اعتقده أو حمله من الباطل في البدعة قد يكفر عنه بأمور، كما ذكر شيخ الإسلام في أول الواسطية حيث قال: أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة فاعترض عليه بقولهم له: إنك تقول إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد الفرقة الناجية معنى هذا: أن من لم يعتقد هذا الاعتقاد فإنه ليس بناج من النار، فقال: لم أقل هذا ولا يلزمني في كلامي، لأن من لم يعتقد بأن من اعتقد هذا الاعتقاد فهو موعود بالنجاة، ووعد الله جل وعلا حق لا يخلف الله الميعاد،=

= ومن لم يعتقد هذا الاعتقاد فليس بموعود بالنجاة، بل متوعد بالنار، وقد لاحظ هذه الكلمة، وقد يكفر عنه ذلك بصدق مقام في الإسلام، أو حسنات ماحية، أو نحو ذلك من المكفرات، يعني: أن الفرد الواحد من هذه الفرق لا يشهد عليه بالنار، وإنما يقال من جهة العموم: إن المعتزلة مثلًا من الفرق المتوعدة بالنار، المعتزلة في النار، كطائفة، لكن الفرد قد يكون بعض الأفراد معذورًا، الأشاعرة كذلك، الماتريدية كذلك، القدرية المرجئة إلى آخره، لكن الفرد قد لا يكون في حقه إقامة الحجة، أيضًا قد يكون عنده بدعة يسيرة لكن عنده من الحسنات الماحية الشيء الكثير، إذا قوله هنا هل معنى: «**كلها في النار**» أي: تخليد؟ ليس معناه التخليد بل هو وعيد من جنس حديث الوعيد، وقوله: «**إلا واحدة**» هل هي نجاة تامة من النار، هنا قوله: «**إلا واحدة**»، يعني: غير متوعدة بالنار، لأنها ناجية، «**وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» وهذه الواحدة وعدها الله جل وعلا بالنجاة كطائفة، أما كل فرد من أهلها، فإنه قد يعذب بالنار لتمحيصه ولتخليصه من أثر السيئات، والله أعلم.

٢- يقول: متى يجوز الخروج على الحاكم؟

الجواب: أن الحاكم قسمان:

حاكم مسلم، وحاكم غير مسلم، أما الحاكم المسلم فلا يجوز الخروج عليه ما دام اسم الإسلام باقيًا عليه، لا يجوز مطلقًا لأي سبب من الأسباب كما جاء في الحديث: قال: أفلا نقاتلهم: قال: لا ما صلوا» لأنها شعار الإسلام الظاهر، وقال في الحديث الآخر: أفلا ننابذهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**» قال: ألا نقاتلهم بالسيف، أو ألا ننابذهم بالسيف قال: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**».

ولهذا أهل السنة والجماعة قاطبة، بعد استقرار كتابة العقائد يقولون: إن الحاكم المسلم يعني الوالي المسلم لا يجوز الخروج عليه بأي حال من الأحوال، لأن في بقائه من الصلاح الشيء الكثير وأن الخروج فكما قال شيخ الإسلام، وكل من خرج على وال مسلم يظن أنه سيصلح أفسد أكثر مما أصلح، قال: وانظر إلى فتنة ابن الأشعث، أو فتنة محمد بن الحسن، وفتنة ... وفتنة... إلى آخره من الأمور.

وهذا السنة فيه ظاهرة، قال: «اسمع وأطع»، و«لا ينزع أحد منكم يدًا من طاعة»، وقال: «اسمع وأطع وإن جلد ظهرك وأخذ مالك» وأخذ المال كيف أسمع وأطيع، وأخذ المال غصبًا وقهرًا وجلد فكيف يكون السمع والطاعة يعني بترك الخروج، وقال العلماء: وسيلة الوسائل لها أحكام المقاصد فإذا كان الخروج محرمًا كانت وسائله القطعية والظنية محرمة أيضًا هذا القسم الأول.

أما القسم الثاني: فإنه الحاكم غير المسلم، الحاكم غير المسلم يجوز الخروج عليه إذا أظهر الكفر جاز الخروج عليه، بشرط أن يكون الكفر مجمعًا عليه، أما إذا كان الكفر مختلفًا فيه فإنه لا يجوز، وذلك لقوله: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**» واضح بين فيه برهان قال العلماء: وهو المجمع عليه، أما المختلف فيه، فإن الأمة اختلفت في أشياء كثيرة فلا يجوز أن يخرج إلا على ما أجمع عليه، أن هذا كفر بالله، إذا أظهر ذلك وكان عليه جاز الخروج، وقد يجب، وقد يحرم. الأصل أنه جائز، إذا=

= أظهر الكفر قد يكون في بعض الحالات واجبٌ إذا كان الناس فيمكن تغييره بدون مفسدة للإسلام ولأهله وقد يحرم إذا كان في الخروج عليه مفسدة للإسلام ولأهله، فإذا الأصل الجواز وقد يكون واجبًا أو محرمًا تبعًا للمصالح والمفاسد، ويقول الشاطبي في الموافقات، والعز بن عبد السلام في القواعد، ويقول غيرهما: إن المصالح والمفاسد إنما هي من جهة الشرع والذين يحكمون فيها هم العلماء دون غيرهم؛ لأنهم أدرى بالمصالح المعتبرة شرعًا والمفاسد المطلوب درؤها شرعًا.

٣- هل الأحاديث الصحيحة وإن كانت آحادًا قطعية الثبوت؟

الجواب: لا هي إذا صارت آحادًا ما تكون قطعية الثبوت، قطعية الثبوت في المتواتر الكثير، مثل القرآن طبعًا هذا قطعي الثبوت ما فيه شك، ثبوته ثبوت قطعي لا إشكال في هذا، لا امتراء، قطعي بدون تردد، أما غيرها فهي ظنية الثبوت، وهذا غير قطعي الدلالة، وظني الدلالة، أما ظني الدلالة فأكثر النصوص في الأحكام العملية غيرالخبرية هذه ظنية الدلالة أما في النصوص في الأحكام الخبرية فهي قطعية الدلالة، يعني في الصفات، في الأسماء، في الغيبيات قطعية الدلالة، وأما الأحكام فإن الأصوليين يقولون: إن النصوص تكتسب القطعية يعني: نصوص الأحكام تكتسب القطعية إذا توفرت فيها عشرة شروط، يعني: يكون النص قطعي الدلالة إذا لتوفر عشرة شروط: منها: ألا يدخله التخصيص ومنها: ألا يكون مجملًا يحتاج إلى بيان، ومنها: ألا يكون اعتراه النسخ، أو يظن فيه النسخ، في عشرة شروط مذكورة في موضعها.

٤- هلَّا ذكرت لنا بعض التفصيل حول حديث عدي بن حاتم في اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا؟

الجواب: فصلنا فيما فيه الكفاية

درجة الحديث رواه الترمذي في الجامع وابن جرير أيضًا في التفسير، وهو حديث حسن، إسناده فيه بعض رواته كلام يسير لا يضر، وحديثهم حديث حسن، له شواهد أيضًا.

٥- يقول: فسرت قوله تعالى في المسألة الثامنة والثلاثون في قوله: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ أي: اعتقدتم، هذا الظن هو الاعتقاد.

الظن في القرآن يأتي على نوعين:

ظن الاعتقاد الجازم.

والظن بمعنى غير الجازم يعني الظن المرجوح، الذي يسميه الناس ظن، أما الظن المرجوح الذي هو الثاني الذي يسمونه ظن هذا كما في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ وأما الظن بمعنى الاعتقاد الجازم فهذا كثير في القرآن كالآية التي ذكرنا، ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ أي: اعتقدتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون.

وكذلك في قوله: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾. يعني: إن اعتقدا ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ يعني: يعتقدون بالله غير الحق اعتقاد الجاهلية، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يعني: يعتقدون ذلك اعتقادًا جازمًا ونحوه. =

= ٦- يعني هل من صور لفظ التأويل ما كان تأويلًا فاسدًا وتأويلًا خاليًا عن قرينة مساندة له وهل يعدل عن ذلك للفظ التحريف خصوصًا في الصفات مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾؟

نعم: التأويل الباطل نوع من أنواع التحريف، فالتعطيل تحريف، والتأويل تأويل النصوص. التأويل الباطل كذلك تحريف.

نقل عن ابن المبارك ما يحضرني صحته، ولهذا حدد أنه يحذر - وأظن أن فيه خلافًا يعني بين العلماء في هل تدخل الجهمية في الاثنتين والسبعين أم لا هذا خلاف باعتبار أصولها، المعتمد عند أهل السنة عند أئمتهم أنها لا تدخل أصلًا.

مثل عند الرافضة أهل السنة لا يدخلون في الثنتين وسبعين فرقة عندهم كذلك.

٧- بماذا نرد على من يقول: إن الأسماء السريانية هي أسماء الله؟

الجواب: طبعًا أسماء الله جل وعلا هي مشتملة على الذات والمعنى، لاحظ الاسم - أسماء الله - دالة على ذاته وعلى الصفة التي اشتمل عليها الاسم، الله جل وعلا أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق حديثًا وأقوم قيلًا، والله عز وجل يعرف العبرانيون بذاته وبصفاته عن طريق لغتهم، ويعرفه العرب بذاته وبصفاته عن طريق لغتهم، فأسماء الله جل وعلا وإن تباينت بين اللغات، لكن دلالتها في اللغات من حيث الصفات متطابقة، ولا شك أن اللغة العربية تحوي ما ليس في الألسن جميعًا، اللغة العربية فيها ما ليس في الألسن في الدلالة على المعاني بهذا صارت هذه اللغة هي لغة الدين الخاتم.

٨- هل هناك دليل أو نصٌّ في معنى الفرقة الناجية؟

الجواب: لفظ الفرقة الناجية الأصل فيه هذا الحديث قال: «**كلها في النار إلا واحدة**»، معناها أنها واحدة الناجية، فسماها العلماء فرقة ناجية، وجاء في بعض الروايات مثل عند الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع عن بعض من كتب في السنة قال: «**فتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها فرقة ناجية، وثنتان وسبعون هالكة**» فنص فيها على هذا الاسم مع أن المعتمد عند العلماء ليست هذه الزيادة لأن هذه فيها مقال من جهة الإسناد، بل فيها ضعف ظاهر، والعبرة المعنى.

الفرقة الناجية يعني: الناجية من الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٩- ما حكم الاستعانة بالجن الصالح لحل سحر أو معاونة رجل مصاب ... إلى آخره؟ وما قول شيخ الإسلام في ذلك إيضاح ذلك بالقول الظاهر الراجح؟

الجواب: الاستعانة بالجن المسلمين هذا يباح عند الحاجة العارضة للمرء في نفسه لا لغيره، وهذه الشروط مأخوذة مما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إذا ضل أحدكم في فلاة من الأرض فليقل يا عباد الله احبسوا**» وذكر عبد الله ابن الإمام أحمد أن أباه ضل الطريق في حجة حجها ضل الطريق وكان وحده، قال: فاستعملت هذا الحديث فقلت: «يا عباد الله احبسوا» فدللت على الطريق، وهذا الحديث فيه =

= ضعف من جهة الإسناد، لكن أخذوا منه أنه لا بأس هنا يخاطب حي حاضر لأنه قال في آخر الحديث، فإن لله حيًّا حاضرًا سيحبسه، وهؤلاء هم مسلمو الجن لأنهم هم الذين يعينون العبد المسلم، أما أن تكون الحجة غير عارضة لازمة دائمًا يستفيد منهم، ولم يقل بجوازه أحد من أهل العلم فيما أعلم قديمًا، وإنما شيخ الإسلام الذي ذكر النقل عنه، قاله فيما ذكرت سالفًا، في الحاجات العارضة، لذلك قال: قد يكون يحتاج إليه الأمر، قد يستخدمه المرء ونحو ذلك، مما يدل على الحاجات العارضة، في النفس، أما في غيره كما يستخدمه بعض الناس، من أنه يأتي يستخدم مسلمي الجن بإخبار قرينه بما في المصاب أو بما في المريض أو في بعض الاحوال أو نحو ذلك، فإن هذا لا نعلم أن أحدا من أهل العلم فعله في الماضي، ممن يقرؤون، ولا أن أحدًا جازه، وإذا عرض عليهم، لا أظن أحدًا يجيز مثل هذه الصورة على نحو ما يفعل الآن، ولهذا نقول: إن هذا يحرم على تحريم الوسائل، لأنه وسيلة من وسائل الشرك والعياذ بالله.

١٠- يقول: ما رأيكم فيما ذكره الدكتور عابد السفياني في أن تقسيم الأحاديث إلى قطعي الدلالة، وإلى ظني الدلالة من تقسيمات المعتزلة التي انطلت على كثير من أهل السنة؟ أرجو الجواب.

الجواب: أنا ما يحضرني نقل عابد السفياني الدكتور عابد لكن تقسيم هذا اصطلاحي، قطعي الدلالة، ظني الدلالي اصطلاحي، والتقسيمات الاصطلاحية لا مشاحة فيها، لأنه ينظر في معناها، فإن كان معناها صحيحًا قبل، وإن كان معناها غير صحيحة لا يقبل، الدلالة متنوعة منها ما هو قطعي لا يحتمل الخلاف، لا يدل على غيره، مثل دلالة محمد على الرسول ﷺ، محمد بن عبد الله هو الرسول هذه دلالة قطعية، لا تحتمل غيرها، لا يحتمل أن يراد بقول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ أنه محمد آخر، هذا قطعي الدلالة لا يحتمل غير ذلك، كذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذا قطعي الدلالة، الناس سيموتون، ظني الدلالة هو الذي طرقه احتمالات، فجعلت الاحتمالات الدلالة وهي المفهوم من هذا النص جعله محتملًا لأكثر من احتمال، هذا هو الذي يسمى ظني الدلالة، يعني من قال فيه من العلماء: إن معناه كذا دلالته كذا، تسأله هل هذا بالقطع أم لا؟ هذا اجتهاديٌّ وظنيٌّ، وبهذا المعنى صحيح لا إشكال فيه، وليس من أقوال المعتزلة، بل كثير من أهل السنة، يذكرون ذلك، قد يكون أصلًا أصل التقسيم منهم، لكن لا بأس من استعماله، مثل لفظ الإعجاز، لفظ: المعجز، إعجاز القرآن، هذا ما استعملناه في الكتاب ولا في السنة، هل يوجد في القرآن «القرآن المعجز»، أو «معجزات الأنبياء»، هذه من ألفاظ المعتزلة، نعم ردها شيخ الإسلام لكن بتحفظ، وذلك لأن الألفاظ المجملة تحتاج أن تفسرها بتفسير صحيح، إذا فسرت بتفسير صحيح لم يرد.

١١- ما هي كتب التفسير التي تنصح بالرجوع إليها؟

الجواب: كتب التفسير الحمد لله كثيرة، ولكن يحرص طالب العلم، وصاحب التوحيد والسنة والعقيدة الصحيحة، على أن يرجع منها إلى الكتب التي يأمن فيها على اعتقاده، لأنه قد يدركه الخلل من حيث لا يشعر، وهذه الكتب الحمد لله كثيرة مثل تفسير عبد الرزاق، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن جرير الطبري وهو أعظم التفاسير وأجلها شأنًا، ومثل تفسير البغوي، ومثل تفسير ابن كثير، كذلك=

* * *

= تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمهم الله جميعًا.

١٢- متى يكفر الحاكم؟

الجواب: يكفر الحاكم -سأجيب جوابًا مختصرًا- إذا اعتقد ما يكفر أو عمل عملًا قد أجمع على التكفير به، اعتقد ما يكفر به أو عمل عملًا مجمعًا على التكفير به، لاحظ في التكفير إن من المسائل المهمة فيه جدًّا أن ترعى ما أجمع عليه، وما اختلف فيه، لذلك يقول العلماء مثلًا: إذا أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، مجمع عليه، يعني ما يحتاج للاستدلال أصلًا، لكن المسائل المختلف فيها فهذه لا يكفر بها إذا كان الخلاف فيها واضح المأخذ.

١٣- ما صحة من يقول: إن الحروف المقطعة في القرآن هي مما استأثر الله بعلمه؟ والسلف يفوضون علمه إلى الله؟

جواب: ما أعلم هذا القول، لكن الأحرف المقطعة، من السلف من قال: الله أعلم بذلك، ومنهم من قال: ومنه ما استأثر الله بعلمه، والله أعلم بحقيقة ذلك.

الفهــرس

الموضوع الصفحة

مقدمـــــة ٣
وصفٌ عامٌّ للرسالة ٥
ذكر من شرح هذه الرسالة ومنهم الألوسي ٥
تعريف الجاهليين ٥
معنى الجاهلية وعلى من تطلق في الكتاب والسنة ٦
تقسيم الجاهلية: ٦
الاعتبار الأول: مطلقة ومقيدة ٧
الاعتبار الثاني: جاهلية في المكان، في الزمان، في الأشخاص ٧
تخطئة من أطلق لفظ جاهلية القرن العشرين ٧
الأمر الذي جعل الشيخ يجمع هذه المسائل ٨
أهمية معرفة سنن الجاهلية ٨
المسألة الأولى: كان أهل الجاهلية يتعبدون بإشراك الصالحين ٩
أصناف الصالحين ٩
طرق إشراك الصالحين ومنها الشفاعة ١٠
تعريف الشرك، معنى التسوية ١١
معنى لا إله إلا الله عند أهل الكلام ١١
طوائف من المبتدعة كالأشاعرة مثلا، شرح السنوسي لكلمة التوحيد ١١
ممن عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ١٣
عظم هذه المسألة ١٣
الفرق بين ترتب أحكام الكفار وأنه من أهل النار واستباحة الدم والمال ١٥

الموضوع **الصفحة**

منهج الشارح في شرح هذه المسائل ١٥

المسألة الثانية: التفرق في الدين والدنيا ويرون أنه هو الصواب ١٥

حال أهل الجاهلية في تفرقهم في دينهم ١٥

الأمر بالاجتماع في الدين، كيف ذلك؟ ١٦

علاقة الاجتماع في الدين بالاجتماع في الدنيا (اجتماع في الأبدان) ١٦

[ظهور الأحزاب من تفرق الأبدان] ١٨

المسألة الثالثة: مخالفة وعدم الانقياد لولي الأمر فضيلة ١٨

حال أهل الجاهلية من ناحية معاملة الولاة وكيف انتقل إلى المسلمين ومخالفة الرسول ﷺ لذلك ١٨

حال الجزيرة قبل الدعوة ٢٠

الأسئلة: ٢١

ما رأيكم فيمن يقول على العالم أن يعلم منهج السلف دون التطرق إلى المناهج الضالة؟ ٢١

هل الآية ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدين أم في الدنيا؟ ٢١

ذكر أن المسألة الأولى من أجلها شرع الجهاد أرجو التوضيح ٢٢

بالنسبة لتعليقكم على عدم دقة قول (جاهلية القرن العشرين) ألا تحمل على أن معظم الناس في جاهلية؟ ٢٢

يصبر على الضرب وأخذ المال، لكن مس العرض هل يصبر عليه؟ ٢٢

اختلاف طبعات مسائل الجاهلية ٢٣

من قاتل تحت راية كفرية؟ ٢٣

هل كل المسائل التي ذكرها المؤلف مخرجة عن الملة؟ ٢٣

قول من قال: إن محمد بن عبد الوهاب خرج عن العثمانيين؟ ٢٣

الموضوع الصفحة

هل نستطيع أن نقول: إن الجاهليين في عهد الرسول ﷺ كانوا يعلمون أنهم على باطل؟ ٢٤
المسألة الثامنة: الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ٢٤
المعنى العام للمسائل التي قبلها ٢٥
الضعفاء في نظر أهل الجاهلية ٢٦
صوارف اتباع الحق: ٢٧
الاستكبار والهوى ٢٧
الغنى ٢٧
الجاه سواء نسب أو رئاسة أو غيرهما ٢٧
العجب بالنفس ٢٧
شرح معنى الأرذلون ٢٨
قاعدة الإيمان اللغوي والشرعي في القرآن بتعديته بالباء واللام ٢٩
سريان هذه المسألة في قوم نوح ٢٩
تعريف أعقل العقلاء ٣٠
سريان هذه المسألة لأصناف من هذه الأمة: ٣٠
الصنف الأول: أهل الرئاسة بأنواعها ٣٠
الصنف الثاني: قوم من العقلانيين الذين درسوا الفلسفة ٣١
معنى كلمة الحشوية ٣١
الصنف الثالث: أهل الأموال ٣٢
الصنف الرابع: العصريون الإسلاميون المهتمون بالفكر ٣٢
الصنف الخامس: طوائف من الدعاة والدعوات ٣٣
خلاصة المسألة ٣٤

الموضوع	الصفحة

المسألة التاسعة: الاقتداء بفسقة العلماء والعباد ٣٤
اقتداء أهل جاهلية العرب بعلماء النصارى ٣٤
وكذلك اقتداؤهم بعلماء اليهود ٣٥
سريان هذه المسألة في هذه الأمة ٣٥
طائفة تفتي على المذاهب الأربعة ٣٥
الصنف الثاني: فسقة العباد ٣٦
سريان الاقتداء بفسقة العباد بهذه الأمة ٣٨
في الصوفية ٣٨
خلاصة المسألتين ٣٨
نصيحة في إبطال رد المخالف ٣٩
الأسئلة: ٤١
ما سبب اختيار جحر الضب على وجه الخصوص؟ ٤١
من يفتي بالشريعة في الفتوى وفي القضاء بالقانون، هل هذا كفر؟ ٤١
ما معنى فقه الواقع؟ ٤٢
المسألة العاشرة: الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم ... ٤٤
سريان هذه المسألة في قوم نوح ٤٥
تصحيح كلمة حفظهم إلى حظهم ٤٦
أوجه قراءة ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ٤٦
تفسير (بَادِيَ الرَّأْيِ) اختلف فيه على ثلاثة أقوال ٤٦
سريان هذه المسألة في قريش وقبلهم قوم موسى ٤٨
سريان هذه الشعبة في هذه الأمة: ٤٨
الذين يعتزون بالعلوم الخلفية من أصحاب الكلام ٤٩

الموضوع **الصفحة**

طائفة من غلاة الفقهاء ٤٩
من عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العلماء ٤٩
الذين ادعوا أن باب الاجتهاد قفل.. ٤٩
من دخلته هذه الشعبة في وقتنا.. ٥٠
المسألة الحادية عشرة: الاستدلال بالقياس الفاسد........................ ٥٠
القياس عند الجاهليين ٥١
أنواع القياسات التي استدلوا بها منها: ٥١
إبطال النبوة بأن الرسول بشر ووجه الشبه فيه (كفار قريش من قبلهم)......... ٥١
إذا أثبت للولي كرامة صار نبيًّا (المعتزلة وغيرهم) ٥٢
النبي لا يختصّ بشيء (الصوفية) ٥٢
كل من اتصف بالإيمان يتبرك بذاته ٥٢
القياس الصحيح ومقتضاه لعدم إبطال النبوة ٥٣
مقتضى القياس الصحيح في هذه الأمة ٥٤
مقصد الشيخ في إيراد المسألة.. ٥٤
المسألة الثانية عشرة: إنكار القياس الصحيح ٥٤
وقد ذكرها مع المسألة التي قبلها.. ٥٥
المسألة الثالثة عشرة: الغلو في العلماء والصالحين ٥٥
الغلو في العلماء وكان له أنحاء: ٥٥
اتباع العلماء في التحليل والتحريم.. ٥٥
اعتقاد أن للعلماء تغيير ما في الكتب المنزلة كما حصل لليهود والنصارى ٥٦
الغلو في الصالحين: ٥٦
اعتقاد كل ما فعلوه من الصلاح والعبادة ٥٦

الموضوع الصفحة

اعتقاد أن لهم منزلة عند الله في حياتهم ومماتهم كمنزلة المقربين من الملوك منهم ٥٦
التبرك بالصالحين عند اليهود والنصارى ٥٧
سريان هذا الغلو في هذا الغلو في هذه الأمة: ٥٧
الغلو في العلماء ٥٨
قبول أقوال من ينتسب إلى العلم دون حجة ٥٨
[أصحاب الكلام]، [أصحاب الفقه]، [مثال على ذلك مسألة الشفاعة]، [كلامه على محمد علوي المالكي] ٥٨
الغلو في الصالحين ٥٩
المقصود من المسألة ٥٩
كتتمة لهذه المسألة التكلم على التعصب والغلو والجفاء ٦٠
الأسئلـــة: ٦٢
لفظ أهل السنة والجماعة ودعوة الناس إليه وهل يدخل فيه الأشاعرة والماتريدية؟ ٦٢
السائل الذي يخرج من فرْج المرأة ما حكمه؟ ٦٢
سؤال عن زبدة التفسير مختصر فتح القدير لمحمد سليمان الأشقر ٦٣
هل العبارة لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار صحيحة؟ ٦٣
هل يستطيع المسلم فهم العقيدة دون حفظ القرآن ؟ ٦٣
الصلاة خلف المبتدع والقبوري ودرجة حديث «**صلوا وراء كل بر وفاجر**» ٦٤
ما الفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؟ ٦٤
عقيدة أهل السنة والجماعة في الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما. وهل له علاقة بتقسيم فرقة ناجية وطائفة منصورة ٦٥

الموضوع **الصفحة**

المسألة الرابعة عشرة: يتبعون الهوى والظن ويعرضون عما جاءت به الرسل
[أرجأ الكلام عليها] ٦٦
المسألة الخامسة عشرة: اعتذارهم بعدم الفهم فأكذبهم الله ٦٦
فهم الحجة نوعان: ٦٧
يُفهم معناها (يُقيم الحجة من يُفهمها) ٦٨
فهم الحجة الفهم الذي يجعله يتبع الحجة ٦٨
تكذيب الله جل وعلا لهم وتبيين سبب عدم الفقه هو الطبع على القلوب ٦٩
سريان هذه المسألة في هذه الأمة في قديم زمان هذه الأمة وفي حديثه ٧٠
من ناحية الاعتقادات الكفرية وغيرها، [دليل حلول الأعراض لجهم بن
صفوان وأنه سبب البلاء العام] ٧٠
من ناحية العبادات، [من يمكن أن يقال: إنه قامت عليه الحجة] ٧١
المسألة السادسة عشرة: اعتياضهم عما آتاهم الله بكتب السحر ٧٣
أرجح التفاسير في الآية ﴿اتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ٧٤
أصل هذه المسألة لكل استبدال لما أنزل الله بغيره ٧٥
سريان هذه المسألة في هذه الأمة: ٧٦
استبدال الكتاب والسنة بكتب الفلاسفة والمتكلمين ٧٦
أهل السلوك اعتاضوا عن هدي النبي إلى كتب خاصة في الزهد.............. ٧٨
[رد على ابن عربي وفصوصه] ٧٩
ترك كتب أهل السنة لأجل كتب أهل البدع ٧٩
كلمة على هذه المسائل وأهميتها اليوم ٨٠
الأسئلة: ٨٠
أهل البدع غير المكفرة هل يشهر بهم ويحذّر منهم ومن آرائهم؟ ٨٠

الموضوع **الصفحة**

لفهم الحجة هل يكفي ذكر أن هذا شرك أو بدعة أو يجب ذكر الأدلة؟........ ٨١
هل وسائل الدعوة توقيفية أم لا؟ ٨٢
ما معنى قولهم: لابد في إقامة الحجة من انتفاء الموانع وثبوت الشروط؟ ٨٣
ما معنى قولهم: قامت الحجة ببعثة النبي ﷺ ؟ ٨٣
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، يستدل بها بعض الجماعات على إقامة الحجة فما رأيكم في هذا القول؟....... ٨٥
الذين خالفوا أئمة الدعوة في فهم الحجة هل يعلمون قول الأئمة في إقامة الحجة؟ ٨٥
المسألة السابعة عشرة: نسبة باطلهم إلى الأنبياء ٨٦
تعريف أهل الجاهلية (تذكير) ٨٦
انتساب كفار قريش إلى إبراهيم........................ ٨٦
نسب السحر إلى سليمان ٨٧
انتساب النصارى واليهود إلى إبراهيم........................ ٨٧
سريان هذه المسألة في هذه الأمة ٨٨
نسبة الباطل إلى الأنبياء على طريقين: ٨٨
بأن الأنبياء فعلوه واعتقدوه ٨٨
بأن هذا من دين الأنبياء وهو ما وقع في هذه الأمة (استنباطًا)........................ ٨٩
سبب تنصيص العلماء على اتباع سلف الأمة ٨٩
تشبه بعض القرآن على بعض العلماء وكذلك السنة........................ ٩٠
سبب تسميتهم أهل السنة والجماعة ٩١
سبب تبيين أهل السنة والجماعة لأصولهم........................ ٩٢
المسألة الثامنة عشرة: أهل الجاهلية يتناقضون في الانتساب ٩٢
حقيقة الانتساب ٩٢

الموضوع **الصفحة**

التنبيه على أن الشيخ شرح معنى هذه المسألة في شرح كتاب فضل الإسلام... ٩٢
المسألة التاسعة عشرة: القدح في بعض الصالحين بالقدح فيمن ينتسب إليهم ... ٩٤
سريان هذه المسألة على من عادى أحمد في العقيدة والسلوك ٩٤
سريانها على بعض أتباع المذاهب الأربعة (انتقاص الأئمة الأربعة من جراء أتباعهم) ٩٦
تنقص بعض الصالحين كعبد القادر الجيلاني والجنيد ٩٦
خطأ من: أول ما يقدح في الأولياء، وهذا يؤدي إلى القدح في الدعوة ٩٧
القدح في الإسلام بفعل المسلمين ٩٧
المسألة العشرون: الاعتقاد في مخاريق السحرة وإنكار الكرامات ٩٨
انقسام الخوارق ثلاثة أقسام: ٩٨
خوارق للأنبياء ٩٨
خوارق للأولياء ٩٨
خوارق جرت على يد الكفار والفسقة ومن خرج عن منهج الأنبياء.......... ٩٨
[تكملة تبيين تقسيم الخوارق]، [تعريف الولي]........................... ٩٩
جريان هذه المخاريق على هذه الأمة ٩٩
الأسئلة: ١٠١
ما الفرق بين من قال: (نحن على طريقة أهل السنة والجماعة) و(نحن على طريقة السلف)؟... ١٠١
هل يحصل كرامة لفاسق وكيف؟ ١٠٢
هل المحذر من التقليد مشابهة لأهل الجاهلية؟ ١٠٣
ما صحة قول القائل: أساس الإسلام أربعة: عقيدة وشريعة ومنهاج وأخلاق؟١٠٣
ما هي الأدلة التي تقوم عليها الجماعات الخاصة؟ ١٠٤

الموضوع **الصفحة**

يقدح بعض الطلبة في بعض الجماعات بالنظر لأخطاء أتباعها، هل هذا من الإنصاف؟ ١٠٥
يوجد من يقسم المخاريق إلى أربع منها الفِراسة ١٠٥
المسألة الرابعة والعشرون: ترك الدخول في الحق إذا سبق إليه الضعفاء ١٠٥
ذكر سبب نزول الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ١٠٧
سريان هذه المسألة على كفار قريش وكذلك اليهود ١٠٨
سريانها في هذه الأمة ١٠٨
من أسباب الصدود عن الحق اتباع الناس للصّادّ ١٠٩
ذكر نتيجة مناظرة جرت بينه وبين أحد العلماء ١٠٩
المسألة الخامسة والعشرون: يستدلون على بطلان الحق بسبق الضعفاء ١١١
علاقة هذه المسألة بالتي قبلها ١١٢
المسألة السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه ١١٢
سريان هذه الخصلة في اليهود ١١٢
ذكر مذاهب العلماء في تحريف التوراة والإنجيل: ١١٣
التحريف من جهة المعنى، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٣
التحريف بزيادة ونقص للألفاظ ١١٣
تحريف بالمعنى واللفظ وهو الصحيح فيما يظهر ١١٣
سريان هذه الخصلة في هذه الأمة من ناحية التأويل ومثاله ما يكثر من تأويل الصفات ١١٤
[الكلام على ابن العربي في تفسيره للاستواء في عارضة الأحوذي] ١١٥
الأسئلة: ١١٦

الموضوع **الصفحة**

الفرق بين المسألة العاشرة والخامسة والعشرون؟ ١١٦
الجني إذا أسلم هل تقبل شهادته؟ ١١٧
أين كلام شيخ الإسلام أن التحريف في الكتب في المعنى دون اللفظ؟ ١١٧
بعض طلبة العلم يقول: أنا لا أخالط إلا من فيه خير فيترفع على العوام؟ ... ١١٧
شرح الآية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وقول الإمام: «استووا» للمصلين وغير ذلك؟ وفيه كلام على تعدية استوى بـ: إلى وعلى ١١٨
الكلام على مناهج التوحيد في جامعات السعودية ١١٩
معاملة العمال الأجانب لمن له سلطة ١٢٠
هل يجوز إدخال مشرك أو كافر إلى جزيرة العرب؟ ١٢١
معاملة الكفار وتحيتهم ١٢٣
المسألة السابعة والعشرون: تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله ١٢٣
تصنيف الكتب على قسمين: ١٢٤
الزيادة في الكتب المنزلة ١٢٤
جعل كتب كالشرح للكتب المنزلة ١٢٤
سريان هذه المسألة في اليهود ١٢٥
سريان هذه المسألة في هذه الأمة ١٢٥
في الروافض والدروز والنصيرية ١٢٥
سبب كراهة السلف للتصانيف، الغاية الحقيقية من التصنيف ١٢٦
تصنيف التفاسير عند مختلف الفرق ١٢٧
سريان هذه المسألة في وقتنا الحاضر في أهل الفكر ١٢٩
الكلام على تفسير الفخر الرازي. ذكر منع الشيخ ابن باز لتفاسير الصابوني ١٣٠
المسألة الثامنة والعشرون: لا يقبلون إلا الحق الذي مع طائفتهم.......... ١٣٠

الموضوع **الصفحة**

سريان هذه المسألة في اليهود ١٣١
سريان هذه المسألة في النصارى. [وجود إنجيل فيه بشارة بالنبي محمد ﷺ لا تعترف به النصارى] ١٣١
سريان هذه المسألة في هذه الأمة، ومنها بعض أتباع المذاهب الأربعة ١٣١
طريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على من يخالفه: ١٣٢
ذكر ما عليه طائفته ١٣٢
تبيين أن المقصود من كلام العلماء هو إفهام الأدلة ١٣٣
المسألة التاسعة والعشرون: مع ذلك فهم لا يعلمون ما عليه طائفتهم ١٣٣
شرح لطريقة الرد السابقة ١٣٣
المسألة الثلاثون: وهي من العجائب؛ تركوا الاجتماع فعاقبهم الله بفرحهم بما لديهم ١٣٥
ذكر أسباب التفرق: ١٣٥
ترك العلم: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ١٣٦
البغي: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ١٣٦
بيان أن فرح كل حزب بما لديه من عقوبة الله له ١٣٧
الأسئلة ١٣٨
الكتب الفكرية الموجودة حاليًا في الأسواق التي ألفت في العصر الحديث هل هي من جملة الكتب الباطلة ١٣٨
صنف بعض الدعاة كتبًا وقالوا أقوالا لم يسبقوا إليها هل هذا من تصنيف الكتب الباطلة؟........................ ١٣٨
حكم من سب الصحابة رضوان الله عليهم وأخص في ذلك الرافضة بسبهم لأبي بكر وعمر ١٣٩
سب الصحابة فيه تفصيل ١٣٩

الموضوع	الصفحة

حكم سب الصحابة جميعًا ١٣٩
حكم سب أكثر الصحابة ١٣٩
سب الصحابي لوصف خلقي ١٣٩
كتب الصابوني هل تحرق، وكذلك المصاحف المتقطعة ماذا يفعل بها؟ ... ١٤٠
الكلام على تفسير سيد قطب «في ظلال القرآن» ١٤١
(الحادية والثلاثون): وهي من عجائب الله أيضًا معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا دينهم وفِئَتَهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتاهم بدين موسى عليه السلام، واتبعوا كتُب السحر، وهي من دين آل فرعون........................ ١٤٢
من يبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ١٤٣
من أدخل في الإسلام برأيه أو بهواه أو بكيده شيئًا من سنن الجاهلية ونشرها في المسلمين فهو من أبغض الرجال عند الله ١٤٤
اليهود أحبوا دين فرعون وأحبوا دين أتباع فرعون ١٤٥
النبي ﷺ أتى بالدعوة إلى أن يوحد الله جل وعلا في أنواع العبادة ١٤٥
التعبد بالرأي من المتصوفة وأشباههم أخذوا بأصل الإشراك الذي كان عند فلاسفة الإسكندرية ١٤٨
الفلاسفة الإفراطيين ١٤٨
الكلام على المقلدة ١٤٩
المقلدة يأخذون بما عليه أسلافهم دون دليل ولا برهان ١٤٩
معاداة المقلدة الذين الذي جاء به النبي ﷺ ١٥٠
(الثانية والثلاثون): كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ... ١٥٠

الموضوع **الصفحة**

اليهود والنصارى بمقابلة كل واحدة بالأخرى مع النصارى بعض حق، ومع اليهود بعض حق ١٥١
الكلام على قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ ١٥١
أسباب هذه الخصلة ١٥١
المعتزلة تضلل الأشاعرة مطلقًا، والأشاعرة تضلل المعتزلة مطلقًا......... ١٥٢
سريان هذه الخصلة في الواقع المعاصر باختلاف الجماعات الإسلامية والمنتسبين إلى الدعوة ١٥٢
(الثالثة والثلاثون) إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾. ١٥٥
إنكار مشركي مكة الوقوف بعرفة ١٥٥
الكلام على الحمس........................ ١٥٥
دخول هذه الخصلة في هذه الأمة........................ ١٥٦
في هذا العصر عظمت المخالفات مع العلم ١٥٦
الأسئلة........................ ١٥٧
من هو الصاوي ١٥٨
(الرابعة والثلاثون): أن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾**ثم بين الصواب بقوله:** ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ **الآية**........................ ١٥٩
الدعاوى تحتاج إلى برهان ١٥٩
بيان أن البرهان هو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ١٦٠
بيان حال الفرقة الناجية ١٦٠

الموضوع **الصفحة**

إحسان العمل بمتابعة السنة ١٦١
الفرق الضالة الاثنتين وسبعين متوعدون بعدم النجاة متوعدون بالنار...... ١٦٢
الخوارج والمرجئة يدعون أنهم على الحق........................ ١٦٢
(الخامسة والثلاثون): التَّعَبُّد بكشف العورات؛ كقوله: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ ﴾ ١٦٤
وقوع هذه الخصلة في مشركي العرب ولا توجد عند اليهود والنصارى ١٦٤
وقوع هذه الخصلة عند الصوفية ١٦٥
الكلام على وقوعها في الموالد........................ ١٦٥
(السادسة والثلاثون): التَّعَبُّد بتحريم الحلال كما تعبدوا بالشرك. ١٦٦
اليهود والنصارى حرموا على أنفسهم أشياء قد أحلها الله لهم............ ١٦٧
سريان هذه الخصلة في هذه الأمة ١٦٧
الأسئلة........................ ١٦٨
ما رأيكم في كتاب شرح متن الورقات للمحلي........................ ١٦٨
الكلام على شرح متن الورقات........................ ١٦٨
سؤال عن وجود الفاحشة عند الصوفية ١٦٩
هل الصحيح والفاسد من الأحكام السبعة ١٦٩
هل صحبة الرسول ﷺ تكون مكفرة لكبائر الذنوب؟ ١٦٩
صحة نسبة كتابين للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ... ١٧٠
الكلام على حاشية متن المقنع للشيخ سليمان ١٧١
عدم صحة نسبة كتاب توضيح توحيد الخلاق للشيخ سليمان ١٧١
(السابعة والثلاثون): التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.......... ١٧١
وقوع هذه الخصلة عند اليهود والنصارى ١٧٢

الموضوع **الصفحة**

لفظ الرب والإله تدخل في الألفاظ التي تختلف معانيها مع الجمع والتفريق ١٧٢
وقوع هذه الخصلة عند مشركي العرب ١٧٣
دخول هذه الخصلة في هذه الأمة ١٧٣
معنى طاعة الأحبار والرهبان ١٧٤
تحكيم القوانين الوضعية ١٧٥
صور تحكيم القوانين ١٧٦
(الثامنة والثلاثون): الإلحاد في الصفات؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ١٧٨
معنى الإلحاد في الصفات ١٧٩
وقوع هذه الخصلة في مشركي مكة ١٧٩
وقوع هذه الخصلة عند اليهود والنصارى ١٧٩
سريان هذه الخصلة في هذه الأمة ١٨٠
(التاسعة والثلاثون): الإلحاد في الأسماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ١٨١
معنى الإلحاد في الأسماء ١٨١
إلحادهم في الأسماء كان من جهات ١٨١
الجهة الأولى في الألفاظ ١٨١
الجهة الثانية في المعاني ١٨١
إلحاد المعتزلة في الأسماء ١٨٢
(الأربعون): التعطيل؛ كقول آل فرعون ١٨٢
التعطيل درجات ١٨٢
منه تعطيل المصنوع عن صانعه ١٨٢

الموضوع **الصفحة**

التعطيل الثاني: أنهم عطلوا الخالق عما يستحق من الأسماء والصفات..... ١٨٣
التعطيل الثالث: تعطيل الأسماء والصفات عن حقائها ومعانيها اللائقة بالله جل وعلا.. ١٨٣
التعطيل الرابع: تعطيل الله جل وعلا عن حقه وهو عبادته وحده لا شريك له ١٨٣
الأسئلة.. ١٨٤
هل قوله: «كلها في النار» تخليد أو دخول ابتداء؟ مع توضيح إلا واحدة هل هو نجاة تامة من النار.. ١٨٤
متى يجوز الخروج على الحاكم.. ١٨٥
الحاكم المسلم لا يجوز الخروج عليه.. ١٨٥
الحاكم غير المسلم يجوز الخروج عليه إذا أظهر الكفر، بشرط أن يكون الكفر مجمعًا عليه.. ١٨٥
هل الأحاديث الصحيحة وإن كانت آحادًا قطعية الثبوت؟................ ١٨٦
تفسير الظن بالاعتقاد.. ١٨٦
الظن في القرآن يأتي على نوعين: ظن الاعتقاد الجازم، والظن بمعنى غير الجازم.. ١٨٦
هل من صور لفظ التأويل ما كان تأويلًا فاسدًا، وتأويلًا خاليًا عن قرينة مساندة له، وهل يعدل عن ذلك للفظ التحريف خصوصًا في الصفات........... ١٨٧
بماذا نرد على من يقول إن الأسماء السريانية هي أسماء الله؟................ ١٨٧
هل هناك دليل أو نص في معنى الفرقة الناجية........................ ١٨٧
حكم الاستعانة بالجن الصالح.. ١٨٧
كلام الدكتور عابد السفياني حول تقسيم الأحاديث إلى قطعي الدلالة وإلى ظني الدلالة، وأنه من تقسيمات المعتزلة.. ١٨٨

الموضوع **الصفحة**

كتب التفسير التي ينصح الشيخ بها ١٨٨
متى يكفر الحاكم؟ ١٨٩
ما صحة من يقول إن الحروف المقطعة هي مما استأثر الله بعلمه؟.......... ١٨٩
الفهرس ١٩١

* * *

تم الجمع التصويري
بدار فتح المجيد
هاتف: ٠١٠٠٨٥٦٧٦٩